منها من الاقبال عليه آخر كان منها اولا فقال هل لك فيما قلت لى فقالت قد كان
ذلك مرة فاليوم لا فذهب مثلا وقالت اى شيء صنعت بعدى قال تزوجت علي
زوجتي آمنة فقالت والله ليست بصاحبة ريبة ولكني رايت نور النبوة في وجهك
فاردت ان يكون لك في فابى الله الا ان يجعله حيث جعله وفي رواية لما خرج عبد المطلب
بعبد الله ليزوجه مر به على كاهنة يقال لها فاطمة بنت مر قد قرات الكتب فرات
في وجهه نورا فقالت يا بني هل لك ان تقع علي واعطيك الى آخره الثانية والثلثون قوله
واصطفاني من بني هاشم هو ابو القسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم
بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك
بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن
عدنان ولا يصح حفظ النسب فوق عدنان وقريش هم اولاد النضر بن كنانة بن خزيمة
كانوا تفرقوا في البلاد فجمعهم قصي بن كلاب في مكة سموا قريشا لانه قرشهم اي
جمعهم ولكنانة ولد سوى النضر وهم لا يسمون قريشا لانهم لم يقرشوا الثالث ابو هريرة
رضي الله عنه قوله انا سيد ولد آدم قال الهروي السيد هو الذي يفوق قومه
في الخير وقال غيره هو الذي يفزع اليه في النوايب والشدايد فيقوم بامورهم
ويتحمل عنهم مكارههم ويدفعها عنهم والتقييد بيوم القيمة مع انه صلى الله عليه وسلم
سيدهم في الدنيا والآخرة معناه انه يظهر يوم القيمة سودده بلا منازع ولا معاند
بخلاف الدنيا فقد نازعه فيها ملوك الكفار وزعماء المشركين وهو قريب من معنى
قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار مع ان الملك له قبل ذلك لكن كان في الدنيا
من يدعي الملك او من يضاف اليه مجازا فانقطع كل ذلك في الآخرة وفي الحديث
دليل على فضله صلى الله عليه وسلم على كل الخلق لان مذهب اهل السنة ان الآدمي
افضل من الملائكة وهو صلى الله عليه وسلم افضل الآدميين بهذا الحديث وغيره
واما الحديث الآخر لا تفضلوا بين الانبياء فجوابه من خمسة اوجه احدها انه صلى الله عليه وسلم
قاله قبل ان يعلم انه سيد ولد آدم والثاني قاله ادبا وتواضعا والثالث ان النهي
انما هو عن تفضيل يؤدي الى تنقيص المفضول والرابع انما نهى عن تفضيل يؤدي
الى الخصومة والفتنة والخامس ان النهي مختص بالتفضيل في نفس النبوة ولا تفاضل

فيها وانما التفاضل في الخصائص وفضائل اخرى فلا بد من اعتقاد التفضيل تقعد بالـ
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الرابع والخامس انس رضي الله عنه قوله بك امرت
بك متعلق بامرت والباء للسببية قدمت للتخصيص المعنى بسببك امرت بان لا افتح لغيرك
لا بشيء آخر ويجوز ان يكون صلة للفعل وان لا افتح بدلا من الضمير المجرور اي امرت بان
لا افتح لاحد غيرك السادس انس رضي الله عنه قوله انا اول شفيع في الجنة اي انا
شافع للعصاة من امتي في دخول الجنة وقيل اي انا اول شافع في الجنة لرفع درجات
الناس فيها وما فيما صدقت مصدرية وهذا كناية عن انه صلى الله عليه وسلم اكثر الانبياء
امة السابع ابو هريرة رضي الله عنه قوله مثلي ومثل الانبياء هذا من التشبيه التمثيلي
شبه الانبياء وما بعثوا به من الهدى وارشادهم الناس الى مكارم الاخلاق بقصر
شيد بنيانه واحسن بناؤه ولكن ترك منه ما تصلحه وما يسد خلله من اللبنة فبعث
نبينا لسد ذلك الخلل مع مشاركته اياهم في تاسيس القواعد ورفع البنيان هذا على
ان يكون الاستثناء منقطعا ويجوز ان يكون متصلا من حيث المعنى اذ حاصل الكلام يعجبهم
المواضع الا موضع تلك اللبنة وليس ذلك المصلح الا ما اختص به من معنى المحبة وحق
الحقيقة الذي يعتنيه اهل العرفان وقوله انا سددت موضع اللبنة يحتمل وجهين
ان يكون هو السالك بلبنة ذلك الموضع وان يسد بنفسه ويكون مثل له اللبنة ويؤيد
هذه الرواية الاخرى من قوله فانا اللبنة الثامن ابو هريرة رضي الله عنه قوله ما من الانبياء
من فيه بيانية ومن الثانية زائدة يزاد بعد النفي وما في ما مثله موصولة وقعت
مفعولا ثانيا لاعطي ومثله مبتدأ وآمن خبره والجملة صلة الموصول والراجع الى الموصول
ضمير المجرور في عليه وهو حال اي مغلوبا عليه في التحدي والمباراة والمراد بالآيات
المعجزات وموقع المثل هنا موقعه في قوله تعالى فاتوا بسورة من مثله اي ما هو على
صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم معنى ليس نبي من الانبياء
الا كان اعطاه الله تعالى من المعجزات الدالة على نبوته الشيء الذي من صفته انه
اذا شوهد اضطر الشاهد الى الايمان به وتحريره ان كل نبي اختص بما يثبت دعواه
من خارق العادات بحسب زمانه فاذا انقطع زمانه انقطعت تلك المعجزة كقلب العصى
ثعبانا في زمن موسى واخراج اليد البيضاء لان الغلبة في زمنه السحر فاتاهم بما هو
فوق

فوق السحرة واضطرتهم الى الايمان وفي زمن عيسى الطب فاتاهم بما هو اعلى من
الطب وهو احياء الموتى وابراء الاكمه وفي زمان رسولنا صلى الله عليه وسلم البلاغة
والفصاحة فجاء القرآن وابطل الكل قوله وانما كان الذي اوتيت وحيا
اي معظم الذي اوتيت وافيده واذا كان له غير ذلك معجزات والمراد بالوحي
القرآن البالغ اقصى غاية الاعجاز في النظم والمعنى وهو اكثر فائدة واعم منفعة
من سائر المعجزات فانه يشتمل على الدعوة والحجة ويستمر على مر الدهور
والاعصار وينتفع به الحاضرون عند الوحي الشاهدون له والغائبون عنه
والموجودون بعده الى يوم القيامه على السواء ولذلك رتب عليه قوله فارجو
ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامه الناسخ جابر رضي الله عنه قوله نصرت بالرعب
الرعب الفزع والخوف وقد اوقع الله تعالى في قلوب اعداء النبي صلى الله عليه وسلم
الخوف منه فاذا كان بينه وبينهم مسيرة شهر هابوا وفزعوا منه قوله وجعلت
لي الارض مسجدا اراد ان اهل الكتاب لم يبح لهم الصلوة الا في بيعهم و
كنايسهم واباح الله عز وجل لهذه الامة الصلوة حيث كانوا تخفيفا عليهم و
تيسيرا ثم خص من جميع المواضع الحمام والمقبرة والمكان النجس وقوله طهورا اراد
به التيمم بالتراب قوله واعطيت الشفاعة اي المقام المحمود الذي يغبطه الاولون
والآخرون والتعريف في النبي لاستغراق الجنس وهو اشمل من لو جمع لما
تقرر في علم المعاني ان استغراق المفرد اشمل من استغراق الجمع لان الجنسية في
المفرد قائمة في وحدانه فلا يخرج منه شيء وفي الجمع قائمة في الجنسية من الجموع فيخرج
منه واحدا واثنان على الخلاف في ان اقل الجمع اثنان او ثلثة الحاشر ابو هريرة
رضي الله عنه قوله فضلت على الانبياء بست وفي حديث جابر بخمس وليس هذا
باختلاف وتضاد وانما هو اختلاف زمان يقع فيه حديث الخمس متقدما وذلك
انه اعطيها فحدث به ثم زيد له السادسة فاخبر عن ست قوله اعطيت جوامع الكلم
قيل يعني القرآن جمع الله سبحانه وتعالى بلطفه معاني كثيرة في الفاظ يسيرة
وقيل ايجاز الكلام في اشباع من المعنى فالكلمة القليلة الحروف منها يتضمن كثيرا
من المعاني وانواعا من الكلام قوله الى الخلق كافة كافة يحتمل ان يكون مصدرا اي ارسلت

الرسالة عامة لهم محيطة بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم
وان يكون حالا اما من الفاعل والتاء على هذا للمبالغة كتاء الراوية والعلامة واما من
المجرور اى الجميع بين قبل هذا الحديث وان دل بمنطوقه على انه صلى الله عليه وسلم
مخصوص من عند الله تعالى بالفضائل الست لكن لا يدل بمفهومه على حصر فضائله
فيها فان له فضائل غير منحصرة وقوله ختم بى النبيون اى اغلق باب الوحى وقطع
طريق الرسالة وسد واخبر استغناء الناس عن الرسل واظهار الدعوة بعد
تصحيح الحجة وتكميل الدين كما قال تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واما باب الالهام فلا
ينسد وهو مدد وعون النفوس الكاملة فلا ينقطع لدوام الضرورة وحاجتها الى
تأكيد وتجديد وتذكير وكان الناس استغنوا عن الرسالة والدعوة احتاجوا
الى التذكير والتنبيه لاستغراقهم فى الوساوس وانهماكهم فى الشهوات فالله
تعالى اغلق باب الوحى بحكمته وفتح باب الالهام برحمته لطفا منه بعباده الحادى عشر ابو هريرة
رضى الله عنه قوله مفاتيح خزائن الارض تو اراد ما سهل الله تعالى له ولامته وافتتاح
البلاد المتعددات واستخراج الكنوز الممنوعات الثانى عشر ثوبان قوله زوى لى الارض
تو زويت الشئ جمعته وقبضته يريد به تقريب البعيد منها حتى اطلع عليه اطلاعه
على القريب منها حط توهم بعض الناس ان من فى منها للتبعيض وليس ذلك كما توهمه
بل هى للتفصيل للجملة المتقدمة والتفصيل لا يناقض الجملة ومعناه ان الارض زويت
لى جملتها مرة واحدة فرايت مشارقها ومغاربها ثم هى تفتح لامتى جزءا فجزءا حتى يصل ملك امتى
الى كل اجزائها تو يريد بالاحمر والابيض خزائن كسرى وقيصر وذلك ان الغالب على نقود
ممالك كسرى الدنانير والغالب على نقود ممالك قيصر الدراهم قوله بسنة عامة السنة القحط
والجدب وهى من الاسماء الغالبة وقوله من سوى انفسهم صفة عدوا اى كائنا من سوى
انفسهم وانما قيده بهذا القيد لما سال اولا ذلك فمنع على ما ياتى فى الحديث الآتى قوله
فيستبيح بيضتهم اى مجتمعهم وموضع سلطانهم ومستقر دعوتهم وبيضة الدار وسطها و
معظمها اراد عدوا يستأصلهم ويهلكهم جميعهم قيل اراد اذا هلك اصل البيضة كان هلاك
كلها من طعم او فرخ واذا لم يهلك اصل البيضة ربما سلم بعض فراخها والنفى منصب على السبب
والمسبب معا فيفهم منه انه قد تسلط عليهم عدو لكن لا يستاصل شافتهم وقوله اعطيتك لامتك

الكلام فيه معنى التمنى فى قوله سابقا سالت ربى لامتى اى اعطيت سؤلك لدعائك
امتك والكاف هو المفعول الاول وقوله ان لا اهلكهم المفعول الثانى كما هو فى قوله سالت
ربى ان لايهلكها هو المفعول الثانى وجواب لو ما يدل عليه قوله وان لا اسلط وحتى بمعنى
كى اى لكى يكون بعض امتك يهلك بعضا فقوله انى اذا قضيت قضاء فانه لا يرد توطيد لهذا
المعنى يدل عليه حديث خباب بن الارت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى سالت الله
ثلثا فاعطانى اثنتين ومنعنى واحدة سالته ان لا يهلك امتى بسنة فاعطانى وسالته ان
لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فاعطانيها وسالته ان لا يذيق بعضهم باس بعض فمنعنيها
اعلم ان الله تعالى فى خلقه قضائين مبرما ومعلقا اما القضاء المعلق فهو عبارة عما قدره
فى الازل معلقا بفعل كما قال ان فعل الشئ الفلانى فكان كذا وكذا وان لم يفعل فلا يكون
كذا وكذا فهذا من قبيل ما يتطرق اليه المحو والاثبات كما قال تعالى فى محكم كتابه يمحو الله
ما يشاء ويثبت واما القضاء المبرم فهو عبارة عما قدره سبحانه فى الازل من غير ان علقه
بفعل فهو فى الوقوع نافذ غاية النفاذ بحيث لا يتغير بحال ولا يتوقف على المقتضى عليه
ولا المقضى له لانه من علمه بما كان وما يكون وخلاف معلومه مستحيل قطعا وهذا من قبيل
ما لا يتطرق اليه المحو والاثبات قال تعالى لا معقب لحكمه وقال النبى صلى الله عليه وسلم
لا مرد لقضائه ولا مرد لحكمه فقوله صلى الله عليه وسلم اذا قضيت قضاء فلا يرد من القبيل الثانى
ولذلك لم يجب اليه وفيه ان الانبياء مستجابوا الدعوة الا فى مثل هذا الثالث عشر سعد رضى الله عنه
قوله امتى بالغرق يراد به والله اعلم الغرق العام كما فعل تعالى بقوم نوح وقوم فرعون
والضمير فى اعطانيها عائد الى المسئلة الرابع عشر عطاء رضى الله عنه قوله اجل هو حرف يصدق
بها الخبر خاصة يقول لمن قال قام زيد اجل وزعم بعض جواز وقوعه بعد الاستفهام
وفى الحديث جاء رجل بالامر على تاويل قرات التورية هل وجدت صفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيها فاخبرنى قال اجل قوله انا ارسلناك شاهدا حال مقدرة من الكاف او من
الفاعل اى مقدرا او مقدرين شهادتك على من بعثت اليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم
اى مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل فى الحكم قوله حرزا للاميين
اى حصنا وموئلا للعرب يتحصنون به عن غوايل الشيطان او عن سطوة العجم وتغلبهم
وانما سموا اميين لان اغلبهم لا يقرؤن ولا يكتبون قوله ليس بفظ يحتمل ان يكون

آية أخرى في التورية لبيان صفته وان يكون هو حالا اما من المتوكل او من الكاف في
سميتك فعلى هذا فيه التفات وكذا في قوله ولن نقبضه حتى نقيم بالياء المثناة من تحت
على رواية المشكوة وبعضده ما في شرح السنة لن يقبضه الله وقال الكلبي فظا في القول
غليظ القلب في الفعل وقوله ولا سخاب في الاسواق اي هو لين الجانب شريف النفس
لا يرفع الصوت على الناس لسوء خلقه ولا يكثر الصياح عليهم في السوق لدنائته
بل يلين جانبه لهم ويرفق بهم قوله الملة العوجاء يريد به ملة ابرهيم فانها
قد اعوجت في ايام الفترة فزيدت ونقصت وغيرت وبدلت وما زالت كذلك حتى
قام الرسول فاقامها قوله بان يقولوا متعلق بقوله يقيم فان قلت قوله انه موصوف
في التورية ببعض صفته في القرآن يقتضي ان يكون المذكورات كلها مثبتة في القرآن
قلت اجل اما قوله يا ايها النبي انا ارسلناك ففي الاحزاب وقوله وحرزا للاميين في الجمعة
هو الذي بعث في الاميين رسولا يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة
وقوله سميتك المتوكل الى قوله ولكن يعفو ويغفر في قوله تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب
الى قوله ان الله يحب المتوكلين وقوله ولا سخاب في الاسواق في قوله تعالى فسبح بحمد
ربك وكن من الساجدين اي دم على التسبيح والتحميد واجعل نفسك من الذين لهم
مساهمة ونصيب وافر في السجود فلا تخل بها ولا تشتغل بغيرها ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم
ما اوحي الي ان اكون من التاجرين ولكن اوحي الي ان اكون من الساجدين فقوله ولا سخاب
في الاسواق من باب قوله تعالى ولا شفيع يطاع اذ هو يحتمل ان يراد به نفي سخاب وجدا
ونفيهما معا وهو المراد هنا وقوله ولا يدفع بالسيئة السيئة في قوله تعالى لا تستوي الحسنة
ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن وقوله حتى نقيم به الملة العوجاء في قوله تعالى قل انما
يوحى الي انما الهكم اله واحد اي ما يوحى الي الا ان اقيم التوحيد وانفي الشرك فان قلت كيف
الجمع بين قوله ونفتح بها اعينا عميا وبين قوله تعالى وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم قلت دل
ايلاء الفاعل المعنوي حرف النفي على ان الكلام في الفاعل وذلك انه تعالى نزله لحرصه
على ايمان القوم منزلة من يدعي استقلاله بالهداية فقال له انت لست مستقلا فيه
بل انك لتهدي الى صراط مستقيم باذن الله تعالى وتيسيره وعلى هذا نفتح معطوف على
قوله نقيم اي نقيم الله بواسطة الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله ونفتح بواسطة

هذه

هذه الكلمة اعينا عميا هذا على رواية البخاري والدارمي وكتاب الحميدي وجامع الاصول
واما في المصابيح نفتح بها اعينا عميا على بناء المفعول والاول اصح رواية ودراية فان قلت
هل لليهود ان يتمسكوا بقوله حرزا للاميين على ما زعموا انه مبعوث الى العرب خاصة
قلت لا لقوله حتى يقيم به الملة العوجاء لانهم حرفوا وبدلوا وغيروا فارسل ليقيم عوجهم
واودهم وهل احد اتبع واولى منه باقامة عوجهم والله اعلم الفصل الثاني الاول
خباب قوله ان لا يذيق بعضهم بأس بعض هو من قوله تعالى او يلبسكم شيعا ويذيق
بعضكم بأس بعض المعنى يخلطكم فرقا مختلفين على اهواء شتى كل فرقة منكم
متابعة لامام وتثبت القتال بينكم وتختلطوا وتشتبكوا في ملاحم القتال يضرب بعضكم
رقاب بعض الثاني ابو مالك قوله وان لا تظهر اهل الباطل يريد ان الباطل وان
كثرت انصاره فلا يغلب الحق بحيث يمحقه ويطفئ نوره ولم يكن ذلك بحمد الله مع ابتلينا
به من الامور الفادحة والمحنة العظمى بتسلط الاعداء علينا ومع استيلاء الباطل فالحق
ابلج والشريعة قايمة لم يخمد نارها ولم يندرس منارها اقول وحرف النفي في القرائن
زايد مثل قوله تعالى ما منعك الا تسجد وفايدته توكيد الفعل الذي عليه وتحقيقه وذلك
ان الاجازة انما تستقيم اذا كانت الخلال مثبتة لا منفية الثالث عوف قوله سيفين سيفا
منها وسيفا من عدوها معناه ان سيوفهم وسيوف اعدايهم لا يجتمعان عليهم
فيؤديا الى استيصالهم بل اذا جعلوا بأسهم بينهم سلط الله عليهم العدو فيشغلهم
به عن انفسهم ويكف عنها بأسهم وهو من قول الشيخ التوربشتي اقول والظاهر
ان سال انه تعالى وعدني ان لا يجمع ابدا على امتي بمحاربتين محاربة بعضهم بعضا ومحاربة
الكفار معهم بل يكون احديهما فاذا كان احديهما لا يكون الاخرى لانه موافق للاحاديث
السابقة لانه صلى الله عليه وسلم سأل الله تعالى ان لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم يستاصلهم
وساله ان لا يذيق بعضهم بأس بعض فاجاب الاول ومنع الثاني ولم يجمع بين المنعين
الرابع العباس رضي الله عنه قوله فكانه يسمع مسبب عن محذوف اي جاء العباس غضبانا
بسبب ما سمع طعنا من الكفار في رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو قوله تعالى لولا نزل هذا
القرآن على رجل من القريتين عظيم كانهم حقروا شانه وان هذا الامر العظيم الشان
لا يليق الا بمن هو عظيم من احدى القريتين كالوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي

مثلا فاموهم صلى الله عليه وسلم على سبيل التبكيت على ما يلزم تعظيمه وتفخيمه وانه اولى بهذا
الامر من غيره لان نسبه اعرف وابوته اعلى واشرف ومن ثمة لما قالوا انت رسول الله
يقيهم يقول له انا محمد بن عبد الله ويعضد هذا التاويل ما روى البخاري عن ابي سفين
انه ساله هرقل عظيم الروم عن نسبه صلى الله عليه وسلم فقال هو فينا ذو نسب فقال
هرقل سالتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب وكذا الرسل يبعث في نسب قومها
الا ترى كيف جعل النسب طرفا ليبعث واتى بفي اي عريق في النسب قوله ثم جعلهم
قبايل بعد قوله ثم جعلهم فرقتين اشار الى بيان الطبقات الست التي عليها العرب وهي
الشعب والقبيلة والفخذ والفصيلة فالشعب يجمع القبايل والقبيلة تجمع العماير والعمارة
تجمع البطون والبطن يجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصايل مثل خزيمة شعب وكنانة قبيلة
وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت الشعوب لان
القبايل تشعب منها فقوله خلق الخلق اي الملايكة والثقلين فجعلني في خيرهم اي في
الانس ثم جعلهم فرقتين العرب والعجم فجعلني في خيرهم اي في العرب وهلم جرا
فانا بفضل الله ولطفه وانا بفضل الله ولطفه علي في سابقة الازل خير الخلق نفسا
حيث خلقني انسانا رسولا خاتما للرسل تمم دايرة الرسالة بي وجعلني نقطة تلك الدايرة
وخيرهم بيتا حيث جعلني من طوف جميعهم حولي ويحتاجون الي وخيرهم بطنا حيث نقلني من طيب الى طيب الى
ان نقلني الى صلب عبد الله بالنكاح من اشرف القبايل والبطون فانا افضل خلق الله
واكرمهم عليه الخامس ابو هريرة رضي الله عنه قوله وادم بين الروح والجسد جوابا لقولهم
متى وجبت اي وجبت في هذه الحالة فعامل الحال وصاحبها محذوف وفان السايل العرباض
قوله وان ادم لمنجدل فا لمنجدل مطاوع جدله اذا القاه على الارض واصله الفا
على الجدالة وهي الارض الصلبة وهذا على سبيل انابة فعل مناب فعل والطينة
الخلقة من قولهم طانه الله على طينتك والجار الذي هو في ليس متعلق بمنجدل وانما
وخبره ثان لان والواو مع ما بعدها في محل النصب على الحال من المكتوب والمعنى
كتبت خاتم الانبياء في الحال الذي هو ادم عليه السلام مطروح على الارض حاصل في
اثناء الخلقة لما نفرغ من تصويره واجرا الروح فيه اقول قوله على سبيل انابة فعل مناب
فعل يعني لا يحوز احد منجدل على ان يكون مطاوعا لجدل لما يلزم منه ان يكون ادم

منقولا

منتعلا من الارض الصلبة بل هو ملقى عليها ولا يجوز ان يكون فى متعلقا بمنجدل لما يلزم
منه ان يكون المنجدل مظروف فى طينته وانما هو ظرف له وهو حاصل فيه وفيه ان
الغايات والكمالات سابقة فى التقدم لاحقة فى الوجود قوله باول امري قيل اى
باول ما ظهر من نبوتى ومبعثى فى الدنيا على لسان ابي الملة ابرهيم عليه السلام
وقوله دعوة ابرهيم اى هو دعوة ابرهيم دعا به حين بنى الكعبة فقال ربنا وابعث
فيهم رسولا فاستجاب الله دعاءه فيه وبشارة عيسى اراد قوله تعالى ومبشرا برسول يأتى
من بعدى اسمه احمد قوله رؤيا امى يحتمل ان يراد منها الرؤية فى المنام وفى اليقظة
فعلى الاول معنى وضعتنى اى شارفت وقربت من الوضع وذلك لما روى ابن الجوزي
فى كتاب الوفاء ان امه صلى الله عليه وسلم رأت حين دنت ولادتها اتاها آت فقال
قولي أعيذه بالواحد الصمد من شر كل حاسد بعد ان رأت حين حملت به ان آتيا
اتاها وقال هل شعرت انك حملت بسيد هذه الامة ونبيها وعلى الثاني يكون المرئي
محذوفا وهو ما دل عليه قوله وقد خرج لها نور اضاء لها منه قصور الشام الى آخره
ابو سعيد رضى الله عنه قوله ولا فخر حال مؤكدة اى اقول هذا ولا فخر فى الفخر ادعاء
العظم والمباهاة بالاشياء الخارجة عن الانسان كالمال والجاه فيه وجهان احدهما
ما قاله امتثالا لامر الله تعالى واما بنعمة ربك فحدث وثانيهما انه من البيان الذي
يجب عليه تبليغه الى امته ليعرفوه ويعتقدوه ويعملوا بمقتضاه فى توقيره صلى الله عليه وسلم
كما امرهم الله تعالى قال الراغب فان قلت كيف استحسن مدح الانسان نفسه وقد علم
فى الشاهد استقباحه حتى قيل للحكيم ما الذى لا يحسن وان كان حقا قال مدح الرجل نفسه
قلنا قد يحسن ذلك عند تنبيه المخاطب على ما خفي عليه من حاله كقول المعلم
لمتعلمه اسمع منى فانك لا تجد مثلى وعلى ذلك قول يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن
الارض انى حفيظ عليم وسئل بعض المحققين عن شيء لم يقبح اطلاقه فى الله تعالى
مع ورود الشرع فانشد ويقبح من سواك الشيء عندي وتفعله فيحسن منك ذاكا
قال الشيخ ابو حامد فى الاحياء قال عمر رضى الله عنه المدح هو الذبح وذلك لان المذبوح
هو الذى يفتر عن العمل لان المدح يوجب الفتور ويورث الكبر والعجب وهو لذلك
مهلك كالذبح فان سلم المدح عن هذه الآفات لم يكن به باس بل ربما كان مندوبا اليه

ولذلك اثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة وكانوا اجل رتبة من ان يورثهم
ذلك كبرا او عجبا بل تزيدهم جدا سعيهم على ان تزيد وانما يستوجبون الحمد من مكارم
الاخلاق نه واله صلى الله عليه وسلم اخبارا عما اكرمه الله تعالى به من الفضل والسودد
وتحدثا بنعمة الله تعالى عنده واعلاما منه ليكون ايمانهم به على حسبه وموجبه ولهذا
اتبعه بقوله ولا فخر اى ان هذه الفضيلة التى نلتها كرامة من الله تعالى لم انلها من قبل
نفسى ولا بلغتها بقوتى فليس لى ان افتخر بها واللواء الراية ولا يمسكها الا صاحب الجيش
يريد به انفراده بالحمد على رؤس الخلائق ويحتمل ان يكون لحمده لواء يوم القيمة حقيقة
يسمى لواء الحمد وعليه كلام الشيخ التوربشتى حيث قال لا مقام من مقامات عباد الله الصالحين
ارفع واعلى من مقام الحمد دونه ينتهى سائر المقامات ولما كان نبينا سيد المرسلين
صلوات الله عليه احمد الخلائق فى الدنيا والآخرة اعطى لواء الحمد ليأوى الى لوائه الاولون
والآخرون واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم آدم ومن دونه تحت لوائى ولهذا المعنى
افتتح كتابه بالحمد واشتق اسمه من الحمد فقيل محمد واحمد واقيم يوم القيمة المقام المحمود
ويفتح عليه فى ذلك المقام من المحامد ما لم يفتح على احد قبله ولا يفتح على احد بعده
وامد امته ببركته من الفضل الذى آتاه فنعتت امته فى الكتب المنزلة قبله بهذا
النعت فقال امته الحامدون يحمدون الله فى السراء والضراء ولله الحمد اولا وآخرا
قوله وما من نبى يومئذ آدم نبى نكرة وقعت فى سياق النفى وادخل عليه من الاستغراقية
فيفيد استغراق الجنس وقوله آدم فمن سواه بدل او بيان من محله ومن فيه موصولة
وسواه صلته وصح لانه ظرف واوثر الفاء التفصيلية فى فمن سواه على الواو للترتيب
على منوال قولهم الامثل فالامثل الناسخ ابن عباس رضى الله عنهما قوله سمعهم حال
من الضمير ردنا وقد مقدرة وتذاكرون حال من الضمير المنصوب فى سمعهم والفاء فى قوله
فعيسى جواب شرط محذوف اى اذا ذكرتم الخليل والكليم فاذكروا عيسى كقوله تعالى فلم
تقتلوهم اى اذا افتخرتم بقتلهم فانكم لم تقتلوهم وقوله كلمة الله سمى بها لانه وجد من غير
واسطة اب وروحه اضافة اضافة تشريف كبيت الله ونحوه قوله فخرج عليهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم كرره ليُنبط به غير ما اناط به اولا او يكون خرج اولا من مكان و
ثانيا منه الى آخر قوله قد سمعت كلامكم من باب قوله قلدته سيفا ورمحا اى سمعت

كلامكم واكرمت عجبكم قوله الا وانا حبيب الله ولا فخر هو قريب من القول بالموجب فورد
اولا ما ذكروا من فضايلهم بقوله وهو كذلك ثم نبه على انه افضلهم واكملهم وجامع
لما كان معتفرقا فيهم فالحبيب خليل مكلم ومشرف وقيل من قاس الحبيب بالخليل فقد
اخطأ لان الحبيب من حبة القلب يقال حببته اى اصبت حبة قلبه كما يقال كبدته و
رأسته وفأدته اى اصبت كبده وراسه وفواده والخليل من الخلة وهى الحاجة اي
محب لحاجته الى من يغا له والحبيب محب لا لحاجته وعن جعفر بن محمد قال اظهر اسم الخلة
لابرهيم عليه السلام لان الخليل ظاهر فى المعنى واخفى اسم المحبة لمحمد صلى الله عليه وسلم
لتمام حاله اذ لا يحب الحبيب اظهار حال حبيبه بل يحب اخفاءه وستره لئلا يطلع عليه سواه
ولا يدخل احد فيما بينهما وقال لنبيه وصفيه لما اظهر له حال المحبة قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله ليس الطريق الى محبة الله الا باتباع حبيبه ولا يتوسل الى الحبيب بشئ احسن
من مصاحبة حبيبه وطلب رضاه قيل الخلة تنسب الى العبد ولا تنسب الى الله تعالى فيقال
ابرهيم خليل الله ولا يقال الله خليل ابرهيم وان كان من اسماء المتضايفة التى تقتضي
وجود احدهما وجود الآخر وارتفاعه ارتفاع الآخر لا انه ليس المراد بقولهم ابرهيم
خليل الله مجرد الصداقة بل المراد به الفقر اليه وخص ابرهيم بهذا الاسم وان شاركته
الموجودات كلها فى افتقارها اليه لمعنى فيه وهو انه لما استغنى عن المقتنيات
من اعراض الدنيا واعتمد على الله حقا وصار بحيث لما قال له جبريل عليه السلام
الك حاجة قال اما اليك فلا وصبر اذ القى فى النار وعرض ابنه للذبح صار الاستغناء له
عما سواه فقيرا الى الله فخص بهذا الاسم واما المحبة فاجيز نسبته الى الله تعالى
فقيل محمد حبيب الله وقد قال تعالى فسوف ياتى الله بقوم يحبهم ويحبونه
وقال تعالى فاتبعوني يحببكم الله وقال بعض الصوفية من احب الله فهو المريد
ومنزلته منزلة من ساله فقال رب اشرح لى صدرى ومن احبه الله فهو المراد ومنزلته
منزلة من قال الم نشرح لك صدرك قوله ومعى فقراء المؤمنين هذا دليل على فضلهم
وكرامتهم على الله تعالى لانهم استحقوا محبة الله تعالى بمتابعة حبيبه واتصافهم بصفته
وليس الفقر عند الصوفيه الفاقة والحاجة بل الفقر عند الحاجة اليه تعالى لا الى غيره
والاستغناء بدلا عنه بغيره وقال النورى نعت الفقير السكون عند العدم والبذل عند

الوجه قيل لسهل بن عبد الله التستري النبي صلى الله عليه وسلم استعاذ من الفقر فقال

انما استعاذ من فقر النفس الذي مدح صلى الله عليه وسلم الغنى في ضده الغنى غنى

النفس فكذلك الفقر المذموم فقر النفس وهو الذي استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم

العاشر عشر قوله نحن الآخرون يعني في المجيء الى الدنيا والسابقون في دخول الجنة وغير

ذلك من الفضائل وفي امتي اي في شانهم وشفاعتهم وتخليصهم واجازتهم اي انقذهم

الحادي عشر والثاني عشر انس رضي الله عنه قوله وانا خطيبهم اذا انصتوا اي انا المتكلم بين

الناس حين سكتوا عن الاعتذار فاعتذر لهم عند ربهم فاطلق اللسان بالثناء على الله

تعالى بما هو اهله ولم يؤذن لاحد في التكلم وقوله وانا مستشفعهم في بعض النسخ بفتح

الفاء على بناء المفعول من قولهم استشفعته الى فلان اي سالته ان يشفع اليه وفي بعضها

بكسر الفاء على بناء الفاعل اي سالت الله ان اكون شفيعا لهم الثالث عشر ابو هريرة رضي الله عنه

قوله فاكسى عطف على مقدر على ما رواه صاحب الجامع الرابع عشر ابو هريرة رضي الله عنه

قوله سلوا الله لي الوسيلة المذكورة في دعاء الاذان آت محمدا الوسيلة نه هي في الاصل

ما يتوصل به الى الشيء ويتقرب به وجمعها وسائل تعالى وسل اليه وسيلة وتوسل

انتهى كلامه وانما طلب صلوات الله عليه من امته الدعاء له بطلب الوسيلة افتقارا الى الله

تعالى هضما لنفسه او لينتفع امته ويثاب به ويكون ارشادا لهم في ان يطلب كل منهم

من صاحبه الدعاء له وان اكون انا هو قد وضع فيه الضمير المرفوع مقام المنصوب في خبر

كان وقد سبق بيانه مرارا وقوله فما الوسيلة معطوف على مقدر اي نفعل ذلك وما الوسيلة

والله اعلم الخامس عشر ابي رضي الله عنه قوله امام النبيين هو بكسر الهمزة والذي بفتحها

ونصبه على الظرف فانه لم يصب السادس عشر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قوله ولاة من

النبيين اي احباء وقرناء هم اولى بهم من غيرهم وان وليي ابي يعني به ابراهيم عليه السلام

وقد يفسر بقوله وخليل ربي وفي كتاب المصابيح وان وليي ربي وهو غلط ولعل الذي

حرف هذا دخل عليه الداخل من قوله سبحانه ان وليي الله الذي نزل الكتاب والرواية

على ما ذكرنا هو الصواب مط لو كان كما ذكره التوربشتي لكان قياس التركيب ان يكون وليي

ابي خليل ربي من غير واو العطف الموجب للمغايرة وباضافة الخليل الى ربي ليكون عطف

بيان لابي اقول والرواية المعتبرة كما ذكره الشيخ في جامع الترمذي وجامع الاصول وكذا في

سند

مسند الامام احمد بن حنبل وايضا لو ذهب الى ان خليلك ذى عطف بيان بلا واو لزم
حمول كون ابرهيم عليه السلام ابا النبي صلى الله عليه وسلم وولية فاتى به بيانا واذا جعل
معطوفا عليه لزم شهرته به والعطف يكون لاثبات وصف آخر له عليه السلام على سبيل
المدح فعلى ما عليه الرواية يلزم مدحه مرتين بخلاف ذلك ونحوه فى الاعتبار قال الشاعر
انا ابن نهشل لا ندعى لاب عنه ولا هو بالابنا يشرينا اى ان اذكر من لا يخفى شانه لا
نفعل كذا فلو جعل بنى نهشل خبرا لزم اما خمول المتكلم او الجهل بارتفاع شان القوم
فان قلت لزم من قوله لكل نبي ولاة ان يكون لكل واحد منهم اولياء متعددة قلت لا لان
النكرة المفردة اذا وقعت فى مكان الجمع افادت الاستغراق اى ان لكل واحد واحدا واحدا
واحدا كقوله تعالى ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام السابع عشر جابر رضى الله عنه قوله مكارم
الاخلاق هو من اضافة الصفة الى الموصوف كقولهم جرد قطيفة واخلاق ثياب وكذا قوله
محاسن الافعال كل شيء تشرف فى بابه فانه يوصف بالكرم قال وانبتنا فيها من كل زوج
كريم ومقام كريم وانه لقرآن كريم واذا وصف الله تعالى به فهو اسم لاحسانه وانعامه المتظاهرة
واذا وصف به الانسان فهو اسم للاخلاق والافعال المحمودة التى يظهر منه ولا يقال هو كريم
حتى يظهر ذلك منه قال بعض العلماء الكرم كالحرية الا ان الحرية قد يقال فى المحاسن الصغيرة
والكبيرة والكرم لا يقال الا فى المحاسن الكبيرة انتهى كلامه ومعنى هذا الحديث وحديث ابى هريرة
مثلى ومثل الانبياء الى قوله انا سددت موضع اللبنة متقاربان فى معنى اتمام الناقص الثامن عشر
كعب رضى الله عنه قوله ملكه بالشام اراد بالملك ههنا النبوة والدين فان ذلك يكون بالشام
اغلب والا فملكه بجميع الآفاق لقوله وسيبلغ ملك امتى ما زوى لى منها وقيل معناه الغزو و
الجهاد ثمة لانه يصير بلاد الكفار بالجهاد ملكا لاهل الاسلام ولهذا لا ينقطع الجهاد فى بلاد الشام
اصلا وامر بالمسافرة اليها لادراك فضيلة الجهاد والمرابطة فى سبيل الله يحمدون الله فى كل منزلة
اى فى كل منزل ولعل تانيثه باعتبار البقعة والناحية ما لذى الرمة امنزلتى مى سلام عليكما
اى يا منزلى مى اذا نزلوا منزلا شكروا الله تعالى عليه لانه اواهم الى المنزل والسكون فيه
وقوله على كل شرف اى يكبرون الله على كل موضع عال تعجبا لعظمة الله تعالى وقدرته لما
يشرفون منها على عجايب خلق الله وقوله رعاة للشمس جمع راع اى انهم يحفظون اوقات الصلوة
بطلوع الشمس وغروبها ودلوكها يراعون ذلك وينظرون سيرها ليعرفوا مواقيت الصلوة

كيلا يفوت منهم الصلوة في وقتها وقوله يأتزرون على انصافهم اى يشدون الازر على
انصافهم من السرة الى الركبة او يشدون معقد السراويل والمراد مبالغتهم في ستر عوراتهم
ويجوز ان يكون على بمعنى الى اي ازرهم الى انصاف سوقهم اقول وفيه ادماج لمعنى التجلد
والتشمر للقيام الى الصلوة لان من شد ازاره الى ساقه تشمر لمزاولة ما اهتم بشأنه يقال
كشف عن ساق الجد وقامت الحرب على ساقها او يكون كناية عن التواضع والاخبات كما ان
جر الازار كناية عن الكبر والخيلاء ويتوضئون على اطرافهم اى يصبون الماء في التوضي
على اطرافهم ويسبغون اماكن الوضوء مناديهم ينادي في جو السماء اي يؤذن مؤذنهم
في مواضع عالية كالمنارة وغيرها وقوله صفهم في القتال شبه صفوفهم في الجماعات بسبب
مجاهدتهم النفس الامارة والشيطان بصف القتال والمجاهدة مع اعداء الدين و
اخرجه مخرج التناسي في التشبيه ايذانا بان كل واحد منهما يصح ان يكون مشبها ومشبها به
بل اخرج صف الصلوة ليكون مشبها به لكونه ابلغ وقوله لهم بالليل دوي اى صوت
خفي بالتسبيح والتهليل وقراءة القرآن كدوي النحل التاسع عشر عبد الله قوله وعيسى بن
مريم يدفن معه هذا هو المكتوب في التورية اى مكتوب في التورية صفة محمد صلى الله عليه وسلم
كيت وكيت وعيسى بن مريم يدفن معه او المكتوب صفة محمد كذا وعيسى بن مريم معه
وابو مودود هو احد رواة الحديث مدني الفصل الثالث الاول ابن عباس رضي الله عنهما
قوله ومن يقل منهم اني اله من دونه يفهم التفضيل من صولة الخطاب وغلظته
في مخاطبة اهل السماء وفرض ما لا يتأتى منهم وجعله كالواقع وترتب الوعيد الشديد
عليه اظهارا لكبريائه وجلالته وانهم بعداء من ان ينسبوا الى ما يشاركونه كقوله و
جعلوا بينه وبين الجنة نسبا تحقيرا لهم وتصغيرا لشأنهم ومن ملاطفته في الخطاب
معه صلوات الله وسلامه عليه وان ما صدر او يصدر منه مغفور وجعل فتح
مكة علة للمغفرة والنصرة واتمام النعمة والهداية الى الصراط المستقيم وانزال السكينة
في قلوب المؤمنين انظر كم التفاوت بين هذا الوعد وذلك الوعيد واما بيان فضله
على الانبياء فان الآية دلت على ان لكل نبي مرسل الى قوم مخصوص وهو صلى الله عليه وسلم
مرسل الى كافة الناس ولا ارتياب ان الرسل انما بعثوا لارشاد الخلق الى الصراط المستقيم
باخراج الناس من الظلمات الى النور ومن عبادة الاصنام الى عبادة الملك العلام لكل قوم

يقال ادمجت الشيء اذا لففته في ثوب

كان

كان منهم في هذا الامر اكثر تاثيرا كان افضل واخص وكان له صلى الله عليه وسلم فيه القدح
المعلى وحاز قصب السبق اذ لم يكن مختصا بقوم دون قوم وزمان دون زمان بل دينه
انتشر في مشارق الارض ومغاربها وتغلغل في كل مكان واستمر امتداده على وجه كل
زمان زاده الله شرفا على شرف وعلا على علو ما ذر شارق ولمع بارق فلله الفضل بحذافيره
سابقا ولاحقا ولقد صدق الله وعده في قوله ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان
الارض يرثها عبادي الصالحون وحقق قول حبيبه صلوات الله عليه فيما اخبر به من
قوله زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وما سيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها
قوله فارسله الفا للتعقيب ظاهر العبارة تقتضي ان تكون للنتيجة وتوجيهه ان تعريف
الناس لاستغراق الجنس وكافة تكف على فرد فرد من افراد هذا الجنس اي تكفح من الارسال
لان كافة اما حال من المفعول او صفة مصدر محذوف والجن تبع للانس وهداية الجن تابعة
لهداية الانس فمن طريق الالتزام يلزم تناول رسالته صلى الله عليه وسلم للثقلين جميعا الثاني
ابي ذر رضي الله عنه قوله حتى استيقنت حتى غاية للعلم اي كيف تدرجت في العلم
حتى بلغ علمك غايته التي هي اليقين قوله فوزنته اي غلبته في الوزن تنتثر
علي اي تتساقط الالف الموزون علي من خفة تلك الكفة وفيه ان الامة كما
يفتقرون في معرفة كون النبي صادقا الى اظهار خوارق العادات بعد التحدي
كذلك النبي تفتقر معرفة كونه نبيا الى امثال هذه الخوارق الثالث ابن عباس رضي الله عنهما
قوله كتب علي النحر اي وجب عني به قوله تعالى فصل لربك وانحر ولم يوجد في الاحاديث
وجوب الضحى عليه صلوات الله عليه الا في هذا الحديث باب اسماء النبي صلى الله عليه وسلم
وصفاته ذكر ابو بكر بن العربي المالكي في كتابه الاحوذي في شرح الترمذي عن بعضهم
ان لله تعالى الف اسم وللنبي صلى الله عليه وسلم الف اسم ايضا ثم ذكر منها على التفصيل
بضعا وستين قال ابن الجوزي في الوفا ذكر ابو الحسين بن فارس اللغوي
ان لنبينا صلى الله عليه وسلم اثنين وعشرين اسما محمد واحمد ومحمود قيل هو اسم منقول
من التحميد وهو المبالغة في الحمد يقال حمدت فلانا احمده اذا اثنيت عليه بجلائل
خصاله واحمدته اذا وجدته محمودا ويقال هذا الرجل محمود فاذا بلغ النهاية في ذلك
وتكاملت فيه المحاسن والمناقب فهو محمد قال الاعشى يمدح بعض الملوك الى الماجد

الفرع الجواد المحمد اراد الذى تكاملت فيه الخصال المحمودة وهذا البناء ايضا يدل على
بلوغ النهاية كما تقول فى الحمد محمد وفى الذم مذمم وقيل هذا البناء للتكثير نحو فتحت
الباب فهو مفتح اذا فعلت به ذلك مرة بعد اخرى ومحمد اسم منقول من الصفة على
سبيل التفاؤل انه يستكثر حمده واما احمد فافعل من الحمد قطع متعلقه للمبالغة قال
ابن الجوزى فى الوفا قال ابن قتيبة ومن اعلام نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم انه لم يسم
احد باسمه صيانة من الله تعالى لهذا الاسم كما فعل بيحيى اذ لم يجعل له من قبل سميا
وذلك انه تعالى سماه فى الكتب المتقدمة وبشر به الانبياء فلو جعل الاسم مشتركا فيه
شاعت الدواعى ووقعت الشبهة الا انه لما قرب زمنه وبشر اهل الكتاب بقربه سموا
اولادهم بذلك والماحى قيل هو الذى يمحو الله به الكفر لانه صلى الله عليه وسلم بعث
والدنيا مظلمة بغياهب الكفر فاتى النبى صلى الله عليه وسلم بالنور الساطع حتى محى الكفر
من قولك محوت الخط محوا ومحت الريح والامطار رسم الربع ح يحتمل ان يراد به الظهور
بالحجة والغلبة كما قال تعالى ليظهره على الدين كله وجاء فى حديث آخر مفسرا بالذى
محيت به سيئات من تبعه كما قال تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم
ما قد سلف والحاشر ح اى يحشر اول الناس لقوله صلى الله عليه وسلم انا اول من ينشق
عنه الارض ح هو من قوله يحشر الناس على قدمى اى على اثرى وزمان نبوتى
وليس بعدى نبى اقول هو من اسناد المجازى لانه سبب فى حشر الناس لان الناس
لم يحشروا ما لم يحشر ومنه قوله ناقة ضبوث شك فى سمنها فضبثت اى جسست
وانما جعلت ضابثة لما بها من الداعى الى الضبث ومنه الحلوب والركوب والعاقب
ح قال ابن الاعرابى العاقب والعقوب الذى يخلفه فى الخير من كان قبله ومنه
عقب الرجل يقال لولده والمقفى ح قيل هو على صيغة الفاعل المولى الذاهب يقال
قفى عليه اى ذهب به فكان المعنى هو آخر الانبياء فاذا قفى فلا نبى بعده فمعنى المقفى والعاقب
لانه تبع الانبياء صلوات الله عليهم وهو المقفى لانه المتبع للنبيين وكل شىء متبع شيئا فقد
قفاه يقال هو يقفو اثر فلان اى يتبعه قال تعالى ثم قفينا على آثارهم برسلنا وسميت قافية
البيت بها لانها كلمة تتبع سائر الكلمات وسمى القفا لانه خلف الوجه هذا احد الوجهين
فى تسمية النبى صلى الله عليه وسلم المقفى والوجه الآخر ان يكون المقفى بفتح الفاء ويكون ما خوفا

من

ـن الغني والكفي الكريم والضعيف والعفاوة اللين واللطف فكانه سمي المقفى اي لكرمه وفضله
و الوجه الاول احسن واوضح ونبي الرحمة قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
و قال صلى الله عليه وسلم انما انا رحمة مهداه والرحمة العطف والرأفة والاشفاق لانه صلى الله عليه وسلم
كان بالمومنين رحيما ونبي الملاحم جمع الملحمة وهي الحرب سمي به لحرصه على الجهاد و
مسارعته الى النزاع وقلة احجامه ولذلك قال علي رضي الله عنه كان اذا احمر البأس اتقينا
برسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن احدنا الى العدو اقرب منه فان قيل قد قال
النبي صلى الله عليه وسلم انا نبي الرحمة ونبي الملاحم كيف وجه الجمع بينهما وقال صلى الله عليه وسلم انما
انا رحمة وقال جل ذكره وما ارسلناك الا رحمة للعالمين كيف يكون مبعوثا بالرحمة وقد بعث
بالسيف قيل هو مبعوث بالرحمة كما ذكر وكما اخبر الله تعالى وذلك ان الله تعالى بعث الانبياء
عليهم السلام وايدهم بالمعجزات فمن انكر من تلك الامم الحق بعد الحجة والمعجزة عذبوا
بالهلاك والاستيصال واستوى لي بهذه الامة فلم يعاجلوا بالهلاك والاستيصال ولكن الله
امر نبيه بالجهاد معهم بالسيف ليرتدعوا عن الكفر ولم يحاجوا بالسيف فان للسيف بعده
وليس مع العذاب المنزل بقية وروى ان قوما من العرب قالوا يا رسول الله افنانا السيف
فقال ذاك ابقى لآخركم فهذا معنى الرحمة المبعوث بها ذكره الخطابي قال الشيخ الامام وهما يؤيد
ذلك حديث عائشة رضي الله عنها ان الله تعالى بعث اليه ملك الجبال فقال ان شئت ان
اطبق عليهم الاخشبين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجو ان يخرج الله من اصلابهم
من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا وهو مبعوث بالرحمة ايضا من حيث ان الله تعالى
وضع في شريعته عن امته ما كان في شرايع الامم السالفة عليهم من الآصار والاغلال
قال الله تعالى في كتابه في قصة موسى عليه السلام ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها
للذين يتقون الى قوله ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم واعطى امته
من الاعمار القصيرة على الاعمال اليسيرة ضعف ما اعطى الامم الماضية في الاعمار الطويلة
على الاعمال الكثيرة الثقيلة كما جاء في حديث ابن عمر ان اليهود والنصارى قالوا ما لنا اكثر
عملا واقل عطاء قال الله تعالى فذلك فضلي اوتيه من اشاء فقد اكمل الله على الخلائق
بارساله الرحمة واتم عليهم النعمة واعظم عليهم المنة فلله الحمد اولا وآخرا وظاهرا وباطنا
والشاهد لانه هو الذي يشهد يوم القيامة للانبياء على الامم بتبليغ الانبياء اليهم

رسالات الله جل ثناؤه ويشهد على امته وقال تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وشهيد لهم اى مزكيهم قال تعالى لتكونوا شهداء على الناس
ويكون الرسول عليكم شهيدا وقيل سماه شاهدا لمشاهدته الحال كانه الناظر اليها
والمخبر بها شاهد منها او نقال للسان الشاهد لانه معرب ويشهد قال الاعشى والتمس
شاكرا لكل نعمة على شاهدي يا شاهد الله فاشهد يراد بشاهد نفسه اللسان و
بشاهد الله الملك والمبشر والنذير بشر اهل الايمان بالجنة والرضوان وانذر
اهل النار بالخزى والهوان والضحوك هو اسمه في التورية وذلك انه كان طيب النفس
فكها كان لا يحدث بحديث الا ضحك حتى يبدو نواجذه وكان لينا مع الجفاة لطيفا في المنطق
متبسما كان وجهه دارة القمر عند امتلائه نور صلى الله عليه وسلم والمتوكل هو الذي يوكل اموره
الى الله عز وجل فاذا امره الله بالشيء نهض غير هيوب ولا ورع فاشتقاق التوكل من قولنا
رجل وكل اى ضعيف وكان صلى الله عليه وسلم اذا دهمه امر عظيم او نزلت به ملمة من الملمات
راجعا الى ربه غير متكل على حول نفسه وقوتها والفاتح سمى به لفتحه من الايمان ابوابا
منسدة والفتح الحكم قال تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق اى احكم فسمى صلى الله عليه وسلم
فاتحا لانه تعالى جعله حكما فى خلقه فحملهم على المحجة البيضاء ويحتمل ان يكون الفاتح من فتحه
ما استغلق من العلم وهذا الوجه مروي عن على رضى الله عنه والامين ما خوذ من الامانة
وكان صلى الله عليه وسلم يسمى قبل البعثة امينا لما عاينوا من امانته وحفظه لها وكل من آمن منه
يكون بايجاده تعالى اياه صافيا عن الشوب الموجود فى غيره وقد نحو ذلك باختيار وحكمه
وان لم تتعين ذلك من الاول فاما المصطفى فقد شاركه فيه الانبياء عليهم السلام وعند الاطلاق
فنعهم محمد صلى الله عليه وسلم لانه ارفع قدرا والخاتم من ختمت الشيء اذا تممته وبلغت آخره وخاتمة الشيء
وختامه آخره ومنه ختم القران سمى صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين لانه آخرهم فى البعثة الى الخلق وان كان
فى الفضل اول والرسول والنبي والامي قد اراد به انه من مكة وهى ام القرى وقيل المراد الذي
لا يكتب ولا يقرأ والقثم من القثم وهو الاعطاء سمى به لانه صلى الله عليه وسلم كان اجود بالخير من
الريح الهابة ويعطى فلا يبخل ويمنح فلا يمنع او من القثم الجمع يقال للرجل الجموع للخير قثوم
سمى به صلى الله عليه وسلم لانه كان جامعا لجميع المناقب الرفيعة والفضائل السنية والى … اصح
واقرب ونقل هذه الاسامي من الوفا وما هو مذكور فى الكتاب والسنة [illegible] هدى

ونبي التوبة

ونبي التوبة لانه تواب كثير الرجوع الى الله تعالى لقوله صلى الله عليه وسلم انى استغفر الله
فى اليوم سبعين مرة اومائة مرة ولانه قبل من امته التوبة بمجرد الاستغفار بخلاف الامم
السابقة قال تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول
لوجدوا الله توابا رحيما الا ترى كيف عدل من المضمر الى المظهر فى قوله واستغفر لهم الرسول
اى شفاعة من اسمه الرسول لقبول توبة المذنبين بكانه عظيمة عند الله تعالى ولما كان هذا
المعنى مختصا به سمى نبي التوبة والقاسم قال صلى الله عليه وسلم انا القسم والله المعطى والعبد قال
الله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده وفاوحى الى عبده وعبد الله قال لما قام عبد الله يدعوه
والمزمل والمدثر روى عن عكرمة اى الذى زمل امرا عظيما اي حمله وروى عن ابن عطا يا ايها
المعنى بما نظهر عليك من آثار الخصوصية آن اوان كشفه فاظهر فقد ايدناك بمن تبعك
ويوافقك ولا يخذلك ولا يخالفك وهوابوبكر وعمر رضى الله عنهما والشفيع والشافع والمشفع والحبيب
والخطيب والحبى والخليل والداعى قال تعالى وداعيا الى الله اى داعيا لاهل الشرك والجاهلية الى
التوحيد وشرايع الاسلام باذنه اى بتيسيره وتسهيله والسراج المنير اى السراج المنير
الذي جلى به الله ظلمات الشرك واهتدي به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى
به اى امد الله بنور نبوته نور البصاير كما يمد بنور السراج نور الابصار ووصفه بالانارة لان
من السراج ما لا يضئ وحريص ورؤف ورحيم قال تعالى حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم
والطيب قال تعالى الطيبون للطيبات واولوا العزم قال تعالى واصبر كما صبر اولوا العزم والصاحب
قال تعالى ما ضل صاحبكم والصالح مومن قول الانبياء مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح والسيد
والعابد والامام من قوله انا سيد ولد آدم ولا فخر وانا قايدهم اذا وفدوا والحوزمن قوله وحرزا للاميين
والامام من قوله كنت امام النبيين والنور قالت له خرج لها نور اضا لها والازهر من قوله ازهر اللون
والاجود من قوله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير والشكور من قوله افلا اكون
عبدا شكورا الفصل الاول الاول جبير قوله على قدمى اى على اثرى والطاهر على قدميه
اعتبارا للموصول الا انه اعتبر المعنى المدلول للفظه اناح ضبطوه بتخفيف اليا على الافراد و
تشديدها على التثنية الماحى والثالث ابوهريرة رضى الله عنه قوله شتم قريش نو ويد بذلك تعريضهم
اياه بمذمم مكان محمد وكانت العوراء بنت حرب زوجة ابي لهب تقول مذمما قلينا ودينه ابينا
وامره عصينا الرابع جابر رضي الله عنه قوله واذا شعث راسه اى تفرق شعر راسه فدت

هذا على انه عند الادنا يجمع شعر راسه و يضم بعضه الى بعض وكانت الشعرات
السف من قلتها لا يتبين فاذا اشعث راسه ظهرت قوله لابل مثل الشمس و القمر يقع
الراوى ردا بليغا حيث شبهه بالسيف الصقيل ولما لم يكن الوجه شاملا للطرفين
قاصرا فى تمام المراد من الاستدارة و الاشراق الكامل و الملاحة وحين جرى
التعارف فى تمثيل الشمس بالاشراق والقمر فى الحسن دون الاستدارة اتى بقوله
وكان مستديرا بيانا للمراد فيهما الخامس عبد الله قوله ناغض كتفه نه النغض و الناغض
اعلى الكتف وقيل هو العظم الرقيق الذى على طرفه والجمع هو ان يجمع الاصابع و يضمها تقال
ضربه بجمع كفه بضم الجيم والخيلان جمع الخال وهو الشامة فى الجسد والثاليل جمع ثؤلول
وهو هذه الحبة التى تظهر فى الجلد كالحمصة فما دونها ع وظاهر قوله جمعا يحتمل
ان يكون المراد تشبيهه به فى الهيئة وان يكون فى المقدار والمراد به ههنا الهيئة ليوافق
قوله مثل بيضة الحمام السادس ام خالد قوله خميصه سودا مط الخميصة كساء اسود
مربع له علمان ومحله حال من الضميرين فى بها و التكرار فى قوله ابلى واخلقى دعا لها بطول
عمرها فزبرنى ابى اى صاح على ونهانى عن ذلك وقد اشار الشيخ الصمدانى شهاب الدين
السهروردى قدس سره فى عوارفه الى استناد المشايخ الصوفيه لبس الخرقة بهذا الحديث
السابع انس رضى الله عنه قوله بالطويل البائن مص الظاهر البين طوله من بان اذا ظهر
نه اى المفرط طولا الذى بعد من قدر الرجال الطوال والامهق هو الكريه البياض كلون
الجص يريد انه كان نير البياض ولا بالادم اى الشديد السمرة والقطط الشديد الجعودة
والسبط من الشعر المنبسط المسترسل اى كان شعره صلى الله عليه وسلم وسطا بينهما يقال رجل
ربعة ومربوع ان كان بين الطويل والقصير والازهر الابيض المستنير والزهرة البياض
النير وهو احسن الالوان وقوله شثن القدمين والكفين اى انهما يميلان الى الغلظ والقصر
وقيل هو الذى فى انامله غلظ بلا قصر ويحمد ذلك فى الرجال لانه اشد لقبضهم ويذم فى النساء
الثامن البراء قوله بله احسن نه اللمة من شعر الراس دون الجمة سميت بذلك لانها المت بالمنكبين
فاذا زادت فهى الجمة التاسع سماك قوله ضليع الفم ع اى عظيمه هكذا قاله الاكثرون وهو الاظهر قالوا
والعرب تمدح ذلك وتذم صغر الفم وقال شمر عظيم الاسنان واما قوله اشكل العينين فقال القاضى
عياض تفسير سماك اشكل العينين وهم سند وغلط ظاهر وصوابه ما اتفق عليه العلماء و نقله ابو عبيد

وجميع

وجميع اصحاب الغريب وهو ان الشكلة حمرة في بياض العين وهو محمود واما المنهوس
فالشيخ المجهد العاشر ابو الطفيل وهو متقصد هو الذي ليس بطويل ولا قصير
ولا جسيم كان خلقه نحي به القصد من الامور والمعتدل الذي لا يميل الى احد طرفي
التفريط والافراط الحادي عشر ثابت قوله انه لم يبلغ ما يخضب اي كان قليل الشيب لا يظهر
في بادر النظر ولم يفتقر الى كتمه بالخضاب قوله شمطات الشمط الشيب والشمطات
الشعرات البيض التي كانت في شعر لحيته يريد به قلتها ونبذ اي يسير من شيب
يقال بارض كذا نبذ من كلأ اي شيء يسير والعنفقة الشعر الذي في الشفة
السفلى وقيل الشعر الذي بينها وبين الذقن واصل العنفقة خفة الشيء وقلته
انتهى كلامه ونبذ مبتدأ وقوله في عنفقته خبره والجملة خبر كان والعائد محذوف
اي نبذ منه الثاني عشر انس رضي الله عنه قوله تكفأ هو بالهمزة وقد يترك همزه وزعم
كثيرون انه بلا همز وليس كما قالوا وقيل يميل الى قدام كما تتكفأ السفينة في جريها
من قولهم كفأته وكفأته اذا املته يقال كفأته فانكفأ وتكفأ واراد به الترفع عن
الارض مرة واحدة كما يكون مشي الاقوياء وذوي الجلادة بخلاف المتهاون
الذي يجر رجله في الارض ويدل عليه قول الواصف اذا مشى تقلع قال شمر
معناه مال يمينا وشمالا كما يكفأ السفينة قال الازهري هذا خطأ لان هذه صفة
المختال قال القاضي عياض لا بعد فيما قاله شمر اذ كان خلقة وجبلة والمذموم منه
ما كان مستعملا مقصودا الثالث عشر انس رضي الله عنه قوله يأتيها فيقيل
ام حرام وام سليم كانتا خالتين لرسول الله صلى الله عليه وسلم محرمتين اما من الرضاع
واما من النسب فيحل له الخلوة بهما وكان يدخل عليهما خاصة فلا يدخل على غيرهما
من النساء وقد وجدت في بعض كتب الحديث انها كانت من ذوات محارم النبي
صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم لم يكن ليقيل في بيت اجنبية واذا لم يكن بينه و
بينهما سبب محرم من رحم وصلة فلا بد ان تكون ذلك من جهة الرضاع واذ قد علمنا
ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يحمل الى المدينة رضيعا بعيد ان تكون ذلك من قبل
ابيه عبد الله فانه ولد بالمدينة وكان عبد المطلب قد فارق اباه هاشم

وتزوج بالمدينة في بني النجار وام حرام وام سليم بنتا ملحان كانتا من بني النجار
فعرفنا من جميع ذلك ان المحرمية بينهم كانت من جهة الرضاع ولقد وجدنا الجم الغفير
من علماء النقل اوردوا احاديث ام حرام وام سليم ولم يبين احد منهم العلة
اما من الغفلة عنها واما لعدم العلم بها فاحببت ان ابين وجه ذلك كيلا يظن
جاهل انه كان في سعة ذلك لما كان بالعصمة ولا يتذرع به مستبيح الى الترخص
بما لا رخصة فيه واني والله اول من وقف لتلك فوائدها الهاما من دونه كنت مستخرجها
والله احمد على هذه الموهبة السنية الرابع عن جابر رضي الله عنه قوله صلوة الاولى
هي صلوة الظهر ح في مسحه الصبيان بيان حسن خلقه صلى الله عليه وسلم ورحمته للاطفال
وملاطفتهم قوله من جونة عطار ه هو بضم الجيم التي يعد فيها الطيب ويحرز ح وفي
الحديث بيان طيب ريحه صلى الله عليه وسلم وهو مما اكرمه الله سبحانه وتعالى به قالوا
كانت هذه الريح الطيبة صفته وان لم يمس طيبا ومع هذا وكان يستعمل الطيب في
كثير من الاوقات مبالغة في طيب ريحه لملاقاة الملائكة واخذ الوحي الكريم ومجالسة
المسلمين الفصل الثاني الاول علي رضي الله عنه قوله مشربا حمرة اه الاشراب خلط
لون بلون كان احد اللونين سقى اللون الآخر يقال بياض مشرب حمرة بالتخفيف
فاذا شدد كان للتكثير والمبالغة والكراديس رؤوس العظام واحدها كردوس
وقيل هي ملتقى كل عظمين ضخمين كالركبتين والمرفقين والمسربة بضم الراء ما دق من
شعر الصدر سائلا الى الجوف قوله تكفا تكفيا اه اي تمايل الى قدام هكذا روي غير مهموز
والاصل الهمز وبعضهم يرويه مهموزا لان مصدر تفعل من الصحيح تفعل كتقدم تقدما وتكفا
تكفؤا والهمزة حرف صحيح واما اذا اعتل انكسرت عين المستقبل منه نحو تخفى تخفيا وتسمى تسميا
فاذا خففت الهمزة التحقت بالمعتل وصار تكفيا بالكسر ح الصبب الحدور وهو ما انحدر
من الارض يريد بذلك انه كان يمشي مشيا قويا يرفع رجليه من الارض رفعا بائنا لا كمن يمشي
اختيالا ويقارب خطاه تنعما الثاني علي رضي الله عنه قوله الممغط هو بتشديد الميم الثانية
المتناهي في الطول وامغط النهار اذا امتد ومغطت الحبل وغيره اذا مددته واصله منمغط
والنون للمطاوعة فقلبت ميما وادغمت في الميم ويقال بالعين المهملة بمعناه والمتردد الذي تناهى
في القصر كانه يرد بعض خلقه على بعض وتداخلت اجزاؤه والمطهم هو المنتفخ الوجه وقيل

الفاحش

الفاحش السمن وقيل النحيف الجسم وهو من الاضداد والمكلثم هو من الوجه القصير
الحنك الداني الجبهة المستدير مع خفة اللحم اراد انه كان اسيل الوجه ولم يكن مستديرا
لما كان المكلثم المستدير بيّن بقوله وكان في الوجه تدوير انه لم يكن مستديرا كل
الاستدارة بل كان فيه بعض ذلك ويكون معنى قوله وكان في الوجه تدوير اي
تدوير ما وكان بين الاسالة والاستدارة مسنون الوجه الدعج والدعجة
شدة السواد في العين وغيرها يريد ان سواد عينيه كان شديدا وقيل الدعج شدة
سواد العين في بياضها واهدب الاشفار اي طويل شعر الاجفان جليل المشاش
اي عظيم رؤس العظام كالمرفقين والكتفين والركبتين وقال الجوهري هي رؤس
العظام اللينة التي يمكن مضغها والكتد بفتح التاء وكسرها مجتمع الكتفين وهو الكاهل
والاجرد الذي ليس على بدنه شعر ولم يكن صلى الله عليه وسلم كذلك وانما اراد به
ان الشعر كان في اماكن من بدنه كالمسربة والساعدين والساقين فان ضد الاجرد
الاشعر وهو الذي على جميع بدنه شعر وشثن الكفين والقدمين اي انهما يميلان
الى الغلظ والقصر وقيل هو الذي في انامله غلظ بلا قصر ويحمد ذلك في الرجال
لانه اشد لقبضهم ويذم في النساء وقوله اذا مشى تقلع اراد قوة مشيه كانه
يرفع رجليه من الارض رفعا قويا لا كمن يمشي اختيالا ويقارب خطاه فان ذلك من
مشي النساء ويوصفن به وقوله اذا التفت التفت معا اراد انه لا يسارق النظر وقيل
اراد لا يلوي عنقه يمنة ولا يسرة اذا نظر الى الشيء وانما يفعل ذلك الطائش الخفيف
ولكن كان يقبل جميعا ويدبر جميعا يريد انه اذا كان توجه الى الشيء توجه بكليته
ولا يخالف ببعض جسده بعضا كيلا يخالف بدنه قلبه وقصده مقصده لما في ذلك
من التلون واما رة الخفة واللهجة اللسان يقال هو فصيح اللهجة من لهج بالشيء اي ولع
به والعريكة الطبيعة يقال فلان لين العريكة اذا كان سلسا مطاوعا منقادا قليل
الخلاف وهاب الشيء يهابه اذا خافه واذا وقره وعظمه ومن رآه بديهة اي مفاجاة
وبغتة يعني من لقيه قبل الاختلاط به هابه لوقاره وسكونه فاذا جالسه وخالطه
بان له حسن خلقه فيه والنعت وصف الشيء بما فيه من حسن ولا يقال في القبيح الا ان يتكلف
متكلف فيقول نعت سوء والوصف يقال في الحسن والقبيح انتهى كلامه والمعنى من اراد ان يصفه

فيعجز عن وصفه بقول لم ار قبله ولا بعده مثله هكذا هو في الترمذي والجامع اي الصحيحة
وفي المصابيح الحسنة اي الصاحب الثالث جابر رضي الله عنه قوله من ربح عرقه
هو بفتح الراء والقاف واو للترديد الراوي وقد سبق عن الشيخ محيي الدين معناه في
الحديث الآخر من الفصل الاول الرابع ابو عبيدة قوله لو رايته رايت الشمس طالعة
اي رايت منه شمسا طالعة جرد من نفسه الزكية الطاهرة شمسا وهي نحو قولك
لئن لقيته ليلقينك منه الاسد واذا نظرت اليه لم تر الا اسدا الخامس جابر رضي الله عنه
قوله اضحيان فا يقال ليلة ضحيا واضحيا واضحيانة وهي المقمرة من اولها الى آخرها و
افعلان مما قل في كلامهم وهو بكسر الهمزة السادس ابو هريرة رضي الله عنه قوله كان الشمس تجري
في وجهه شبه جريان الشمس في فلكها بجريان الحسن في وجهه وفيه معنى قول الشاعر
يزيدك وجهه حسنا اذا ما زدته نظرا وفيه ايضا عكس التشبيه للمبالغة ويجوز ان يقدر
متعلق الخبر الاستقرار فيكون من باب تناسي التشبيه فجعل وجهه صلوات الله عليه
مقرا ومكانا لها وهو من باب التناسي قول الشاعر هي الشمس مسكنها في السماء فعز الفؤاد
عزاء جميلا قوله انا لنجهد انفسنا هو فيه فتح النون وضمها يقال جهد دابته واجهدها
اذا حمل عليها فوق طاقتها نه لغير مكترث اي غير مبال ولا يستعمل الا في النفي اما في
الاثبات فشاذ السابع جابر رضي الله عنه قوله حموشة مص حموشة الساق دقتها
يقال حمشت قوائم الدابة اذا دقت وشيء حمش قليل اللحم قوله لا يضحك الا تبسما جعل
التبسم من الضحك واستثنى منه فان التبسم من الضحك بمنزلة السنة من النوم ومنه
قوله تعالى فتبسم ضاحكا اي شارعا في الضحك الفصل الثالث الاول ابن عباس رضي الله عنهما
قوله افلج الثنيتين نه الفلج بالتحريك فرجة ما بين الثنايا والرباعيات والفرق فرجة بين
الثنيتين انتهى كلامه وفي الحديث استعمل فلج موضع فرق والضمير في يخرج يجوز ان يرجع
الى ما دل عليه تكلم وان رجع الى النور فالكاف زائدة نحو قولك مثلك يجود فعلى الاول
تشبيه ووجهه البيان والظهور كما شبهت الحجة الظاهرة بالنور وعلى الثاني لا تشبيه
فيه فيكون من معجزاته صلى الله عليه وسلم الثاني كعب قوله وكنا نعرف ذلك حال مؤكدة اي كان
ظاهرا جليا لا يخفى على كل ذي بصر وبصيرة الثالث ابو هريرة رضي الله عنه قوله انما انا رحمة
مهداة اي ما انا الا رحمة للعالمين اهداها الله اليهم فمن قبل هديته افلح ومن لم يقبل

خاب

باب في اخلاقه وشمائله صلى الله عليه وسلم خاب وخسر لقوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
الخلق بضم اللام وسكونها الدين والطبع والسجية وحقيقته انه لصورة الانسان
الباطنة وهي نفسه واوصافها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة واوصافها ومعانيها
ولها اوصاف حسنة وقبيحة والثواب والعقاب متعلقان باوصاف الصورة الباطنة اكثر
ما يتعلقان باوصاف الصورة الظاهرة الشمائل جمع شمال وهو الخلق الفصل الاول الاول
انس رضي الله عنه قوله اف اسم الفعل بمعنى الضجر والكره وحرف التحضيض دخل على
الماضي فافاد التنديم كما في المضارع يفيد التحريض واعلم ان ترك اعتراض النبي صلى الله عليه وسلم
على انس رضي الله عنه فيما خالف امره انما يعرض فيما يتعلق بالخدمة والآداب لا فيما
يتعلق بالتكاليف الشرعية فانه لا يجوز ترك الاعتراض فيه وفيه ايضا مدح انس فانه لم يرتكب
امرا يتوجه اليه من النبي صلى الله عليه وسلم اعتراض ما الثاني انس رضي الله عنه قوله حتى اتى
حكاية الحال الماضية كما تقول شربت الابل حتى يجئ البعير يجر بطنه ويجوز ان تكون حتى ناصبة
بمعنى كي وقول انس رضي الله عنه نعم في جواب النبي صلى الله عليه وسلم ذهبت حيث امرتك مع انه لم
يذهب مبني على عزمه على ذهابه الى المامورية فانه قد جزم بذهابه اليه فكانه قد ذهب
ولعله قال انا ذاهب ويحمل قوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا اذهب وامثاله على انه كان
صبيا غير مكلف الثالث انس رضي الله عنه قوله نجراني هو موضع معروف بين الحجاز والشام
واليمن والجبذ لغة في الجذب وقيل هو مقلوب منه قوله في نحر الاعرابي اي استقبله صلى الله عليه وسلم
بنحره استقبالا تاما وهو معنى قوله اذا التفت التفت معا وهذا يدل على انه لم يتغير ولم يتاثر
من سوء ادبه ولعله كان من المولفة ولذلك خاطبه باسمه الرابع انس رضي الله عنه قوله
فاستقبلهم الضمير راجع الى ما دل عليه الصوت الذي فزع منه اهل المدينة قوله لم تراعوا
معناه لا فزع ولا روع فاسكنوا وهو ويروى لن تراعوا والعرب تضع لم ولن موضع لا انتهى كلامه
فعلى هذا يكون خبرا في معنى النهي وقوله ما عليه سرج صفة اخرى لفرس جاء بيانا وتاكيدا
لقوله اي في عنق النبي صلى الله عليه وسلم سيف وقوله بحرا اي جوادا واسع الجري وذلك
الفرس يسمى المندوب اي المطلوب ح فيه بيان ما اكرمه الله تعالى به من جليل الصفات
وفيه معجزة انقلاب الفرس سريعا بعد ان كان بطيئا وفيه جواز سبق الانسان وحده
في كشف اخبار العدو ما لم يتحقق بالهلاك وفيه جواز العارية وجواز الغزو على الفرس

المستعار واستحباب تعلق السيف فى العنق وتبشير الناس بعد الخوف اذا ذهب
الخامس جابر رضى الله عنه قوله فقال لا ومنه قول الفرزدق فى زين العابدين
حمال اثقال اقوام اذا فدحوا حلو الشمائل تحلو عنده نعم ما قال لا قط الا فى تشهده
لولا التشهد لم ينطق بلا كم السادس انس رضى الله عنه قوله ما يخاف الفقر يجوز ان
يكون حالا من ضمير يعطى وان يكون صفة لعطاء والتنكير فيه للتعظيم اى عطاء عطاء ما
يخاف الفقر معه وقوله يا قوم اسلموا فان تلك كيف هذا الوصف دل على وجوب الاسلام
تلك مقام ادعاء النبوة مع الاعطاء الجزيل يدل على وثوقه على من ارسله الى دعوة الخلق
كان من جبلة الانسان خوف الفقر كما قال تعالى الشيطان يعدكم الفقر السابع جبير قوله
مقفله مصدر ميمى او اسم زمان اى عند رجوعه او زمان رجوعه وقوله فعلقت الاعراب
اى طفقت وقيل تشبثت وقوله فخطفت اى علقت رداءه بها فاستعير لها الخطف وفى
الغريبين العضاه شجر ام غيلان وقيل كل شجر له شوك عظيم الواحد عضه واصلها عضهة
وعدد منصوب على المصدر اى تعد عددها او على نزع الخافض اى بعدد ها قوله ثم
لا تجدونى بخيلا يعنى اذا جربتمونى فى الوقايع لا تجدونى متصفا بالاوصاف الرذيلة
وفيه دليل على جواز تعريف نفسه بالاوصاف الحميدة لمن لا يعرفه ليعتمد عليه اقول
ثم هنا للتراخى فى الرتبة يعنى انا فى ذلك العطاء لست مضطرا اليه بل اعطيه مع ايحيه
نفس ووفور نشاط ولا بكذوب ادفعكم عن نفسى ثم امنعكم عنه ولا جبان اخاف احدا
فهو كالتتميم للكلام السابق الثامن والتاسع والعاشر انس رضى الله عنه قوله جاءوا بالغداة
البارده فيه تكلف المشاق لتطييب قلوب الناس لا سيما مع الخدم والضعفاء وليتبركوا
بان غاله يده الكريمة فى اوانيهم وبيان تواضعه صلى الله عليه وسلم مع الضعفاء الحادى عشر انس رضى الله عنه
قوله ولا لعانا ولا سبابا فان قلت فعال للتكثير والمبالغة ونفيه لا يستلزم نفى اللعن والسب
مطلقا قلت المفهوم هنا غير معتبر لانه وارد فى مدحه صلوات الله عليه فان اريد
التكثير فيعتبر بحسب من يستحق اللعن من الكفار والمنافقين اى ليس لاعنا
لكل واحد واحد منهم وان اريد المبالغة كان المعنى ان اللعن بلغ فى العظم بحيث
لولا الاستحقاق لكان اللاعن بمثله لعانا بليغ اللعن نحو قوله تعالى وان الله ليس بظلام
قوله ترب جبينه اى غاية ما يقول له عند الغضب والمخاصمة هذه الكلمة وهي
ايضا

وهي ايضا ذات وجهين اذ يحتمل ان يكون دعاء على المقول له بمعنى رغم انفك وان
يكون دعاء له بمعنى سجد لله وجهك الثاني عشر ابو هريرة رضي الله عنه قوله وانما بعثت
رحمة اي انما بعثت لاقرب الناس الى الله والى رحمته وما بعثت لابعدهم عنها فاللعن
منافية لحالي فكيف العن الثالث عشر ابو سعيد رضي الله عنه قوله في خدرها تتميم فان
العذراء اذا كانت في خدرها كانت اشد حياء مما اذا كانت خارجة عنه ح قوله عرفناه
في وجهه معناه انه صلى الله عليه وسلم لم يتكلم بالشيء الذي يكرهه لحيائه بل تتغير وجهه
فيفهم كراهته وفيه فضيلة الحياء وانه محثوث عليه ما لم ينته الى الضعف والخور
الرابع عشر عائشة رضي الله عنها قوله مستجمعا تو يريد ضاحكا كل الضحك يقال
استجمع كل مجمع واستجمع الفرس جريا انتهى كلامه فعلى هذا ضاحكا وضع موضع ضحكا
على انه منصوب على التمييز واما قول الفقهاء مستجمعا شرائط الجمعة فليس بثبت الخامس عشر
عائشة رضي الله عنها قوله لم يكن يسرد يقال فلان سرد الحديث سردا اذا بلغ الحديث
بحديث استعجالا وسرد الصوم تواليه يعني لم يكن حديث النبي صلى الله عليه وسلم
متتابعا بحيث ياتي بعضه اثر بعض فيلتبس على المستمع بل كان يفصل بين كلاميه بحيث
لو اراد المستمع عده امكنه فيتكلم بكلام واضح مفهوم في غاية الوضوح والبيان السادس عشر
قوله في مَهْنَة اهله نه المهنة الخدمة والرواية بفتح الميم وقد يكسر وقال الزمخشري وهو
عند الاثبات خطأ قال الاصمعي المهنة بفتح الميم ولا يقال مهنة بالكسر وكان القياس
لو قيل مثل جلسة وخدمة الا انه جاء على فعلة واحدة السابع عشر والثامن عشر عائشة
رضي الله عنها قوله نيل منه نه يقال نال ينال نيلا اذا اصاب وفي الحديث ان رجلا
كان ينال من الصحابة يعني الوقيعة فيهم قوله الا ان تنتهك حرمة الله استثناء منقطع اي
ما عاقب احدا لخاصة نفسه بجناية جنى عليه بل لحق الله تعالى اذا فعل احد شيئا من المحرمات
امتثالا لقوله تعالى ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله الفصل الثاني الاول انس
رضي الله عنه قوله اتي فيه على يديه موصفة شيء وضمن فيه معنى عيب او طعن وعلى
يديه حال الثاني عائشة رضي الله عنها قوله فاحشا ولا متفحشا نه الفاحش ذو الفحش
في كلامه وفعاله والمتفحش الذي يتكلف ذلك ويتعمده مظ نفت عنه صلى الله عليه وسلم نوعي
الفحش والتفوه به طبعا وتكلفا الثالث والرابع عائشة رضي الله عنها قوله يخصف نعله

اى يطبق طاقة على طاقة واصل الخصف الضم والجمع ومنه قوله تعالى وطفقا يخصفان عليهما
من ورق الجنة اى يطبقان ورقة على ورقة على بدنيهما قوله كان يستر التمهيد لما نقوله
بعد لانه لما رأت من اعتقاد الكفار ان النبى صلى الله عليه وسلم لا يليق بمنصبه انه يفعل ما يفعل غيره
من عامة الناس وجعلوه كالملوك فانهم يترفعون عن الافعال العادية الدنية كما
حكى الله تعالى عنهم فى قوله مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق فقالت
انه صلى الله عليه وسلم كان خلقا من خلق الله تعالى وواحدا من اولاد آدم شرفه
الله تعالى بالنبوة وكرمه بالرسالة وكان يعيش مع الخلق بالخلق ومع الحق بالصدق
فيفعل مثل ما فعلوا ويعينهم فى افعاله تواضعا وارشادا لهم الى التواضع ورفع
الترفع ويبلغ الرسالة من الحق الى الخلق كما امر قال تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى
الخامس والسادس انس رضى الله عنه قوله ولم ير مقدما ركبتيه قيل اى ما كان يجلس فى
مجلس بحيث يكون ركبتاه متقدمتين على ركبتى صاحبه كما يفعل الجبابرة فى مجالسهم
وقيل ما كان يرفع ركبتيه عند من يجالسه بل كان يخفضهما تعظيما لجليسه وقالوا اراد
بالركبتين الرجلين وتقديمهما مدهما او بسطهما كما يقال تقدم رجلا واخر اخرى ومعناه كان
صلى الله عليه وسلم لا يمد رجليه عند جليسه تعظيما له وفيه وفى قوله كان لا ينزع يده قبل نزع
صاحبه تعليم لامته فى اكرام صاحبه وتعظيمه فلا يبدأ بالمفارقة عنه ولا يمد بين يديه
الرجلين فى وجهه وارشاد لهم ان يكرموا من يجالسهم ويصاحبهم حبسا للمودة بينهم
السابع الى التاسع جابر رضى الله عنه قوله ترتيل نه ترتيل القراءة التأنى فيها والتمهل
وتبيين الحروف والحركات تشبيها بالثغر المرتل وهو المشبه بنور الاقحوان يقال رتل
القراءة وترتل فيها والترسيل الترتيل يقال ترسل الرجل فى كلامه ومشيه اذا لم يعجل
وهو والترتيل سواء العاشر الى الثانى عشر عبد الله قوله طرفه الى السماء انتظارا لما
يوحى وشوقا الى الرفيق الاعلى بال الشاعر تلفت نحو الحى حتى وجدتنى وجعت من
الاصغاء ليتا واخدعا الفصل الثالث الاول عمرو قوله اظئر بالعوالى هذا هو المشهور ويروى
بالعباد والعوالى القرى التى عند المدينة والظئر بكسر الظاء مهموزة المرضعة ولد غيرها
وزوجها ظئر لذلك المرضع والظئر يقع على الانثى والذكر والقين الحداد وقوله وانه
مات فى الثدى اى مات فى سن رضاع الثدى او فى حال تغذيه بلبن الثدى ومعنى

بكملان

يكملان رضاعه اى يتمانه سنتين فانه توفى وله ستة عشر شهرا او سبعة عشر فتتم رضاعه
بقية السنتين قال صاحب البحر وهذا الاتمام للرضاع ابرهيم يكون عقيب موته ويدخل
الجنة متصل بموته فيتم فيها رضاعه كرامة له ولابيه صلوات الله عليه الثاني على رضي الله عنه
قوله يهودي يحبسك ممرح الانكار مقدر والتنكير فيه للتحقير ورحل النهار اي ارتفع
فارحل النهار حتى اتى بهم اى ما ارتفع النهار تشبيها بارتفاع الرحل عن الصبي
الثالث والرابع على رضي الله عنه قوله ولكن يكذب بما جئت به اى لا نكذبك لانك عندنا
الصادق الموسوم بالصدق ولكنا نجحد ايات الله وروى ان الاخنس بن شريق قال
لابي جهل يا با الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس عندنا غيرنا فقال
له والله ان محمدا لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية
والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش وقوله ولكن نكذب بما جئت به وضع موضع
ولكن نحسدك وضعا للمسبب موضع السبب والله اعلم الخامس عائشة رضي الله عنها قوله
وان حجرته لتساوي الكعبة اى كان طويلا بحيث يساوي متعد ازار طول الكعبة
قوله تقرأ عليك السلام يقال اقرأ فلانا السلام واقرأ عليه السلام كانه حين يبلغه سلامه
يحمله على ان يقرأ السلام ويرده قوله نبيا عبدا هو خبر يكون محذوف بدليل الرواية
الاخرى ان الله يخيرك بين ان تكون عبدا نبيا وجزء الشرط محذوف اى ان شئت ان
تكون عبدا نبيا عبدا فكن اياه والله اعلم باب المبعث وبدء الوحي اصل الوحي
الاشارة الشرعية وبمعنى الشرعة وقل امر وحي وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز
والتعريض وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب وباشارة بعض الجوارح وبالكتابة
وقد حمل على كل ذلك قوله تعالى عن زكريا فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم
الفصل الاول الاول ابن عباس رضي الله عنهما قوله لاربعين سنة اللام فيه بمعنى
الوقت كما في قوله تعالى قدمت لحياتي ذكر في وفاته ثلاث روايات احدها انه صلى الله عليه وسلم
توفي وهو ابن ستين سنة والثانية ابن خمس وستين سنة والثالثة ثلاث وستين وهي اصحها واشهرها
رواه مسلم هنا من رواية انس وعائشة وابن عباس ومعوية رضي الله عنهم فرواية ستين مقتصرة
على العقود ورواية الخمس متاولة وانكر عروة وعلى ابن عباس قوله وقال انه لم يدرك اول
النبوة ولا كثرت صحبته بخلاف الباقين وولد عام الفيل على الصحيح المشهور وادعى القاضي عياض

الاجماع عليه واتفقوا على انه ولد في يوم الاثنين من شهر ربيع الاول واختلفوا فيه هل
مولده في الثاني من الشهر ام الثامن منه ام عاشره وتوفي في يوم الاثنين في ثاني عشر ربيع الاول ضحى صلوات الله
وسلامه عليه وقوله مجاز على راس ستين الى آخره كمجاز قولهم راس آية اي آخرها
وسموا آخر الشيء راسا لانه مبدا مثله من آية اخرى او عقد آخر لما في ابن عباس رضي الله عنهما
قوله ويرى الضوء سبع سنين يعني انه كان يرى من امارات النبوة سبع سنين ضياء
مجردا وما راى معه ملكا وهو معنى قوله ولا يرى شيئا اي سوى الضوء قالوا والحكمة في
رؤيته الضوء المجرد دون رؤية الملك حصول استيناسه اولا بالضوء المجرد وذهاب
روعه اذ في رؤية الملك مظنة ذهول وذهاب عقل لغلبة دهشته فانه امر خطير الثالث
الى الخامس عائشة رضي الله عنها قوله قالت اول ما بدئ به ح هذا الحديث من مراسيل
الصحابة فان عائشة رضي الله عنها لم تدرك هذه القضية فيكون سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم
او من صحابي ومرسل الصحابي حجة عند جميع العلماء الا ما انفرد به الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني
اقول والظاهر انها سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم لقوله لها فاخذني فغطني فيكون قولها اول ما بدئ
به رسول الله صلى الله عليه وسلم حكاية ما تلفظ به صلوات الله عليه كقوله قل للذين كفروا ستغلبون
بالتاء والياء على تاويل انه صلى الله عليه وسلم يؤدي لفظ ما اوحي اليه او معناه فلا يكون الحديث ح من
المراسيل قوله مثل فلق الصبح مص شبه ما جاءه في اليقظة ووجده في الخارج طبقا لما رآه
في المنام بالصبح وفي انارته ووضوحه والفلق الصبح لكنه لما كان مستعملا في هذا المعنى
وغيره اضيف اليه للتخصيص والبيان اضافة العام الى الخاص كقولهم عين الشيء ونفسه
اقول للفلق شان عظيم ولذلك جاء وصفا لله تعالى في قوله تعالى فالق الاصباح وامر بالاستعاذة
برب الفلق لانه ينبئ عن انشقاق ظلمة عالم الشهادة وطلوع تباشير الصبح بظهور
سلطان الشمس واشراقها الآفاق كما ان الرؤيا الصالحة مبشرات تنبئ عن وفود انوار
عالم الغيب وآثار مطالع الهدايات تشبه به الرؤيا التي هي جزء يسير من اجزاء
النبوة وتنبيه من تنبيهاتها لمتمسكي العقول على ثبوت النبوة لان النبي انما
سمي نبيا لانه ينبئ عن عالم الغيب الذي لا تستقل العقول بادراكه ح قالوا انما ابتدئ
صلى الله عليه وسلم بالرؤيا لئلا يفجأه الملك ويأتيه صريح النبوة بغتة فلا تحتملها القوى البشرية
فبدئ بتباشير الكرامة وصدق الرؤيا استيناسا والحراء بكسر الحاء المهملة وتخفيف الراء وبالمد

وهو جبل

وهو مذكر مصروف هذا هو الصحيح وقيل مؤنث غير مصروف قال القاضي الواحد
صاحب الثعلب والخطابي وغيرهما العوام يخطئون في حراء في ثلثة مواضع يفتحون
الحاء وهي مكسورة ويكسرون الراء وهي مفتوحة ويقصرون الالف وهي ممدودة وهو
جبل بينه وبين مكة ثلثة اميال عن يسار الذاهب من مكة الى منى قوله الليالي ذوات
العدد اطلق الليالي واراد بها الليالي مع ايامهن على سبيل التغليب لانها انسب
للخلوة ووصف الليالي بذوات العدد لارادة التقليل كما في قوله تعالى دراهم معدودة
فسر ... التحنث بقوله وهو التعبد الليالي ذوات العدد ويحتمل ان يكون التفسير
من قول الزهري ادرجه في الحديث وذلك من دأبه ... قوله الليالي ذوات العدد
متعلق بيتحنث لا بالتعبد ومعناه يتحنث الليالي ولو جعل متعلقا بالتعبد فسد المعنى
فان التحنث لا يشترط فيه الليالي بل يطلق على القليل والكثير وهذا التفسير اعترض
من كلام عائشة رضي الله عنها وانما كلامها فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد والخلوة شان
الصالحين وعباد الله العارفين قال الخطابي حبب الله الخلوة لان معها فراغ القلب وهي
معينة على التفكر وبها ينقطع عن مالوفات البشر ويخشع قلبه ويجمع همه فالمخلص في
الخلوة يفتح الله عليه ما يونسه في خلوته فيعوضه فيغنيه الله تعالى اياه عما تركه لاجله واستنار
قلبه بنور الغيب حتى يذهب ظلمة النفس واختيار الخلوة لسلامة الدين وتفقد احوال
النفس واخلاص العمل لله تعالى قوله قبل ان ينزع نزع الى اهله ينزع نزاعا اي اشتاق وبعير
نازع وناقة نازع اذا حنت الى اوطانها ... حتى جاءه الحق اي امر الحق وهو الوحي او رسول الحق
وهو جبرئيل عليه السلام ... ما انا بقارئ معناه لا احسن القراءة فان قلت قد تقرر في
علم المعاني ان ايلاء الضمير حرف النفي يفيد الاختصاص والحصر وهو يستدعي ان يكون حكم
المخاطب مشوبا بصواب وخطأ فيرد خطأه الى الصواب فاتى هذا من جبرئيل قلت انه
عليه السلام لما سمع منه اقرأ تصور انه اعتقد ان حكمه صلى الله عليه وسلم ليس كحكم سائر الناس في
ان حصول القراءة والتمكن منها انما هو بطريق التعلم ومدارسة الكتب والا فلا فرده بقوله
ما انا بقارئ اي حكمي كحكم سائر الناس في ان حصول القراءة انما هو بالتعلم وعدمه بعدمه فلذلك
اخذه وغطه مرارا ليخرجه من حكم سائر الناس ويستفرغ منه البشرية ويفرغ فيه من صفات
الملكية فحينئذ يعلم معنى اقرأ ويخاطب بقوله اقرأ باسم ربك الذي خلق الى قوله ما لم يعلم

عليه وسلم
فهو المقصود ايضا اشارة الى رد ما تصوره صلى الله من ان القراءة انما تيسر بطريق التعليم
فقط بل انها كما تحصل من التعليم بواسطة المعلم فقد يحصل بتعليم الله بلا واسطة
فقوله علم بالقلم اشارة الى العلم التعليمي وقوله علم الانسان الى العلم اللدني و
مصداقه قوله تعالى ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى ~ الغط العصر
الشديد والكبس ومنه الغط في الماء الغوص فيه قيل انما غطه ليختبره هل يقول
من تلقاء نفسه شيئا ~ قالوا والحكمة في الغط شغله عن الالتفات والمبالغة في امره
باحضار قلبه لما يقوله وكرره ثلثا مبالغة في التنبيه ففي انه ينبغي للمعلم ان يحتاط
في تنبيه المتعلم ويامره باحضار قلبه والجهد يجوز فيه فتح الجيم وضمها وهو الغاية
والمشقة ويجوز نصب الدال ورفعها فعلى النصب بلغ جبريل في الجهد وعلى الرفع
بلغ الجهد مني مبلغه وغايته وممن ذكر الوجهين اعني نصب الدال ورفعها صاحب
التحرير ~ لا ادري الذي يرويه بنصب الدال الا وقد وهم فيه او جوز من طريق الاحتمال
فانه اذا نصب الدال عاد المعنى الى انه غطه حتى استفرغ قوته في ضغطته وجهد
جهده بحيث لم يبق فيه مزيد وهذا قول غير سديد فان البنية البشرية لا تستدعي
استيفاء القوة الملكية لا سيما في مبدأ الامر وقد دلت القضية على انه اشمأز من
ذلك وتداخله الرعب اقول لا شك ان جبريل في حالة الغط لم يكن على صورته الحقيقية
التي تجلى بها عند سدرة المنتهى وعند ما رآه مستويا على الكرسي فيكون استفراغ
جهده بحسب الصورة التي تجلى له وغطه واذا صحت الرواية اضمحل الاستبعاد قوله اقرأ باسم
ربك ~ هذا دليل صريح في ان اول ما نزل من القرآن اقرأ وهو الصواب الذي عليه
الجماهير من السلف والخلف وقيل اوله يا ايها المدثر وليس بشيء واستدل بهذا الحديث
بعض من يقول بسم الله الرحمن الرحيم ليس بقرآن في اوائل السور لكونها لم يذكر هنا و
جواب المثبتين لها انها لم تنزل اولا بل نزلت البسملة في وقت آخر كما نزلت باقي السورة
في وقت آخر اولى ~ وقوله اقرأ امر بايجاد القراءة مطلقا وهو لا يختص بمقروء دون مقروء
فقوله باسم ربك حال اي اقرأ مفتتحا باسم ربك قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم اقرأ وهذا يدل
على ان البسملة مأمور بقراءتها في ابتداء كل قراءة فيكون مأمورا بقراءتها في ابتداء هذه السورة
ايضا وقوله ربك الذي خلق وصف مناسب مشعر بعليه الحكم بالقراءة والاطلاق في خلق اولا

على

على منوال يعطي ومنح وجعله توطئة لقوله خلق الانسان ايذانا بان الانسان اشرف المخلوقات
ثم الانسان علمه بقوله علم الانسان ما لم يعلم يدل على ان العلم اجل النعم واكثرها
عائدة وقوله فرجع بها اي صار بسبب تلك الضغطة يضطرب فؤاده ورجع يجئ بمعنى
قصد ايضا اي كما في قولهم وما رجع اليه في خطب الا كفى اي ما قصد وزملوني اي غطوني
بالثياب ولفوني بها قوله لقد خشيت على نفسي ح قال القاضي عياض ليس هو بمعنى
الشك فيما اتاه من الله تعالى لكنه ربما خشي انه لا يقوى على مقاومة هذا الامر ولا يقدر
على حمل اعباء الوحي فيزهق نفسه او يكون هذا لاول التباشير في النوم واليقظة
وسمع الصوت قبل لقاء الملك وتحققه رسالة ربه سبحانه وتعالى فيكون قد خاف
ان يكون من الشيطان واما منذ قد جاءه الملك برسالة ربه سبحانه وتعالى فلا يجوز
عليه الشك فيه وتسلط الشيطان عليه قال الشيخ محيي الدين وهذا الاحتمال ضعيف
لانه تصريح بان هذا كان بعد غط الملك واتيانه باقرأ باسم ربك اقول اخراج قوله لقد
خشيت على التسمية بعد قوله يرجف فؤاده دل على انفعال حصل له من الضغط فخشي
على نفسه من ذلك امرا يوهم منه كما يحصل للبشر اذا دهمه امر لم يعهد به ومن ثمة قال
صلى الله عليه وسلم زملوني زملوني واولت خديجة بكلمة الروع وصرحت بقولها لا يخزيك الله
الى آخره ح لا يخزيك الله هو بضم الياء وبالخاء المعجمة وفي رواية يونس وعقيل وفي
رواية معمر يحزنك الله بالحاء المهملة والنون ويجوز فتح الياء في اوله وضمها وكلاهما صحيح و
الخزي الفضيحة والهوان والكل الثقل ويدخل في حمل الكل الانفاق على الضعيف
واليتيم والعيال وغير ذلك وهو من الكلال الاعياء وتكسب بفتح التاء هو الصحيح المشهور
وروي بضمها قال ثعلب والخطابي وغيرهما يقال كسبت الرجل مالا واكسبته مالا لغتان
افصحهما كسبته بحذف الالف فمعنى الضم تكسب غيرك المال المعدوم اي تعطيه اياه
تبرعا فحذف الموصوف واقام الصفة مقامه وقيل معناه تعطي الناس ما لا يجدونه
عند غيرك من نفائس الفوائد ومكارم الاخلاق ومعنى الفتح قيل كمعنى الضم
وقيل معناه تكسب المال المعدوم وتصيب منه ما يعجز غيرك عن تحصيله وكانت
العرب تتمادح بكسب المال لا سيما قريش فكان صلى الله عليه وسلم محظوظا في تجارته
وهذا القول ضعيف او غلط ويمكن تصحيحه بان نضم معه زيادة فمعناه تكسب المال

فان اضافته اضافة غير محضة ولو روى مخرجي مخفف اليا على انه مفرد لجاز وجعل مبتدا
وما بعده فاعل سد مسد الخبر لان مخرجي صفة معتمدة على همزة الاستفهام مسندة الى ما بعده
لانه وان كان ضميرا فهو منفصل والمنفصل من الضماير يجري مجرى الظاهر ومنه
قول الشاعر امنجز انتم وعدا وثقت به ام اقتفيتم جميعا نهج عرقوب قوله وان يدركني
يومك يريد به الزمان الذي اظهر فيه الدعوة او عاداه قومه فيه وقصدوا
ايذاءه واخراجه والمؤزر البالغ في القوة من الازر وهو القوة ولم ينشب اي لم
يلبث ولم يبرح واصله ان لم يعلق بشيء ولم يشتغل فكنى به عن ذلك قوله ان توفي
بدل اشتمال من ورقة اي لم يلبث وفاته وقوله فيما بلغنا معترض بين الفعل ومصدره
والشواهق الجبال العالية فيسكن لذلك جاشه اي اضطرب قلبه وقوله في السابع جابر
رضي الله عنه قوله فجئثت جئث الرجل اذا فزع وكذلك جئف وقوله رعبا اي ممتليا رعبا
ويجوز ان يكون معناه مرعوبا باكل الرعب ويحتمل انه فعل من الجأث وهو الافزاع بالرعب
تعدى ولا يتعدى يقال رعبته فرعب رعبا نصب على المفعول لاجله السابع عائشة
رضي الله عنها قوله مثل صلصلة يجوز ان يكون مفعولا مطلقا والاحسن ان يكون حالا
اي ياتيني الوحي مشابها صوته بصلصلة الجرس والصلصلة صوت الحديد اذا حرك
يقال صل الحديد وصلصل والصلصلة اشد من الصليل هذا حديث يغالط فيه
ابناء الضلالة ويتخذونه ذريعة الى تضليل العامة وتشكيكهم وهو حق ابلج ونور يتوقد
من شجرة مباركة يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار لا يغلط فيه الا من اعمى الله
عيني قلبه وجمل القول في هذا الباب ان نقول كان النبي صلى الله عليه وسلم معنيا
بالبلاغ مهيمنا على الكتاب مكاشفا بالعلوم الغيبية مخصوصا بالمسامرات القلبية
وكان يتوفر على الامة حصتهم بقدر الاستعداد فاذا اراد ان ينبئهم بما لا عهد
لهم به من تلك العلوم صاغ لها امثلة من عالم الشهادة ليعرفوا مما شاهدوه ما
لم يشاهدوه فلما ساله الصحابي عن كيفية الوحي وكان ذلك من المسائل العويصة
والعلوم الغريبة التي لا يميط نقاب التعزز عن وجهها لكل طالب ومتطلب من
عالم ومتعلم ضرب لها في الشاهد مثلا بالصوت المتدارك الذي يسمع ولا يفهم
منه شيء تنبيها على ان اتيانها يرد على القلب في لبسة الجلال وابهة الكبرياء
فياخذ هيبة الخطاب حين ورودها بمجامع القلب ويلاقي من ثقل القول ما لا علم له
بالقول

بالقول مع وجود ذلك فاذا سرى عنه وجد القول المنزل بينا ملقى في الروع واقعا
موقع المسموع وهذا معنى قوله فيفصم عني وقد وعيت ومعنى يفصم يقلع عني كرب
الوحي شبهه بالحمى اذا فصمت عن المحموم يقال افصم المطر اي اقلع وهذا الضرب من
الوحي شبيه بما يوحى الى الملائكة على ما رواه ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله في السماء امرا ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا
لقوله كانها سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا
الحق وهو العلي الكبير هذا وقد تبين لنا من حديث عائشة رضي الله عنها ان الوحي
كان ياتيه على صفتين اولهما اشد من الاخرى وذلك لانه كان يرد فيها من الطباع
البشرية الى الاوضاع الملكية فيوحى اليه كما يوحى الى الملائكة على ما ذكر في حديث
ابي هريرة رضي الله عنه وهو حديث حسن صحيح والاخرى يرد فيها الملك الى شكل
البشر وشاكلته وكانت هذه ايسر والله اعلم اقول لا يبعد ان يكون هناك صوت على
الحقيقة متضمن للمعاني مدهش للنفس لعدم مناسبتها اياه ولكن القلب لمناسبته يشرب
معناه فاذا سكن الصوت افاق النفس فحينئذ يتلقى النفس من القلب ما القى اليه فيعي
على ان العلم بكيفية ذلك من الاسرار التي لا يدركها العقل ع قال القاضي عياض
ان ما جاء من مثل ذلك يجري على ظاهره وكيفية ذلك وصورته مما لا يعلمه الا الله تعالى
ومن اطلعه على شيء من ذلك من ملائكته ورسله وما تناول هذا وحمله على ظاهره
الا ضعيف النظر والايمان اذ جاءت به الشريعة ودلائل العقول لا تحيله حط مو ىد
والله اعلم انه صوت متدارك يسمعه ولا يتبينه عند اول ما يقرع سمعه حتى يتفهم
ويستثبت فيتلقفه حينئذ ويعيه ولذلك قال هو اشده علي قوله ليتفصد عرقا
اي يسيل يقال انفصد الشيء وتفصد اذا سال كانه شبهه بالعرق المفصود اذا سال عنه
الدم الصامت عبادة رضي الله عنه قوله كرب لذلك مو يحتمل انه كان يهتم بامر الوحي اشد
الاهتمام ويهاب مما طالب به من حقوق العبودية والقيام لشكر المنعم ويخشى على عصاة
الامة ان ينالهم من الله خزي ونكال فياخذه الغم الذي ياخذ بالنفس حتى يعلم ما يفضي اليه
ويحتمل ان المراد كرب الوحي وشدته فان الاصل الكرب الشدة وانما قال الصحابي كرب لما وجد
من شبه حاله بحال المكروب وقوله تربد اي تغير واكثر ما يقال ذلك في التغير من الغضب

وتربد الوجه اي تعبس وقوله فلما أتلى عليه كذا هو في المصابيح واري صوابه فلما تلي عنه
من التلاوة وان كان اتلي عليه مخففا فمعناه احيل سعال لما بليته اي اجليته اي اجيل
اليه البلاغ وذلك ان الملك اذا قضى اليه ما انزل به فقد احال عليه البلاغ مح أُتلي بهمزة
مضمومة وتاء مثناة فوق ساكنة ولام وياء هكذا هو في معظم نسخ بلادنا معناه ادفع عنه الوحي هكذا
فسره صاحب التحرير وغيره ووقع في بعض النسخ اجلي بالجيم وفي رواية ابن ماهان انجلي
ومعناهما ازيل عنه وزال عنه اقول ضمن اتلي معنى اقلع فعدى بعن وينصره رواية
شرح السنة فلما اقلع عنه الناسخ ابن عباس رضي الله عنهما قوله ما جربنا عليك الا صدقا
ضمن جرب معنى الفي اي ما الفينا عليك شيئا من الاخبار مجربين بحيث ما وجدناك الا
صادقا ومن الكلام مستقصى في هذا الحديث في باب كتاب الفتن مع تغيير يسير العاشر
عبد الله قوله الى فرثها ودمها الضمير الراجع الى جزور وهي مونثة تنه الجزور البعير
ذكرا كان او انثى الا ان اللفظة مونثة يقال هذه الجزور وان اردت ذكرا والجمع جزر و
جزائر والسلا الجلد الرقيق الذي يخرج فيه الولد من بطن امه ملفوفا فيه وقيل هو في الماشية
سلا وفي الناس مشيمة والاول اشبه لان المشيمة تخرج بعد الولد ولا يكون الولد فيها
حين يخرج قوله فانبعث اشقاهم مح هو عقبة بن ابي معيط كما صرح في الرواية الاخرى فان قيل
كيف استمر في الصلوة مع وجود النجاسة على ظهره اجاب القاضي عياض بان ليس هذا
بنجس لان الفرث ورطوبة البدن طاهران وانما النجس الدم وهو مذهب مالك ومن
وافقه من ان روث ما يوكل لحمه طاهر ومذهبنا ومذهب ابي حنيفة انه نجس وهذا الذي
قاله القاضي ضعيف لان هذا السلا يتضمن النجاسة من حيث انه لا ينفك من الدم في الغالب
ولانه ذبيحة عباد الاوثان والجواب المرضي انه صلى الله عليه وسلم انه لم يعلم ما وضع على ظهره
فاستمر في سجوده استصحابا للطهارة حـ قيل كان هذا الصنيع منهم قبل تحريم هذه
الاشياء من الفرث والدم وذبيحة اهل الشرك فلم تكن تبطل الصلوة بها كالخمر كانت تصيب
ثيابهم قبل تحريمها اقول لعل ثباته على ذلك كان من باب التشكي واظهار ما صنع اعداء الله
برسول الله صلى الله عليه وسلم ليأخذهم اخذا وبيلا ولذلك كرر الدعاء ثلثا وقوله عليك بهم
اي اذهب بهم واستاصلهم عن آخرهم كما يقال ذهبت به الخيلاء قوله واتبع اصحاب القليب
لعنة اي اتبع عليهم الدنيا بعذاب الآخرة من قوله تعالى واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة

سس

بئس للوفد الموفود اى بئس العون المعان فان اللعنة لما تبعتهم كانها رفد لهم على
تحصيل ما يستحقون به العذاب على التهكمية فلما لعنت فى الآخرة بلعنة اخرى
صارت مرفودة وادن اللعنة ملعونة وفى الحقيقة هم الملعونون دنيا وعقبى الحادى عشر
عائشة رضى الله عنها قوله اشد ما لقيت خبر كان واسمه عايد الى مقدر وهو مفعول قوله
لقد لقيت ويوم العقبة ظرف كان المحذوف كان ما لقيت من قومك يوم العقبة اشد ما
لقيت منهم واراد بالعقبة العقبة التى بمنى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقف
عند العقبة فى الموسم يعرض نفسه على قبائل العرب يدعوهم الى الله تعالى والى
الاسلام فما اجاب ابن عبد ياليل فما اجاب الى ما اراد صلى الله عليه وسلم ووضع اذا التى هى
للاستقبال موضع اذ استحضارا لتلك الحالة الفظيعة وعلى وجهى متعلق بقوله
انطلقت اى انطلقت حيرانا هائما لا ادرى اين اتوجه من شدة ذلك ولم استفق
ما انا فيه من الغم حتى بلغت قرن الثعالب والقرن جبل صغير وقرن الثعالب جبل
بعينه وهو بين مكة والطائف وقوله لبيك وسعديك اى بشارتك وما تريد حا الاخشبان
الجبلان المطيفان بمكة وهو ابو قبيس والاحمر وهو جبل مشرف وجهه على قعيقعان
والاخشب كل جبل خشن غليظ الثانى عشر انس رضى الله عنه قوله يسلت الدم اى يزيله
من راسه من سلتت المراة خضابها الى ازالته وشج فى راسه من باب قوله يجرح فى
عراقيبها نصلى يولغ فى الشيخ حيث اوقع الراس ظرفا له الثالث عشر ابو هريرة رضى الله عنه
قوله يشير الى رباعيته حال من رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعا للظاهر موضع المضمر اشعارا
بان من يقتله من هو رحمة للعالمين لم يكن الا اشقى الناس والذى قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم
هو ابى بن خلف ح فى سبيل الله احتراز ممن يقتله فى حد او قصاص لان من يقتله فى سبيل الله
كان قاصدا له صلى الله عليه وسلم الفصل الثالث يحيى قوله لا احدثك الى آخره اخبار عما سمع واعتقد
من ان اول ما نزل من القرآن يا ايها المدثر لكن لا يدل على المطلوب لانه قال فى آخره فعلمت
دثر ونى فنزلت يا ايها المدثر وقد سبق فى حديث عائشة رضى الله عنها ان اول ما نزل من
القرآن اقرأ باسم ربك ح قول من قال ان اول ما نزل من القرآن يا ايها المدثر ضعيف والصواب
ان اول ما نزل على الاطلاق اقرأ باسم ربك كما صرح فى حديث عائشة رضى الله عنها واما يا ايها
المدثر فكان نزولها بعد فترة الوحى كما صرح به فى رواية الزهرى عن جابر يدل عليه قوله

وهو يحدث عن فترة الوحي الى ان قال فانزل الله تعالى يا ايها المدثر اقول ينبغي ان يعتقد
في هذا الحديث بعد قوله جاورت بحرا جاءه الملك فقال اقرأ الى قوله فتوجف فؤاده ثم فتر
الوحي فلما قضيت جواري هبطت فنوديت الى آخره ويؤيد هذا التقرير الحديث
السابق وهو حديث جابر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي
فبينا انا امشي سمعت صوتا من السماء الحديث فان فترة الوحي يدل على تقدمه
والله اعلم قوله قضيت جواري بالكسر اي اعتكافي باب علامات النبوة الفصل الاول
الاول انس رضي الله عنه قوله ثم لأمه تقول لأمت الجرح والصدع اذا شددته
فالتأم يريد انه سواه واصلحه ويقال انتقع لونه اذا تغير من خوف او فزع وكذلك
امتقع بالميم وهذا الحديث وامثاله مما يجب فيه التسليم ولا يتعرض له بتاويل من
طريق المجاز والاتساع اذ لا ضرورة في ذلك اذ هو خبر صادق مصدوق عن قدرة
القادر قوله هذا حظ الشيطان منك قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كان بشرا متعلقا
عما تعلق عند سائر البشر ولا ينكر هذا لقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى والعلقة
في الانسان اصل المفاسد والمعاصي ولهذا قال جبريل عليه السلام بعد ما اخرجها
هذا حظ الشيطان منك تعصمه من آفته وطعمه كما اسلم له شيطانه على يده فقدر
الله تعالى في سابقه لطفه ان يخرج حظ الشيطان منه فجعله قدسيا طاهر الاصل والعنصر
منور القلب مقدس الجسم مستعدا لقبول الوحي السماوي والفيض الالهي لا يتطرق اليه
هواجس النفس الثاني جابر رضي الله عنه قوله اني لاعرفه الآن تقرير لقوله اني لاعرف حجرا
بمكة واستحضار له في مشاهدته وكانه يسمع سلامه الآن الثالث انس رضي الله عنه قوله فاراهم
القمر قال الزجاج وزعم قوم عندوا عن القصد وما عليه اهل العلم ان تاويله ان القمر
ينشق يوم القيامة والامر بين في اللفظ بقوله وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر
فكيف يكون هذا في القيمة لان معنى قوله سحر مستمر مطرد دل على انهم راوا قبله آيات اخرى
مترادفة ومعجزات سابقة وقال الامام فخر الدين الرازي انما ذهب المنكر الى ما ذهب
لان الانشقاق امر هائل ولو وقع لعم وجه الارض وبلغ مبلغ التواتر والجواب ان الموافق
قد نقله وبلغ مبلغ التواتر واما المخالف فربما ذهل او حسب انه نحو الخسوف والقران
او لي ليل واقوى شاهد وامكانه لا شك فيه وقد اخبر عنه الصادق فيجب اعتقاد وقوعه

واما امتناع

واما انتشار الخوف والاشياء فحديث الليالي قالوا انما هذا الانشقاق حصل في الليل
ومعظم الناس نيام غافلون والابواب مغلقة وهم متغطون بثيابهم فقل من يتفكر
في السماء وينظر اليها — هذا شيء طلبه قوم خاص على ما حكاه انس فاراهم ذلك
ليلا واكثر الناس نيام ومستكنون بالابنية والايقاظ في البوادي والصحارى
قد يتفق ان يكونوا مشاغيل في ذلك الوقت وقد يكسف القمر فلا يشعر به كثير
من الناس وانما كان ذلك في قدر اللحظة التي هي مدرك البصر ولو دامت هذه الآية
حتى تشترك فيها العامة والخاصة ثم لم يؤمنوا لاستحقوا الهلاك فان من سنة
الله في الامم والذين قبلهم كان اذا اتى باية عامة يدركها الحس فلم يؤمنوا هلكوا
كما قال تعالى في المائدة اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه
احدا من العالمين فلم يظهر الله هذه الآية للعامة لهذه الحكمة والله اعلم الرابع في الخامس
ابو هريرة رضي الله عنه قوله هل يعفر يريد به سجوده على التراب وانما اوثر التعفير على
السجود تعنتا وعنادا واذلالا وتحقيرا قوله زعم وقع حالا من الفاعل بعد حال من المفعول
وزعم بمعنى طمع واراد قال في اساس البلاغة ومن المجاز زعم فلان في غير مزعم طمع
في غير مطمع لان الطامع زاعم ما لم يستيقنه وقوله الا وهو ينكص المستثنى فاعل فجئ
اي فما فجئ اصحاب ابي جهل من امره الا نكوصه على عقبيه وسد الحال ههنا مسد الفاعل كما
كما سدت مسد الخبر في قوله صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد وفيه ارخاء
عنان الكلام للمعنى لا للفظ ويحتمل ان يكون الضمير المستتر في فجئهم لابي جهل والمجرور
في منه للامر اي ما فجئ ابو جهل اصحابه من الاحوال الا هذه الحالة والهول الخوف و
الامر الشديد وقد هاله يهوله فهو هائل والخطف استلاب الشيء واخذه بسرعة
السادس عدي قوله هل رأيت الحيرة الحيرة بكسر الحاء البلد القديم بظهر الكوفة ومحلة
ومحلة معروفة بنيسابور والظعينة المرأة قيل لها ذلك لانها تظعن مع الزوج حيث ما
ظعن او لانها تحمل على الراحلة اذا ظعنت وقيل الظعينة المرأة في الهودج ثم قيل
للهودج بلا امرأة وللمرأة بلا هودج ظعينة قوله وافضل عليك اي احسن اليك يعني
اعطيك المال ومكنتك من انفاقه والاستمتاع منه فان قلت ما وجه نظم هذا الحديث قلت
لما اشتكى الرجل الفاقة والخوف وهو العسر المعني في قوله تعالى ان مع العسر يسرا وهو

ما كانت الصحابة عليه قبل فتح البلاد اجاب عن السائل ضمن يسار لعدي وغيره حث
الصحابة باليسر والامن ثم بين ان هذا اليسر والغنى الذي هو عيش الآخرة وندامة
الامن وفقه الله تعالى بان سلطه على انفاقه فيصرفه من مصارف الخير وبطن حديث
على رضي الله عنه كيف بكم اذا غدا احدكم في حلة وراح في حلة ووضعت بين يديه صحفة
الى قوله الا انتم اليوم خير منكم يومئذ وقد سبق في باب تغير الناس قوله ولتؤدن ما قال
اي مؤدي ما قال وهو الرجل الذي يخرج بصدقته الى آخره السابع حباب قوله من عظم
وعصب بيان في ما دون لحمه وفيه من المبالغة ان الامشاط كانت تنفذ من اللحم الى العظم
والعصب من حدتها وقوتها الثامن انس رضي الله عنه قوله على ام حرام قد ذكر وجه الدخول
عليها في حديث اختها ام سليم وثبج كل شيء وسطه وثبج الرمل معظمه شبه ثبج البحر بظهر
الارض والسفينة بالسرير فجعل الجلوس عليها مثل ما يجلس الملوك على اسرتهم
ايذانا بانهم يبذلون انفسهم ويرتكبون هذا الامر العظيم مع وفور نشاطهم وتمكنهم
من مناهم كالملوك على اسرتهم قيل هو صفة لهم في الآخرة اذا دخلوا الجنة
والاصح انه صفة لهم في الدنيا اي يركبون مراكب الملوك لسعة حالهم واستقامة
امورهم وكثرة عددهم التاسع ابن عباس رضي الله عنهما قوله من هذا الريح الاشارة
بهذا الى ما في الذهن والخبر مبين له وذكره باعتبار الجنون الاشارة بهذا الى جنس
العلة التي كانوا يرونها الريح وكانهم كانوا يرون ان الخبل الذي يصيب الانسان و
الادواء التي كانوا يرونها من مسة الجن نفحة من نفخات الجن فيسمونها الريح قوله
لعل الله يشفيه جواب للو اي لو رايته لداويته ورجوت شفاءه من الله تعالى قوله
فقال رسول الله ان الحمد لله طابق هذا القول قول ضماد من حيث انه لما سمع من
سفهاء اهل مكة ان محمدا مجنون اعتقد انه كذلك فقال هل لك رغبة في ان ارقيك واخلصك
من الجنون كانه صلى الله عليه وسلم ما التفت الى قوله ذلك وارشده الى الحق البحت والصدق
المحض اي اني لست بمجنون اتكلم بكلام المجانين بل كلامي نحو هذا وامثاله فتفكروا فيه
هل ينطق المجنون بمثل هذه الكلمات نحو قوله تعالى ويقولون انه لمجنون وما هو الا ذكر
للعالمين اي انهم جننوه لاجل القرآن وما هو الا ذكر وموعظة للعالمين فكيف يجن من جاء
بمثله واشار بهؤلاء الى الكلمات والعرب ربما استعملوها في غير العقلاء وقد شهد به
التنزيل

التنزيل قال تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا وقال الشاعر ذم المنازل
بعد منزلة اللوى والعيش بعد اولئك الايام فهذه ولقد بلغني قاموس البحر وفي لباب
المصابيح بلغنا وهو خطأ لا سبيل الى تعتيبه من طريق المعنى والرواية لم ترد به وناعوس
البحر ايضا خطأ وكذلك رواه مسلم في كتابه وغيره من اهل الحديث وقد وهم فيه
والظاهر ان سمع بعض الرواة اخطأ فيه وروى ملحونا وهذه من الالفاظ التي لم تسمع
في لغة العرب والصواب فيه قاموس البحر وهو وسطه ومعظمه من القمس وهو
الغوص والقماس الغواص اي قوله بلغنا خطأ ان اراد به من حيث الرواية فلا ينكره
لانا ما وجدناه في الاصول وان اراد بحسب المعنى فمعناه صحيح اي قد وصلنا الى لجة البحر
ومحل اللآلي والدرر فيجب ان نقف عليه ونغوص فيه استخراجا للفوائد والتقاطا
لفرائده ومعنى بلغن ان كلماتك قد بلغت في الفصاحة والبلاغة الغاية القصوى
بحيث لم يكن لاحد من الفصحاء مثله فعلى الاول قوله قاموس البحر استعارة مصرحة
لان المشبه هو الكلمات غير مذكورة في هذه الجملة وعلى الثاني تشبيه واقع
على سبيل التجريد لذكر المشبه والمشبه به وقوله ناعوس البحر ايضا خطأ وليس بصواب
اما رواية فقد قال الشيخ محي الدين في شرح صحيح مسلم ناعوس البحر ضبطناه بوجهين بالنون
والعين هذا هو الموجود في اكثر نسخ بلادنا والثاني قاموس البحر بالقاف والميم وهذا
الثاني هو المشهور في روايات الحديث في غير صحيح مسلم قال القاضي عياض روى بعضهم
ناعوس بالنون والعين وقال شيخنا ابو الحسين ناعوس البحر بمعنى القاموس نعم قال
ابو موسى ناعوس البحر كذا وقع في صحيح مسلم وفي سائر الروايات قاموس البحر وهو وسطه
ولجته ولعله لم يجود كتبته فصحفه بعضهم وليست هذه اللفظة اصلا في مسند
اسحق بن راهوية الذي روى عنه مسلم هذا الحديث غير انه قرنه بابي موسى وبعايته
فلعلها فيها قال وانما اورد هذه الالفاظ لان الانسان اذا طلبته لم يجد في شيء من
الكتب فيتحير فاذا نظر في كتابنا عرف اصله ومعناه واما دراية فقال القاضي ناصر الدين
رحمه الله ناعوس البحر معظمه ولجته التي تغاص فيها لاخراج اللآلي من نعس اذا نام
لان الماء من كثرته لا تظهر حركته فكانه نائم اقول هذا على طريق المجاز والتوسع
في الكلام وقد تقرر ان المجاز لا يستدعي تقدم استعماله فيما جوز فيه بل العلاقة المعتبرة

كافية في الاستعمال وقد جاء في اساس البلاغة ومن المجاز تناعس البرق اذا فتر
وجدته ناعسين وتلك فيه من حال الغواصين انهم انما يغوصون في لجة البحر اذا كان
هاديا ساكنا غير متلاطم امواجه حتى يتمكنوا من اخراج الدرر فشبه تلك الكلمات
بسبب نظمها المعجز من استخراج المعاني منها بتمكن البحر بالهدو من استخراج الدرر
واللآلي منه ويجوز ان يراد بناعوس البحر رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الاستعارة
على انه من المجاز ان يكون الناعوس حقيقته في القاموس وكانت لغة غريبة خفي
مكانها فلم يعقل نقلا فاشيا الفصل الثالث ابن عباس رضي الله عنهما قوله انطلقت
اي سافرت وهاجرت اوطاني قوله من فيه الى فيّ من الابتداء اي الحديث الذي ارويه
انتقل من فيه الى فيّ اي لم يكن بيننا واسطة قوله في المدة التي كانت بيني وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني صلح الحديبية ودحية بكسر الدال وفتحها وعظيم بصرى
اميرها وهرقل بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف وقال العلماء انما سال قريب النسب لانه
اعلم بحاله وابعد من ان يكذب في نسبه ثم اكد ذلك فقال لاصحابه ان كذبني فكذبوه
اي لا تستحيوا منه وانما اجلس اصحابه خلفه ليكون اهون عليهم في تكذيبه ان كذب
والترجمان بضم التاء وفتحها والفتح افصح وهو المعبر عن لغة بلغة اخرى ولولا مخافة
ان يوثر علي معناه لولا خوف ان ينقلوا عني الكذب الى قومي ويتحدثوا به لكذبت
عليه لبغضي اياه وانما عداه بعلى ليضمن معنى المضرة اي كذبا يكون علي لا لي وفي
هذا بيان ان الكذب قبيح في الجاهلية كما هو قبيح في الاسلام قوله ومن يتبعه وفي
الحميدي وجامع الاصول فهل يتبعه وام هاهنا متصلة وفي قرنها قرينة لهل اشكال
لان هل يستدعي السؤال عن حصول الجملة وام المتصلة يستدعي حصولها لكون السؤال بها
عن تعيين احد المنتسبين منه ومنه اليه والظاهر ما في صحيح مسلم وشرحه والمشكوة
فمن يتبعه فيكون همزة الاستفهام مقدرة في قوله اشراف الناس فسال اولا مجملا ثم سال ثانيا
مفصلا والسخط بفتح السين والسخط والسخط كراهة الشيء وعدم الرضى به والسجال بكسر السين
من المساجلة واصله من السجل وهو الدلو لان لكل واحد من الواردين دلوا مثل ما للآخر او
لكل واحد منهم نوبا في الاستقاء ومعناه هاهنا ان الحرب دول تارة له وتارة عليه وقوله
نحن منه في هذه المدة يعني مدة الهدنة والصلح الذي جرى يوم الحديبية وقوله يبعث في

احساب

احساب قومها من باب التجريد اى يبعث ذا حسب وهو كقولك فى البيضة
عشرون رطلا وهى فى نفسها هذا المقدار قوله لم يكن ليدع الكذب ليدع ليترك
واللام تاكيد للجحد المعنى لم يصح ولم يستقم ان يترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الكذب
على الناس قبل ان يظهر رسالته ثم بعد اظهار الرسالة يكذب على الله تعالى هذا
بعيد ونحوه قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم اى محال ان يعذبهم وانت
فيهم وثم فى الحديث استبعادية كقوله تعالى ثم انتم تمترون ح قيل والحكم فى ذلك
انه ابعد من انتحاله الباطل واقرب الى انقياد الناس له واما قوله ان الضعفاء هم اتباع
الرسل فلكون الاشراف يانفون من تقدم مثلهم عليهم والضعفاء لا يانفون فيسرعون
الى الانقياد واتباع الحق واما سواله عن الردة فلان من دخل على بصيرة فى امر محقق
لا يرجع عنه بخلاف من دخل فى الاباطيل واما سواله عن الغدر فلان من طلب
حظ الدنيا لا يبالى بالغدر وغيره مما يتوصل به الى ذلك ومن طلب الاخرة لم يرتكب
غدرا ولا غيره من القبائح وبشاشة القلوب الفرح بالهدى والانبساط اليه والانس به و
كذلك الرسل تبتلى اى تبتليهم بذلك ليعظم اجرهم بكثرة صبرهم وبذل وسعهم فى طاعة الله
تعالى والصلة صلة الارحام وكل ما امر الله تعالى ان يوصل والعفاف الكف عن المحارم
وقال العلماء قول هرقل ان يكن ما تقول حقا فانه نبى اخذه من الكتب القديمة ففى التوراة
هذا او نحوه من علامات رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرفه بالعلامات واما الدليل القاطع
على النبوة فهو المعجزة الظاهرة الخارقة للعادة هكذا قاله المازرى قوله اخلص
اليه اى اصل اليه نه يقال خلص فلان الى فلان اى وصل اليه ح لا عذر له فى
هذا لانه قد عرف صدق النبى صلى الله عليه وسلم وانما شح بالملك ورغب فى الرياسة فاثرها
على الاسلام وقد جاء ذلك مصرحا به فى صحيح البخارى ولو اراد الله هدايته
لوفقه كما وفق النجاشى وما زالت عنه الرياسة والله اعلم باب فى المعراج
العروج ذهاب فى الصعود قال تعرج الملائكة والروح المعراج بالكسر شبه السلم
مفعال من العروج الصعود كانه آلة له وليلة المعراج سميت لصعود النبى صلى الله عليه وسلم
فيها ح قال القاضى عياض اختلف الناس فى الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم
فقيل انما كان جميع ذلك فى المنام والحق الذى عليه اكثر الناس ومعظم السلف وعامة

المتاخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين انه أسري بجسده صلى الله عليه وسلم فمن
طالعها وبحث عنها فلا يعدل عن ظاهرها الا بدليل ولا استحالة في حملها عليه فيحتاج
الى تاويل وقيل ذلك قبل ان يوحى اليه وهو غلط لم يوافق عليه فان الاسرا اقل
ما قيل فيه انه كان بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر شهرا وقال الحربي
كان ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة وقال الزهري كان
ذلك بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمس سنين وقال ابن اسحق اسري به صلى الله عليه وسلم وقد فشى الاسلام
بمكة واشبه هذه الاقوال قول الزهري وابن اسحق وقد اجمعوا على ان فرض الصلوة
كانت ليلة الاسراء فكيف يكون هذا قبل ان يوحى اليه واما قوله في رواية شريك
وهو نائم وفي الرواية الاخرى بينا انا عند البيت بين النائم واليقظان فقد يحتج
به من يجعله رؤيا نوم ولا حجة فيه اذ قد يكون ذلك حاله اول وصول الملك اليه
وليس في الحديث ما يدل على كونه نائما في القصة كلها وقال محيي السنة في المعالم
والاكثرون على انه صلوات الله عليه اسري بجسده في اليقظة وتواترت الاخبار الصحيحة
على ذلك اقول وقد روينا عن البخاري والترمذي عن ابن عباس في قوله
تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس قال هي رؤيا عين اريها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به الى بيت المقدس وفي مسند الامام احمد بن حنبل عن
ابن عباس قال هي اريها النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة رآه بعينه حين ذهب به الى
البيت ولانه قد انكرته قريش وارتدت جماعة ممن كانوا اسلموا حين سمعوه وانما ينكر
اذا كانت في اليقظة فان الرؤيا لا ينكر منها ما هو ابعد من ذلك على ان الحق ان المعراج مرتان
مرة بالنوم واخرى باليقظة قال محيي السنة رؤيا اراه الله قبل الوحي بدليل قوله من قال لي ستيقظ
وهو في المسجد الحرام ثم عرج به في اليقظة بعد الوحي قبل الهجرة بسنة تحقيقا لرؤياه
كما انه رأى فتح مكة في المنام سنة ست من الهجرة ثم كان تحقيقه سنة ثمان وعن بعض
المحققين ان الارواح ملحوظة من انوار الكمال والجلال وهي بالنسبة الى الابدان
بمنزلة قرص الشمس بالنسبة الى هذا العالم وكما ان كل جسم يصل اليه نور الشمس تتبدل
ظلماته بالاضواء فكذلك كل عضو وصل اليه نور الروح انقلب حاله من الموت الى
الحيوة قالوا الارواح اربعة اقسام الاول الارواح المكدرة بالصفات البشرية وهي ارواح العوام
علم

تحليه القوى الحيوانية لا تقبل العروج والثاني الارواح التي لها كمال القوة النظرية
للبدن باكتساب العلوم وهذه ارواح العلماء والثالث الارواح التي لها كمال القوة المدبرة
للبدن باكتساب الاخلاق الحميدة وهذه ارواح المرتاضين اذا كسروا قوى ابدانهم
بالارتياض والمجاهدة والرابع الارواح التي حصل لها كمال القوتين وهذه غاية الارواح
البشرية وهي للانبياء والصديقين فكلما ازداد قوة ارواحهم ازداد ارتفاع ابدانهم
عن الارض ولهذا لما كان الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم قويت فيهم هذه
الارواح عرج بهم الى السماء واكملهم قوة نبينا صلى الله عليه وسلم الى قاب قوسين او ادنى
الفصل الاول قتادة من اسرى به صفة ليلة اى اسرى به فيها ونحوه في التقدير
قوله تعالى واتقوا يوما لا تجزى نفس لا تجزى صفة يوما اى لا تجزى فيه نفس قوله انا في الحطيم
صح الحطيم قيل هو الحجر سمي حجرا لانه حجر عنه بحيطانه وحطيما لانه حطم جداره عن مساواة
الكعبة وعليه ظاهر قوله بينما انا في الحطيم وربما قال في الحجر فلعله صلى الله عليه وسلم حكى لهم
قصة المعراج مرات فعبر بالحطيم تارة وبالحجر اخرى وقيل الحطيم غير الحجر هو ما بين المقام
الى الباب وقيل ما بين الركن والمقام وزمزم والحجر والراوي شك في انه سمع في الحطيم او في
الحجر قوله الى شعرته صح الشعرة بالكسر العانة وقيل منبت شعرها تو ما ذكر في الحديث
من شق النحر واستخراج القلب وما يجري مجراه فان السبيل في ذلك التسليم دون التعرض
لصرفه الى وجه يتقوله متكلف ادعاء للتوفيق بين المنقول والمعقول تبريا مما يتوهم
انه محال ونحن بحمد الله لا نرى العدول عن الحقيقة الى المجاز في خبر الصادق عن الامر المحال
به على القدرة قوله محشو ايمانا مظ لعله من باب التمثيل اذ مثل له المعاني كما مثل له ارواح
الانبياء الدارجة بالصور التي كانوا عليها قوله عند اقصى طرفه اى ان البراق يضع خطوه
عند غاية نظره لغاية سرعته في مشيته سمي براقا لبريق لونه وسرعة سيره كبرق السماء
مح قالوا هو اسم للدابة التي ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرى قال الزبيدي في
مختصر العين وصاحب التحرير هي دابة كانت الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم يركبونها
وهذا الذي قالاه يحتاج الى نقل صحيح اقول لعلهم حسبوا ذلك من قوله في حديث آخر
فربطته بالحلقة التي يربط بها الانبياء اى ربطت البراق بالحلقة التي يربط بها الانبياء البراق
واظهر منه حديث انس في الفصل الثاني قوله جبريل للبراق فما ركبك احد اكرم على الله منه

قوله وقد ارسل اليه الواو للعطف وحرف الاستفهام مقدر اى اطلب وارسل اليه
وفي رواية اخرى وقد بعث اليه اى بعث الله للاسراء وصعود السموات وليس مراده
الاستفهام عن اصل البعثة والرسالة فان ذلك لا يخفى عليه الى هذه المدة وهذا هو الصحيح
قال القاضي عياض وفي هذا ان للسماء ابوابا حقيقة وحفظة موكلين بها وفيه اثبات
الاستيذان وانه ينبغي ان يقول انا زيد مثلا اى ارسل اليه للعروج وقيل معناه
اوحى اليه وبعث نبيا والاول اظهر لان امر نبوته كان مشتهرا في الملكوت لا يكاد يخفى على
خزان السموات وحراسها واوفق للاستفتاح والاستيذان ولذلك لم يكن معه وتحت هذه الكلمات
ونظائرها اسرار تنفتق لها من فتحت بصيرته واشتعلت قريحته وقيل كان سؤالهم للاستعجاب
بما انعم الله عليه او للاستبشار بعروجه اذ كان من البين عندهم ان احدا من البشر لا يترقى الى
اسباب السموات من غير ان ياذن الله له ويامر ملائكته بالاصعاد وان جبريل لا يصعد
بمن لم يرسل اليه ولا يستفتح له ابواب السماء وامر بالتسليم عليهم لانه كان عابرا عليهم
فكان في حكم القيام وكانوا في حكم القعود والقائم يسلم على القاعد وان كان افضل منه وكيف
لا والحديث دل على انه اعلى رتبة واقوى حالا واتم عروجا ورؤيته الانبياء في السموات مع
بيت المقدس حيث انهم يحمل على رؤية ارواحهم المتمثلة لصورهم التي كانوا عليها
واحسنها غير عيسى عليه السلام فان رؤيته محتملة للامرين واما ما ذكر من بكاء موسى
عليه السلام فانه يحمل على الرقة لقومه والشفقة عليهم حيث لم ينتفعوا بمتابعته
انتفاع هذه الامة بمتابعتهم نبيهم ولم يبلغ سوادهم مبلغ سوادهم ولا يصح ان يحمل الا على
هذا الوجه ولما يضاهي ذلك فان الحسد في ذلك العالم منزوع عن عوام المؤمنين فضلا
عمن اختاره الله لرسالته واصطفاه لمكالمته وقوله لان غلاما بعث بعدي لم يرد بذلك
استقصار شانه فان الغلام قد يطلق ويراد به القوي الطري الشاب والمراد منه استقصار
مدته مع استكثار فضائله واستتمام سواد امته قوله فنعم المجيء جاء المخصوص
بالمدح محذوف وفيه تقديم وتاخير تقديره جاء فنعم المجيء مجيئه قال المالكي في قوله
الملك نعم المجيء جاء شاهد على الاستغناء بالصلة عن الموصول والصفة عن الموصوف في
باب نعم لانها تحتاج الى فاعل هو المجيء والى مخصوص بمعناها وهو مبتدا مخبر عنه بنعم وفاعلها
وهو في هذا الكلام ونحوه موصول او موصوف بجاء والتقدير نعم المجيء الذي جاء ونعم المجيء

مجي

مجيء جاد وكونه موصولا اجرى لانه مخبر عنه وكون المخبر عنه معرفة اولى من كونه نكرة

قوله ثم دفعت الى سدرة المنتهى الرفع تقريبك الشيء وقد قيل في قوله تعالى وفرش مرفوعة

اى مقربة لهم فكانه اراد سدرة المنتهى استبينت له بنعوتها كل الاستبانة حتى

اطلع عليها كل الاطلاع بمثابة الشيء المقرب اليه وفي معناه رفع لي بيت المعمور ورفع

لي بيت المقدس سميت سدرة لانها علم الملائكة ننتهي اليها ولم يجاوزها احد الا

رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكى عن عبد الله بن مسعود انها سميت بذلك لكونها ينتهي

اليها ما هبط من فوقها وما يصعد من تحتها من امر الله تبارك وتعالى قوله فاذا نبقها

النبق بكسر الباء حمل السدر ويخفف ايضا الواحد نبقة ونبقة قوله نهران باطنان

قال مقاتل الباطنان هو السلسبيل والكوثر والظاهران النيل والفرات يخرجان

من اصلها ثم يسيران حيث اراد الله تعالى ثم يخرجان من الارض ويسيران فيها هذا

لا يمنعه شرع ولا عقل وهو ظاهر الحديث فوجب المصير اليه قوله وعالجت بني اسرائيل

اشد المعالجة اى مارستهم ولقيت الشدة فيما اردت منهم من الطاعة والمعالجة مثل المزاولة

والمحاولة قوله ولكني ارضى واسلم فان قلت كيف ان تقع بين كلامين متغايرين

معنى فما وجهه ههنا قلت تقدير الكلام ههنا حتى استحييت فلا ارجع فاني اذا رجعت

غير راض ولا مسلم ولكني ارضى واسلم مراجعة النبي صلى الله عليه وسلم في باب الصلوة

انما جاءت من رسولنا محمد وموسى صلوات الله عليهما لانهما عرفا ان الامر الاول غير واجب

قطعا فلو كان واجبا قطعا لما صدرت منهم المراجعة فصدور المراجعة دليل على ان ذلك

غير واجب قطعا لان ما كان واجبا قطعا لا يقبل التخفيف وقيل في الاول فرض خمسين

ثم رحم عباده ونسخها بخمس كآية الرضاع وعدة المتوفى عنها زوجها وفيه دليل على انه

يجوز نسخ الشيء قبل وقوعه انس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه قوله شطر الحسن اى نصف

الحسن وقيل البعض لان الشطر كما يراد به نصف الشيء قد يراد به بعضه مطلقا او لا

قد يراد به الجهة ايضا نحو قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام اى جهة من الحسن

وقسمة منه كما يقال على وجهه مسحة ملك ومسحة جمال اى اثر ظاهر ولا يقال ذلك الا في

المدح قوله اذا هو قد اعطي بدل من الاول في معنى بدل الاشتمال قوله سندا منصوب

على الحال في صحيح مسلم وشرح السنة وفي المصابيح مرفوع وهو على حذف المبتدأ

وقوله لا يعودون اليه الضمير المجرور فيه عايد الى البيت المعمور اى يدخلون فيه
ذاهبين غير عايدين ابدا لكثرتهم قوله فلما غشيها من امر الله ما غشي قيل فراش
من ذهب ولعل مثل ما تغشى الانوار التي ينبعث منها ويتساقط على موقعها
بالفراش وجعلها من الذهب لصفائها واضائها في نفسها قوله بين يدي وبين موسى
معناه بين الموضع الذي ناجيته اولا فناجيته فيه ثانيا وبين موضع ملاقاة
موسى اولا قوله انهى خمس الضمير فيه مبهم تفسيره الخبر كقوله هي النفس ما حملها تحمل
قوله كتبت له حسنة كتبت مبني على المفعول والضمير فيه راجع الى قوله بحسنة
وحسنة وضعت موضع المصدر اى كتبت الحسنة كتابة واحدة وكذا عشرا وكذا سيئا
منصوبان على المصدر كذا في مسلم وجامع الاصول وشرح السنة وفي بعض المصابيح وحسنة
وعشر مرفوعان وهذا غلط الناسخ الثالث ابن شهاب قوله فرج عن سقف بيتي فان
قيل قد روى انس في حديث المعراج عن مالك بن صعصعة عن النبي صلى الله عليه وسلم
بينما انا في الحطيم او في الحجر وفي هذا الحديث قال فرج عن سقف بيتي قلنا كان لرسول الله
صلى الله عليه وسلم معراجان احدهما حالة اليقظة على ما رواه مالك والثاني في النوم ولعله
صلى الله عليه وسلم اراد ببيتي بيت ام هانئ اذ روي ايضا الاسراء منه فاضافه الى نفسه تارة
لانه ساكنه واليها اخرى لانها صاحبته قوله وابا حبة الانصاري بفتح الحاء المهملة وتشديد
الباء الموحدة كذا في شرح السنة وفي المصابيح بالياء صح بالحاء المهملة والباء الموحدة هكذا
ضبطناه هنا وفي ضبطه واسمه اختلاف قد وجد بالياء المثناة تحت وقيل بالنون
والاصح ما ذكرناه وقد اختلف في اسمه فقيل عامر وقيل مالك وقيل ثابت قوله ظهرت
لمستوى صح اى علوت المستوى بفتح الواو قال الخطابي المراد به المصعد وقيل المكان المستوى
وصريف الاقلام بالصاد المهملة صوت ما يكتبه الملائكة من اقضية الله تعالى ووحيه
وما ينسخونه من اللوح المحفوظ او ما شاء الله تعالى من ذلك ان يكتب ويرفع لما اراده الله
تعالى من امره وتدبيره قال القاضي عياض في هذا حجة لمذهب اهل السنة في صحة كتابة
الوحي والمقادير في كتب الله تعالى من اللوح المحفوظ بالاقلام التي هو الله تعالى
يعلم كيفيتها على ما جاءت به الآيات لكن كيفية ذلك وصورته مما لا يعلمه الا الله تعالى
من ذلك ان يكتب ويرفع لما اراده الله تعالى من امره وتدبيره وما يتناول هذا ويحيله

عن طاهر

عن كابرح الاضعيف النظر والايمان اذ جاءت به الشريعة ودلايل العقول
لايحيله اللام فيه للعلة اى علوت لاستعلا مستوي اولرؤيته اولمطالعته
ويحتمل ان يكون متعلقا بالمصدر اى ظهرت ظهور المستوي ويحتمل ان يكون بمعنى
إلى والـ تعالى واوحي لها اى اليها والمعنى اى اتمت مقاما بلغت فيه من رفعة
الى حيث اطلعت على الكوائن وظهرلي ما يراد من امر الله وتدبيره في خلقه و
هذا والله هو المنتهى الذى لا تقدم فيه لاحد عليه اول لام العرض والى العائد
ملتقيان في المعنى الكشاف فى قوله كل يجرى الى اجل مسمى فان قلت يجرى لاجل
مسمى اهو من تعاقب الحرفين قلت كلا ولا يسلك هذه الطريقة الا بليد الطبع ضيق
العطن ولكن المعنيين اعنى الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما ملايم لصحة
الغرض لان قولك يجري الى اجل مسمى معناه يبلغه وينتهي اليه وقوله يجرى لاجل
مسمى يريد يجرى لادراك اجل مسمى وقوله لا يبدل القول لدى يحتمل ان يراد انى
[illegible] الخمس والخمسين فى الثواب وهذا القول عن مبدول او جعلت
الخمسين خمسا ولا تبدل فيه وقوله استحييت من ربي لا تناسب المعنى الثاني
والجنابذ جمع جنبذة وهى القبة الرابع عبد الله قوله فى السماء السادسة
هكذا هو فى جميع الاصول قال القاضى كونها فى السماء السادسة هو الاصح وقول
الاكثرين وهو الذى يقتضيه المعنى وتسميتها المنتهى قال الشيخ محيى الدين ويمكن
ان يجمع بينهما فيكون اصلها فى السادسة ومعظمها فى السابعة فقد علم انها فى نهاية من
العظم وقد قال الخليل السدرة فى السماء السابعة قد اظلت السموات والجنة وقد ذكر
القاضى عياض ان مقتضى خروج النهرين الظاهرين النيل والفرات من اصل سدرة
المنتهى ان يكون اصلها فى الارض فان سلم هذا امكن حمله على ما ذكرناه والمقحمات
[illegible] الذنوب العظام الكبائر التى يهلك اصحابها ويوردهم النار والمراد بغفرانها
انه لا يخلد فى النار بخلاف المشركين وليس المراد به انه لا يعذب اصلا وقد علم
من نصوص الشرع واجماع اهل السنة اثبات عذاب العصاة من الموحدين قوله
فبض منها لعل القابض غير الصاعد بالاعمال من الملايكة وكذلك النازل
قوله قال فراش من ذهب فان قلت كيف التوفيق بين قوله وهذا وبين قوله

في غير هذا الحديث فغشيها ألوان لا ادري ما هي قوله غشيها الوان ما ادري ما هي
في موقع قوله اذ يغشى السدرة ما يغشى في ارادة الابهام للتفخيم والتهويل
ان كان معلوما كما في قوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم في حق فرعون ثم
قوله هنا فراش من ذهب بيان له قوله خواتيم سورة البقرة تو ليس يعني بقوله
اعطي انها انزلت عليه بل المعنى انه استجيب له فيما لقن في الآيتين من قوله سبحانه
غفرانك ربنا الى قوله انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ولمن يقوم بحقها
من السائلين اورد في كلا مما اشعار بان الاعطاء بعد الانزال لان المراد منه الاستجابة
والاستجابة مسبوقة بالطلب والسورة مدنية والمعراج في مكة ويمكن ان يقال
ان هذا من قبيل فاوحى الى عبده ما اوحى والنزول بالمدينة من قبيل ما ينطق
عن الهوى ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى وانما اوثر الاعطاء لما عبر
عنهما بكنز تحت العرش روينا عن احمد بن حنبل عن ابي ذر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطهن
نبي قبلي وكان لنبينا صلوات الله عليه مع الله تعالى مقامان يغبطهما الاولون
والآخرون احدهما في الدنيا ليلة المعراج وثانيهما في العقبى وهو المقام المحمود
ولاهتمام فيهما الاشان هذه الامة المرحومة الخامس ابو هريرة رضي الله عنه قوله
من بيت المقدس ح وفيه لغتان فتح الميم واسكان القاف وكسر الدال المخففة
والثانية بضم الميم وفتح القاف والدال المشددة ولم يضبطها قوله كربا في المصابيح
وفي شرح صحيح مسلم كربة ح الضمير في مثله يعود على معنى الكربة وهو الغم والهم
او الشيء قال الجوهري الكربة بالضم الغم الذي ياخذ النفس لشدته قوله فرفعه
الله لي اي رفع حجاب بيت المقدس لي لانظر اليه قوله قائم يصلي اشبه الناس
اخبار متعاقبة لابرهيم قوله فاممتهم ح قال القاضي عياض فان قيل كيف راى
موسى عليه السلام يصلي وام صلى الله عليه وسلم الانبياء في بيت المقدس ووجدهم
على مراتبهم في السموات فالجواب يحتمل انه صلى الله عليه وسلم رآهم وصلى بهم في بيت المقدس
ثم صعدوا الى السماء فوجدهم فيها وان يكون اجتماعه بهم وصلوته معهم بعد
انصرافه ورجوعه عن سدرة المنتهى قوله فبك في بابه سلام انا بدأنا بالسلام ليزيل

فما استشعر من الخوف منه بخلاف سلامه على الانبياء ابتداء كما سبق باب
في المعجزات المعجز ما خوذ من العجز الذي هو ضد القدرة وفي التحقيق المعجز
فاعل العجز في غيره وهو الله سبحانه وسميت دلالات صدق الانبياء واعلام
الرسل معجزة لعجز المرسل اليهم عن معارضتها لمثلها ودخلت الهاء فيها اما
للمبالغة كعلامة ونسابة واما ان تكون صفة لمحذوف كاية وعلامة
الفصل الاول انس رضي الله عنه قوله ونحن في الغار الغار ثقب في
اعلا ثور وهو جبل بمنى مكة على مسيرة ساعة قيل طلع المشركون فوق الغار
فاشفق ابو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله
فقال صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما اي جاعلهما ثلاثة بضم نفسه تعالى
اليهما في المعية المعنوية التي اشار اليه بقوله تعالى ان الله معنا وهو من قوله تعالى
ثاني اثنين اذ هما في الغار الاية وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعم
ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد اخذ الله بابصارهم عنه فان قلت
اي فرق بين هذا وبين قوله تعالى لموسى وهرون لا تخافا انني معكما فلت بينهما بون بعيد
لان معنى قوله معكما اي ناصركما وحافظكما من مضرة فرعون ومعنى قوله الله ثالثهما اي
الله تعالى جاعلهما ثلثة فيكون تعالى احد الثلثة وان كل واحد مشترك فيما له وعليه
من النصرة والخذلان وان قلت ما الفرق بين قوله الله ثالثهما وبين قوله ثالثهما الله قلت
لا تقدم ما تقدم هنا الا لنكتة سرية فان قوله الله ثالثهما يفيد انهما مختصان بان
الله تعالى ثالثهما وليس ثالث غيرهما وفي عكسه يفيد ان الله تعالى ثالثهما لا غيره
وكم بين العبارتين البون الثاني البراء قوله ومن الغد اي بعضه اي اسرينا ليلتنا وبعض
الغد وهو من وادي علفتها تبنا وماء باردا اذ الاسراء لا يكون الا بالليل وانما ذكر ليلتنا
ليدل على ان الاسراء كان قد وقع طول الليلة وقوله قائم الظهيرة اي قيام الشمس
وقت الزوال من قولهم قامت به دابته اي وقفت والمعنى ان الشمس اذا بلغت وسط
السماء ابطأت حركة الظل الى ان تزول فيحسب الناظر المتأمل انها قد وقفت
وهي سائرة لكن سيرا لا يظهر له اثر سريع كما يظهر قبل الزوال وبعده فيقال لذلك
الوقوف المشاهد قام قائم الظهيرة قوله فرفعت لنا صخرة اي اظهرت و منه

دافع الحديث وهو اذاعته واظهاره قوله لم يأت عليها اي لم يأت عليها الشمس
بعد بذهب بظلها يعني كان ظلها ممدودا باقيا قوله وانا انفض ما حولك اي
احرسك واطوف هل ارى طلبا يقال نفضت المكان واستنفضته وتنفضته
اذا نظرت جميع ما فيه والنفضة بفتح الفاء وسكونها والنفيضة قوم يبعثون
متجسسين هل يرون عدوا او خوفا قوله في قعب هو بفتح القاف قدح من خشب
مقعر وقيل الكثبة من اللبن قدر حلبة والكثبة كل قليل جمعته من طعام
او لبن او غير ذلك والجمع كثب ويرتوي فيها روية من الماء بالكسر ارتويت وترويت
كله بمعنى اقول فعلى هذا ينبغي ان يقال يرتوي منها لا فيها يرتوي فيها يستقي فيها
يعني جعل القدح آلة للري والسقي يشرب منها ويتوضأ ومنه الراوية وهي الابل التي
يستقى عليها الماء وقوله يشرب ويتوضأ مستأنفتان لبيان الاغتناء في السقي قوله
فوافقته حتى استيقظ اي وافقته في النوم او ما بعثته حتى استيقظ وفي بعض
نسخ البخاري حين استيقظ اي وافق اتياني وقت استيقاظه و[illegible] وافقته
وقد استيقظ قوله فارتطمت به اي ساخت (غابت) قوائمها كما يسوخ في الوحل والجلد من الارض
الصلبة قوله ان ارد عنكما الجار محذوف تقديره بان ارد وقوله فالله لكما جملة
بينهما ويمكن ان يقال فالله مبتدأ ولكما خبره وقوله ان يرد خبر ثان للمبتدأ وقال غيره معناه
فادعوا لي كيلا يرتطم فرسي على ان اترك طلبكما ولا اتبعكما بعد ثم دعا لهما بقوله
فالله لكما اي الله تعالى حافظكما وناصركما حتى تبلغا بالسلامة الى مقصدكما و
يجوز ان يكون معناه ادعوا لي حتى انصرف عنكما فان الله تعالى قد تكفل بحفظكما عني
ويحبسني عن البلوغ اليكما اقول الفاء في فالله يقتضي ما يترتب ما بعدها عليه ولكما
خبر المبتدأ يقتضي متعلقا يتعلق به هو وما بعده والتقدير ادعوا لي بان اتخلص مما
انا فيه فانكما ان فعلتما فالله اشهد لاجلكما ان ارد عنكما الطلب ويؤيد هذا التقدير
ما في شرح السنة والله على القسم اي اقسم بالله لكما على ان ارد الطلب عنكما [illegible] فجعل
لا يلقى احدا اي فشرع فيما وعد من رد من لقي وقوله ما ههنا يعني الذهب اي كفيتم الذي
هنا والمعنى كفيتم الطلب في هذا الجانب لاني كفيتكم ذلك فيه فوايد منها هذه المعجزة
الظاهرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفضيلة ظاهرة لابي بكر رضي الله عنه من وجوه وفيه
حذمة

خدمة التابع للمتبوع واستصحاب الركوة ونحوها في السفر للطهارة والشرب وفيه
فضل التوكل على الله تعالى وحسن عاقبته الثالث انس رضي الله عنه قوله تخترف
اي تجتني قوله وما ينزع الولد اي وما سبب نزوع الولد وميله الى احد الابوين
فحذف المضاف وان المصدرية من المضارع كما في قوله احضر الوغى ط سق اذا علا
وغلب يقال نزع الولد الى ابيه اذا اشبهه ذكره في الغريبين يعني اذا غلب ماء الرجل
اشبهه الولد واذا غلب ماء المرأة اشبهها الولد انتهى كلامه فعلى هذا التانيث
في نزعت بتاويل النسمة قوله قوم بهت نه جمع بهوت من بناء المبالغة في البهت
مثل صبور وصبر ثم يسكن تخفيفا الرابع انس رضي الله عنه قوله اقبال ابي سفيان
اي بالعير من الشام الى مكة وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة
ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان فاعجب المسلمين تلقي العير لكثرة الخير وقلة
القوم فلما خرجوا بلغ مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة
النجا النجا فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل
ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله فمضى بهم الى بدر ونزل جبريل فاخبر
ان الله وعدكم احدى الطائفتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العير قد مضت
على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقام سعد بن عبادة فقال يا رسول الله
لو امرتنا ان نخيضها البحر لاخضناها خ قالوا انما قصد صلى الله عليه وسلم بالاستشارة
اختبار الانصار لانه لم يكن بايعهم على ان يخرجوا معه للقتال وطلب العدو وانما بايعهم
على ان يمنعوه ممن يقصده فلما عرض الخروج لعير ابي سفيان اراد ان يعلم انهم
يوافقونه على ذلك ام لا فاجابوا احسن جواب بالموافقة التامة في هذه المرة و
غيرها وفيه حث على استشارة الاصحاب واهل الراي والخبرة قوله ان نخيضها
ص الاخاضة الادخال في الماء والكناية للخيل والابل وان لم يجر ذكرهما للقرينة الحالية
وضرب الاكباد عبارة عن تكليف الدابة (اي الفرس) للسير بابلغ ما يمكن قوله الى برك الغماد خ
هو بفتح الباء واسكان الراء هو المشهور في كتب الحديث وروايات المحدثين قال القاضي
عياض عن بعض اهل اللغة صوابه بكسر الباء قال وكذا قيده شيوخ حديث ابي ذر
في البخاري واتفقوا على ان الراء ساكنة الا ما حكاه القاضي عن الاصيلي باسكانها

وفتحها وهذا حديث غريب ضعيف والعماد بكسر العين المعجمة وضمها لغتان مشهورتان في
واهل الحديث على ضمها واللغة على كسرها وهو موضع من وراء مكة بخمس ليال بناحية الساحل
وقيل بلد باليمن وقيل هو موضع باقصى هجر وقوله فما ماط احدهم يريد ما بعد الخامس ابن عباس
رضي الله عنهما قوله انشدك عهدك يقال نشدت فلانا انشده نشدا اذا قلت له
نشدتك الله اي سالتك بالله وقد يستعمل في موضع السوال والعهد هاهنا
بمعنى الامان يريد اسالك امانك وانجاز وعدك الذي وعدتنيه بالنصر فان قيل
كان النبي صلى الله عليه وسلم اعلم الناس بالله وقد علم ان الله سبحانه وتعالى لم يكن
ليعد وعدا فيخلفه فما وجه هذا السوال قلنا الاصل الذي لا يفارق هذا الكلام هو
ان الدعا عبادة ويتقرب اليه علم الداعي حصول المطلوب او لم يعلم ثم ان العلم بالله
يقتضي الخشية منه ولا يرفع الخشية من الانبيا عليهم السلام بما اوتوا ووعدوا
من احسن العاقبة فيجوز ان يكون خوفه من مانع ينشا ذلك من قبله اي
من قبل امته فيحبس عنهم النصر الموعود ويحتمل انه وعده بالنصر ولم يعين
له الوقت وكان على وجل من تاخر الوقت فتضرع الى الله تعالى لينجز له الوعد
في يومه ذلك واما ما اظهر من الضراعة قيل والاحسن ان يقال ان مبالغة
رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوال مع عظم يقينه بربه وكمال علمه به كان
تشجيعا للصحابة وتقوية لقلوبهم لانهم كانوا يعرفون ان دعاه لا محالة مستجاب
لا سيما اذا بالغ فيه اقول المراد بالوعد ما في قوله تعالى واذ يعدكم الله احدى
الطائفتين انها لكم وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله امرني ان احرق قريشا فقلت اذا يثلغوا
راسي فيدعوه خبزة قال استخرجهم كما استخرجوك واغزهم نغزك وانفق فسننفق
عليك وابعث جيشا نبعث خمسة مثله وقاتل بمن اطاعك من عصاك لعله علم عن عيا في
المجاشعي ولعله صلى الله عليه وسلم لما استحضر معنى قوله تعالى ان الله لغني عن العالمين
وقوله تعالى والله هو الغني الحميد وان يشا يذهبكم في قوله ان تهلك لا تعبد اي ان
يشا ان لا يعبد فيهلك هذه العصابة خاف من ذلك وبقي نظر الى وعده
وانه لا يخلف وعده بالغ في الدعاء والح في المسالة وكان صلى الله عليه وسلم بين الخوف
الى الرجا ثم رجح جانب الرجا بقوله سيهزم الجمع ويولون الدبر فخرج مستبشرا مع وفور

فشا

مخاط وهنه ودمه ثمة وثب في الدرع ح بدر هو ماء معروف على نحو
اربع مراحل من المدينة بينها وبين مكة قال ابن قتيبة هو بئر كانت لرجل
يسمى بدرا وكانت غزوة بدر يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من شهر رمضان
في السنة الثانية من الهجرة السادس والسابع ابن عباس رضي الله عنهما قوله
يشتد اي يعدو ويحمل يقال شد في الحرب يشد بالكسر قوله اقدم حيزوم
هو بهمزة قطع مفتوحة وبفتح الدال من الاقدام قالوا وهي كلمة زجر للفرس
وقيل بضم الدال وهمزة وصل مضمومة من التقدم والاول اشهر بها وحيزوم اسم
فرس الملك وهو منادى حذف منه حرف النداء والخطم بالخاء المعجمة اثر على الانف قوله
من مدد السماء الثالثة فيه تنبيه على ان مدد السماء كانت من السموات كلها وهذا
من الثالثة خاصة وقوله صدقت ذلك اشارة الى المذكور من قوله سمع ضربة الى اخره
الثامن سعد رضي الله عنه قوله كاشد القتال الكاف فيه زائدة تاكيدا وقوله يعني من قول
الراوي ادرجه بيانا لعله عرف ذلك من دليل التاسع البراء رضي الله عنه قوله رهطا
الى ابي رافع ص ابو رافع كنية ابي الحقيق اليهودي اعدى عدو رسول الله صلى الله عليه وسلم
نبذ عهده وتعرض له بالهجاء وتحصن عنه بحصن كان له فبعثهم اليه ليقتلوه فدخل
عليه عبد الله بن عتيك فقتله كما دل عليه الحديث قوله حتى اخذ في ظهره عداه بفي
ليدل على شدة التمكن واخذه منه كل ما اخذ واليه اشار بقوله حتى اخذ في ظهره وقوله
فوقعت في ليلة مقمرة يعني كان سبب وقوعه على الارض ان ضوء القمر وقع في الدرج
فدخل فحسبت ان الدرج متساو للارض فوقعت منه على الارض وعصبتها
اي شددتها فكانما لم اشتكها اي كانها لم تتوجع قط العاشر جابر رضي الله عنه قوله كدية
الكدية قطعة غليظة صلبة لا يعمل فيها الفاس والذواق الماكول والمشروب فعال
بمعنى مفعول من الذوق يقع على المصدر والاسم وكثيبا اهيل اي رملا سايلا ص
والمعنى ان الكدية التي عجزوا عن رضها صارت بضربة واحدة ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم
كتل من الرمل مضطرب سيال والانكفاء الانصراف والانقلاب والخمص بسكون الميم الجوع
سمي بذلك لان البطن يضمر به قوله ولنا بهيمة ح هي الصغيرة من اولاد الضأن ويطلق
على الذكر والانثى كالشاة والداجن ما الف البيوت د في قوله فساررته جاز السار

بالحاجة بحضرة الجماعة وانما النهي ان يناجي اثنان دون الثالث كما سبق والسور بضم
السين غير مهموز هو الطعام الذي يدعى اليه وقيل الطعام مطلقا وهي لفظة فارسية
وقد تظاهرت احاديث صحيحة بان رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم بالالفاظ الفارسية
وهو يدل على جوازه واما حيهلا فهو بتنوين هلا وقيل بلا تنوين على وزن على
ويقال حيهل ومعناه عليكم بكذا او ادعوكم بكذا والبرمة القدر مطلقا وجمعها برام
وهي في الاصل المتخذة من الحجر قوله فبصق ح هو بالصاد هكذا هو في اكثر الاصول وفي
بعضها بالسين وهي لغة قليلة قوله وانا فاخرجي من بن متكلم يقال قدحت المرق اي غرفته
ومنه المقدح وهي المغرفة سلك بالخطاب مسلك التلوين فخاطب به ربة البيت اولا ولعل
في نسخته فلتخبز معي بالاضافة الى ياء المتكلم كما هو في بعض نسخ المصابيح فحمله على ما ذهب
اليه قال الشيخ محيي السنة جاء في بعض الاصول ادعي على خطاب المونث وهو الصحيح
الظاهر ولهذا قال فلتخبز معك وفي بعضها ادعوا بالواو اي اطلبوا وفي بعضها ادع
انتهى كلامه ويعلم منه ان معي لم يوجد بها رواية واذا ذهب الى ادعي معك لم يكن من
تلوين الخطاب في شيء وقوله لتغط بكسر الغين المعجمة اي تغلي ويسمع غليانه وقوله
كما هي ما كافة وهي مصححة لدخول الكاف على الجملة وهي مبتدا والخبر محذوف اي
كما هي قبل ذلك ح قد تظاهرت الاحاديث بمثل هذا من تكثير طعام القليل ونبع
الماء وتكثيره وتسبيح الطعام وحنين الجذع وغير ذلك مما هو معروف حتى صار مجموعها بمنزلة
التواتر وحصل العلم القطعي به وقد جمع العلماء اعلاما من دلائل النبوة في كتبهم كالقفال
الشاشي وصاحبه ابي عبد الله الحليمي وابي بكر البيهقي وغيرهم مما هو مشهور واحسنها
كتاب البيهقي ولله الحمد على ما انعم به على نبينا صلى الله عليه وسلم وعلينا باكرامه
الحادي عشر ابو قتادة رضي الله عنه قوله حين يحفر الخندق حكاية الحال الماضية وكذا تقول وقوله
تقتلك الفئة الباغية بيان لقوله بؤس ابن سمية وكان من الظاهر ان يقال يقتله ولما كان
المراد بنداء البؤس نفسه استقام ذلك ح البؤس الشدة وسمية بالضم اسم ام عمار بن
ياسر والمعنى يا بؤس عمار احضري هذا اوانك نادى بؤسه واراد نداءه ولذلك خاطبه بقوله
تقتلك الفئة الباغية يريد به معاوية وقومه فانه قتل يوم صفين فاتسع في حذف يا
وهي لا تحذف عن اسماء الاجناس الثاني عشر سليمان قوله اهل الاحزاب وهم قريش وغطفان

في غزوة

في عشرة آلاف من بني كنانة واهل تهامة وقايدهم ابو سفيان وخرج غطفان في الف ومن تابعهم
من اهل نجد وقايدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل في هوازن وعاونتهم اليهود من
قريظة والنضير ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة
حتى انزل الله تعالى النصر بان ارسل عليهم ريح الصبا وجنودا لم تروها وهم الملايكة وقذف
في قلوبهم الرعب فقال طليحة بن خويلد الاسدي النجا النجا فانهزموا من غير قتال وهذا
معنى الاجلاء وقوله الان نغزوهم اخبار بما تدل شوكة المشركين من اليوم فلا يقصدوننا
البتة بعد بل نحن نغزوهم ونقاتلهم وتكون عليهم دايرة السوء وكما قال كان صح فكان معجزة الثالث عشر
عايشة رضي الله عنها قوله موكب جبريل موكب جبريل في صحيح البخاري وشرح السنة واكثر نسخ
المصابيح بدون من نصبا على نزع الخافض وفي بعضها باثبات من والموكب جماعة ركاب يسيرون
برفق الرابع عشر جابر رضي الله عنه قوله كنا خمس عشرة مائة عدل عن الظاهر لاحتماله التجوز في الكثرة
والقلة وهذا يدل على انه اجتهد فيه وغلب ظنه على هذا المقدار وقول البراء في الحديث الذي
يتلو هذا الحديث كنا اربع عشرة مائة كان عن تحقيق لما سيجي في الفصل الثاني من باب قسمة الغنايم
ان اهل الحديبية كانوا الفا واربعماية تحقيقا وقول من قال الف وخمسماية وهم الخامس عشر
والسادس عشر عوف قوله كان يسميه ابو رجاء فاعل يسميه ابو رجاء وضمير المفعول عايد
الي فلانا وكذا في قوله نسيه قوله بين مزادتين المزادة الراوية وهي في الاصل
لما يوضع فيه الزاد والسطيحة نوع من المزادة يكون من جلدين قوبل احدهما بالآخر
فسطح عليه قوله فاستنزلوها الضمير يجوز ان يرجع الى المرأة اي طلبوا منها ان ينزل
عن البعير وقيل الضمير راجع الى المزادة يعني انزلوها واستنزل وانزل بمعنى وقوله
عطاشا حال وابعيث بيان له وقوله وايم الله لقد اقلع عنها اي وايمن الله قسمي لقد انكفت
الجماعة عن المزادة ورجعوا عنها وان الشان والحديث ليشبه الينا ان تلك المزادة
كانت اكثر ملا من تلك الساعة التي استقوا منها السابع عشر جابر رضي الله عنه قوله
واديا افيح كل موضع واسع يقال له افيح وروضة فيحاء والمخشوش هو الذي في
انفه الخشاش بالكسر وهو عويد يجعل في انف البعير ليكون اسرع الى الانقياد والمنصف
الموضع الوسط بين الموضعين قوله واذا شجرتين بالنصب كذا في صحيح مسلم واكثر نسخ المصابيح
وفي بعضها شجرتان بالرفع هو مختار بتقدير النصب فوجدت شجرتين نابتين بشاطئ الوادي

وهو كمسألة كنت اظن ان العقرب اشد لسعة من الزنبور فاذا هو اياها قال الشارح
انما جوّزوا الاتيان بالضمير المنصوب وهو اياها لان المفاجاة يدل على الوجدان ولفظة
هو فصل وعماد واياها مفعول وجدت مضمرا والمفعول الاول محذوف ناب ضمير الفصل
والعماد عنه اى وجدته اياها فاذا بمعنى وجدت قوله بصانع قائده او اى منقاد به

يكده كذا فى النسخة

وموافقه والاصل المصانعة الرشوة وهى ان تصنع لصاحبك شيئا ليصنع لك شيئا قوله ائتما ذى
علىّ اى لا تعصيا علىّ ونظيره قوله تعالى مالك لا تأمنا على يوسف اى لم تخافنا عليه
ونحن نريد له الخير ونحبه ونشفق عليه قوله ائتيا علىّ باذن الله علىّ حال اى اجيئا
مطلقين علىّ وقوله فحانت منى لفتة اى ظهرت منى التفاتة ونظيره من حان اذا آن
وقت الشيء واللفتة فعلة من الالتفات الثاني عشر الى العشرين عباس رضى الله عنه قوله
الى قتالهم متعلق بنظر وفى الحديث كما فى المصابيح اختصار مخل لان المذكور قبل وكى
المسلمون مدبرين فلا بد من ذكر ما يستقيم به المعنى والحديث رواه مسلم عن العباس
وفيه بعد قوله اخذ بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اى عباس ناد اصحاب السمرة فقال عباس وكان رجلا صيتا فقلت باعلى صوتى اين اصحاب
السمرة قال فوالله لكان عطفتهم حين سمعوا صوتى عطفة البقر على اولادها فقالوا يا لبيك
يا لبيك قال فاقتتلوا والكفار والدعوة فى الانصار يقولون يا معشر الانصار يا معشر الانصار
ثم قصرت الدعوة على بنى الحارث بن الخزرج فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وقوله
هذا مبتداء والخبر محذوف وحين مبني لانه مضاف الى غير متمكن متعلق باسم الاشارة
اى هذا القتال حين اشتد الحرب وفيه معنى التعجب واستعظام الحرب ونحوه تعلق
الحال والتعجب فى قوله تعالى هذا بعلى شيخا وتلك القرى نقص عليك تعجبا من حصول
الاشارة بالولد فى حال الشيخوخة واشير الى تلك القرى فى حالة اقتصاصنا عليك صنعتها
العجيبة الشان لمزيد التسلى وتثبيتا لنفسك قوله الوطيس شبه التنور وقيل هو الضراب فى
الحرب وقيل هو الوطاء الذى اى يطس الناس اى يدقهم وقال الاصمعى هو حجارة مدورة
اذا حميت لم يقدر احد يطؤها ولم يسمع هذا الكلام من احد قبل النبي صلى الله عليه وسلم
وهو من فصيح الكلام عبّر به عن اشتباك الحرب وقيامها على ساق انتهى كلامه وقوله
يا لبيك المنادى محذوف اى يا قوم كقوله تعالى الا يا اسجدوا على وجه قوله ما هو الا

ان رايتم

٣٩٢ ان علما بهم قبله يعني ليس انهزامهم سوى رميهم بالحصيات وما كان بالقتال وضرب
السيف والطعان ويحتمل ان يكون الضمير عبارة عن الامر والشان ويكون هو المستثنى منه
فيه معجزتان ظاهرتان لرسول الله صلى الله عليه وسلم احديهما فعلية والاخرى خبرية
فانه اخبر بهزيمتهم ورماهم بالحصيات فولوا مدبرين في الحادي والعشر قال ابو سفيان
قال لا والله هذا الجواب الذي اجابه البراء من بديع الادب لان تقدير الكلام فررتم
كلكم فيقتضي ان النبي صلى الله عليه وسلم وافقهم في ذلك فقال البراء لا والله ما فر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولكن جماعة من اصحابه جرى لهم كذا وكذا انتهى كلامه فان قلت ذكر في
الحديث السابق وولى المسلمون مدبرين وبعدما صاح بهم العباس وكان صيتا وفي
هذا الحديث فاقبلوا هنالك الى رسول الله فكيف الجمع بينهما قلت اقحم قبل الفا في قوله
فاقبلوا هنالك جميع ما يتصل به من فرارهم وتصويت العباس بهم واقبالهم الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقوله فنزل واستنصر اي النبي صلى الله عليه وسلم تواضعا واستكانة لله
تعالى وطلب النصر منه تعالى لعلمه ان النصر ليست الا منه وقد سبق في باب البيان
والشعر في انه لم يقصد بكلامه ذاك الشعر كلام صر وان قيل كيف نسب نفسه الى جده دون
ابيه وافتخر بذلك مع ان الافتخار من عمل الجاهلية فالجواب انه صلى الله عليه وسلم كانت
شهرته بجده اكثر لان اباه قد توفي شابا قبل اشتهاره وكان جده مشهورا شهرة
ظاهرة شايعة وكان سيد اهل مكة وكان مشتهرا عندهم ان عبد المطلب بشر
بالنبي صلى الله عليه وسلم وانه سيظهر ويكون شانه عظيما وكان قد اخبره بذلك
سيف بن ذي يزن وقيل ان عبد المطلب رأى رؤيا يدل على ظهور النبي صلى الله عليه وسلم
وكان ذلك مشهورا عندهم فاراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يذكرهم بذلك وينبههم
بانه صلى الله عليه وسلم لا بد من ظهوره على الاعداء وان العاقبة له لتقوى نفوسهم واعلمهم
ايضا انه ثابت لا نم الحرب لم يول مع من ولى وعرفهم موضعه ليرجع اليه الراجعون
واما قوله انا النبي لا كذب فمعناه انا النبي حقا فلا افر ولا ازول وفيه دليل على جواز
قول الانسان في الحرب انا فلان او انا فلان بن فلان او مثل ذلك واحمر الباس كناية عن
اشتداد الحرب واستعير ذلك لحمرة الدماء الحاصلة او لاشتعال نار الحرب واشتعالها كما
في الحديث السابق حمي الوطيس وفيه بيان شجاعته وعظيم وثوقه بالله تعالى وقوله يحاذي

بداى يوازيه ويحاذى منكبه حذو منكبه الثانى والعشرون سلمة قوله فلما غشوا اى
الكفار قاربوا الغشيان وشاهت الوجوه اى قبحت يقال شاه يشوه شوها ورجل اشوه
وامرأة شوهاء قوله فما خلق الله الظاهر ان يقال وما بقى منهم احد فعدل منه الى ما هو تاكيد
وتقوية للحصر وان احدا ما خلص من ذلك السنة وفيه بيان معجزاته صلى الله عليه وسلم
من وجهين احدهما ايصال تراب تلك القبضة الى اعينهم جميعا وثانيهما انها بحيث ملأت
عينى كل واحد منهم من تلك القبضة اليسيرة وهم اربعة آلاف فيمن فوقهم من امداد سائر
العرب الثالث والعشرون ابو هريرة رضى الله عنه قوله أرأيت الذى تحدث اى أخبرنى عن حال
من قلت فى شانه انه من اهل النار والحال انه من اهل الجنة لانه قاتل فى سبيل الله تعالى
اشد القتال فرد عليه بقوله اما انه من اهل النار اى القول ما قلت وان ظهر لك خلافه وقوله
فاهوى بيده الى كنانته اى قصد ومال الى جعبته وقال انتحر الرجل اذا نحر نفسه وفى المثل
سرق السارقة فانتحر وقوله فاشتد اى عدا قاصدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله الله اكبر
قاله تعجبا وفرحا لوقوع ما اخبر عنه فعظم الله تعالى حمدا وشكرا لتصديق قوله وان يكون
كسرا للنفس وتحقيرا حتى لا يتوهم انه من عنده وبنصره قوله انى عبد الله وقوله فاذن يا بلال
لا يدخل الجنة الا مؤمن تعريض بقول ذلك الرجل وتعريضه فى قوله وقد قاتل فى سبيل الله
من اشد القتال بانه من اهل الجنة كما سبق ح اسم الرجل قزمان قاله الخطيب البغدادى
وكان من المنافقين وكذا فى جامع الاصول قوله وان الله ليؤيد اى ان الله تعالى لينصر هذا
الدين ويقويه بالرجل الفاجر فلا تغتروا فى هذا كما اغتررتم فى ذلك لشدة عنايته بهذا
الدين وصونه عن الزوال الى يوم الدين الرابع والعشرون عائشة رضى الله عنها قوله يُخيل
اليه انه فعل الشئ وما فعله قد انكر بعض المبتدعة هذا الحديث لذلك وزعم انه يحط من
منزلة النبوة وان تجويزه يمنع الثقة بالشرع وهذا الذى ادعاه باطل لان الدلائل القطعية قد
قامت على صدقه وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك وتجويز ما قام الدليل
بخلافه باطل فاما ما يتعلق ببعض امور الدنيا التى لم يبعث بها فهو مما يعرض للبشر فغير بعيد
ان يخيل اليه وقد قيل انه انما كان يتخيل اليه انه وطئ زوجاته وليس بواطئ وقد يتخيل
للانسان مثل هذا فى المنام وقيل انه يخيل اليه ما يخيل ولكنه لم يعتقد صحته وكانت
معتقدا انه على السداد والصحة وقيل ليخيل اليه اى يظهر له من نشاطه انه قادر

على

على اتيان النساء فاذا دنا منهن اخذته اخذة السحر فلم يتمكن من ذلك وكل ما جاء به
بدّ من انه يخيل شيئا لم يفعله محمول على التخييل بالبصر لا بالعقل وليس فيه ما يطعن
فى الرسالة وامّا ما زعموا من دخول الضرر فى الشرع باثباته فليس كذلك لان السحر
انما يعمل فى ابدانهم وهم بشر يجوز عليهم من العلل والامراض ما يجوز على غيرهم وليس
تأثير السحر فى ابدانهم باكثر من القتل وتأثير السم وعوارض الاسقام فيهم وقد قتل
زكريا وابنه وسُمّ نبيّنا صلى الله عليه وسلم بخيبر واما امر الدين فانهم معصومون فيما امرهم الله
عز وجل وارصدهم له وهو جل ذكره حافظ لدينه وحارس لوحيه ان يلحقه فساد او
تبديل فان قيل كلام النبوة يمنع من حلول الاختلال بالسحر بجسم النبي صلى الله عليه وسلم
قلنا لا يطول ذلك بل يزول سريعا وكانه ما حل وفائدة الحلول تنبيه على ان
هذا بشر مثلكم وعلى ان السحر تاثيره حق اذا اثر فى اكل الانسان فكيف غيره قوله ودعا الله
ودعاه اى عقيب دعا دعا اى استمر يدل على هذا التاويل الرواية الاخرى ثم دعا
ثم دعا ح هذا دليل على استحباب الدعاء عند حصول الامور المكروهة وتكريره و
حسن الالتجاء الى الله تعالى والمطبوب المسحور والطب الوجل اذا سحر فكنوا بالطب عن
السحر كما كنوا بالسليم عن اللديغ وقال ابن الانبارى الطب من الاضداد يقال لعلاج الداء
طب وللسحر طب وهو من اعظم الادواء والمشاطة بضم الميم الشعر الذى يسقط من الراس
واللحية عند تسريحه بالمشط والجب بضم الجيم والباء هكذا هو فى اكثر نسخ بلادنا وفى بعضها
جف بالفاء وهما معنى وهو وعاء الطلع للنخل ويطلق على الذكر والانثى فلهذا اضاف فى
الحديث طلعة الى ذكر اضافة بيان وفى كتاب مسلم فى بير ذى اروان وكذا وقع فى بعض
روايات البخارى وفى معظمها ذروان وكلاهما صحيح مشهور والاول اصح واجود
وهو بير فى المدينة فى بستان ابى زُريق قوله وكان نخلها رؤس الشياطين تو
اراد بالنخل طلع النخل وانما اضافه الى البير لانه كان مدفونا فيها واما تشبيه ذلك
برؤس الشياطين فلما صادفوه عليه من الوحشة وقبح المنظر وكانت العرب تعد
صور الشياطين من اقبح المناظر ذهابا فى الصورة الى ما تقتضيه المعنى وقيل اريد بالشياطين
الحيات الخبيثات العرمات وايا ما كان فالاتيان بهذا النظير فى الحديث مسبوق على
نص الكتاب فى التمثيل قال الله تعالى طلعها كانه رؤس الشياطين الخامس عشر ابو عبيد

رضي الله عنه قوله قَسْمًا القسم مصدر قسمت الشيء فانقسم سمي الشيء المقسوم وهو
الغنيمة بالمصدر والقسم بالكسر الحظ والنصيب ولا وجه للمكسورة في الحديث لانه يختص اذا
بفرد نصيبه وهذا القسم كان في غنائم حنين قسمها بالجعرانة وخبت وخسرت على ضمير
المخاطب لا على ضمير المتكلم وانما نقل الخيبة والخسران الى المخاطب على تقدير عدم العدل
منه لان الله تعالى بعثه رحمة للعالمين وبعثه ليقوم بالعدل فيهم فاذا قدر انه لم يعدل
فقد خاب المعترف بانه مبعوث اليهم وخسر لان الله تعالى لا يحب الخائنين فضلا من
ان يرسلهم الى عباده قوله فقال دعه حتى كيف منع النبي صلى الله عليه وسلم عن قتله مع انه
قال لئن ادركتهم لاقتلنهم قيل انما اباح قتلهم اذا كثروا وامتنعوا بالسلاح واستعرضوا
الناس ولم يكن هذه المعاني موجودة حين منع من قتلهم واول ما نجم ذلك في زمان علي رضي الله عنه
فقاتلهم حتى قتل كثيرا منهم قوله لا يجاوز تراقيهم [illegible] اي لا يتجاوز قراءتهم عن اللسان الى قلوبهم
فلا يؤثر فيها او لا يتصاعد من مخرج الحرف وحيز الصوت الى محل القبول والاثابة ويمرقون
من الدين اي يخرجون من الدين ويمرون عليه سريعا من غير حظ وانتفاع به خروج
السهم من الرمية يعني الصيد وهو مورد بجميع اجزائه وتنزهه عن التلوث مما هو عليه
من فرث ودم والرصاف بالضم والكسر عقب يلوى فوق مدخل النصل والرصافة والرصفة
ونَضِيّ السهم قدحه وهو ما جاوز الريش الى النصل من النضو سمي به لانه بُرِيَ حتى
صار نِضْوا فهو مجاز باعتبار ما كان والقُذَذ ريش السهم واحده قذة اخرج متعلقات
الفعل على سبيل التعداد لا التنسيق وقوله الى قذذه من كلام الرسول وهو قدحه
تفسير النضي من قول الراوي قوله البضعة هي قطعة اللحم وتَدَرْدَرُ اي تحرك
وتذهب مارا وجائيا قوله ان من ضِئْضِئِ هذا [illegible] الضِّئْضِئ الاصل يقال ضِئْضِئُ صدق
وضؤضؤ صدق يريد انه يخرج من نسله وعقبه [illegible] ومن ذهب الى انهم يتولدون منه
فقد ابعد اذ لم يذكر في الخوارج قوم من نسل ذي الخويصرة ثم ان الزمان الذي قال
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا القول الى ان نابذ المارقة عليا رضي الله عنه وحاربوه
لا يحتمل ذلك بل معناه من الاصل الذي هو منه في النسب او من الاصل الذي هو عليه
في المذهب واراد بقتل عاد الاستيصال بالهلاك فان عادا لم يقتل وانما اهلكت بالصيحة
فاستوصلت بالاهلاك السادس والعشرون ابو هريرة رضي الله عنه قوله مُجاف [illegible] اي اجاف الباب

اي اغلق

اى دلّ عليه ومنه الحديث اجيبوا ابوابكم اي ردوها والخَشْفُ الحسّ والحركة وقيل
هو الصوت وكذلك الخشفة بالسكون والخضخضة تحريك الماء السابع والعشرون ابو هريرة
رضى الله عنه قوله والله الموعد اى لقاء الله الموعد يعني به يوم القيمة فهو يحاسبني
على ما ازيد وانقص لا سيما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال من كذب علىّ متعمدا
فليتبوّأ مقعده من النار قوله الصفق بالاسواق هو كناية عن العقود في البيع و
الشرى فان المهاجرين كانوا اصحاب تجارات كما ان الانصار كانوا اصحاب زراعات
واموال اهل المدينة المواضع التى فيها نخيلهم وقوله على ملأ بطني حال اى الزمه صلى الله عليه وسلم
قانعا بما يملأ بطني فعداه بعلى مبالغة وفي معناه قول الشاعر فان ملكت كفاك قوما
فكن به قنيعا فان الموعد الله فانه فيغني جواب النفي على تقدير ان فيكون عدم النسيان
مسببا عن المذكورات كلها واو ثبوت ان النافية دالة على ان النسيان بعد ذلك كالمحال
قوله مقالتى هذه كانه اشارة الى دعاء دعاه ثم وقوله من مقالتى شيئا اشارة الى
جنس المقالات كلها وقوله ذلك اشارة الى الجنس باعتبار المذكور والنمرة شملة مخططة
من مآزر الاعراب وجمعها نمار كانها اخذت من لون النمر لما فيها من السواد والبياض
الثامن والعشرون جرير رضى الله عنه قوله من ذى الخلصة ذو الخلصة بيت لخثعم كان
يدعى كعبة اليمانية والخلصة اسم طاغيتهم التى كانت فيه فيه ايماء الى ان النفوس
الابية الكاملة المكملة قد يلحقها العناء مما هو على خلاف ما ينبغي من عبادة غير الله
تعالى وغيرها مما لا يجوز قوله من احمس هم قريش ومن ولدت قريش من كنانة وجديلة
قيس سمي احمس لانهم تحمسوا فى دينهم اى تشددوا والحماسة الشجاعة وقوله فانطلق
من كلام الراوى وقيل هو كلام جرير وفيه التفات التاسع والعشرون والثلثون ابو ايوب
رضى الله عنه قوله وجبت اى غربت واصله من السقوط قال تعالى فاذا وجبت جنوبها اي
سقطت الحادى والثلثون جابر رضى الله عنه قوله قرب المدينة نصب على انتزاع الخافض
متعلقه قوله تكاد ان تدفن قال المالكى وقع خبر كاد مقرونا بان وهو صحيح لكن
وقوعه غير مقرون بان اكثر واشهر ولذلك لم يقع في القران الا غير مقرون بها و
سبب المانع من الاقتران فى باب المقاربة هو دلالة الفعل على الشروع كطفق وجعل
فان معنى الاستقبال وفعل الشروع مقتضى الحال تتنافيا وما لا يدل على الشروع كعسى

وشك وكرب وكاد مقتضاه مستقبل فاقترن خبره بان موكد لمقتضاه فاذا انضم الى
ذا التعليل استعمال فصيح ونقل صحيح كما في الحديث المذكور وغيره من قول انس ما
نا ان نصل الى منازلنا وبعض الصحابة والبرمة بين الاثافي قد كادت ان تنضج و
ل جبير كاد قلبي ان يطير تأكيدا لدلالة على الجواز ولم يوجد لمخالفته سبيل وقد
يجتمع الوجهان في قول عمر رضي الله عنه ما كدت ان اصلي العصر حتى كادت الشمس تغرب
ماني والبلوى ابو سعيد رضي الله عنه قوله لخلوف يقال حي خلوف اذا غاب الرجال واقام
نساء ويطلق على المقيمين والظاعنين قوله الا عليه اي على كل واحد من الشعب والنقب
سانها الضمير راجع الى المدينة والمراد شعبها ونقبها الثالث والبلوى انس رضي الله عنه
وله قزعة اي قطعة من السحاب قوله يتحادر اي ينزل ويقطر وهو يتفاعل من الحدور
ضد الصعود يتعدى ولا يتعدى والجوبة الحفرة المستديرة الواسعة وكل منفتق بلا بناء
جوبة اي حتى صار الغيم والسحاب محيطا بآفاق المدينة قوله حوالينا حوله وحواله وحوليه
وحواليه بمعنى وانما اوثر حوالينا لمراعاة الازدواج مع قوله علينا نحو قوله تعالى وجئتك
من سبإ بنبإ قوله ولا علينا عطف جملة على جملة اي امطر حوالينا ولا تمطر علينا ولو لم يكن
الواو لكان حالا اي امطر على المزارع ولا تمطر على الابنية وادمج في قوله علينا معنى المضرة
كانه قيل اجعل لنا لا علينا قوله فما يشير الى ناحية من السحاب الا انفرجت وفي اصل المالكي
فما جعل يشير بيده الى ناحية من السماء الا انفرجت وهذا انسب لان الناحية انما تنسب
الى السماء وهي التي تنكشف عن السحاب الجوهري الفرج في قول ابي ذويب وللشر بعد
القارحات فروج اي تفتح وانكشاف وقال المالكي وفي فما جعل يشير غرابة لان افعال
الشروع ان صحبها نفي كان مع خبرها نحو جعلت لا الهو وقد ندر في هذا الحديث دخول ما
على جعل وسهل ذلك ان معنى ما جعل يفعل وجعل لا يفعل واحد قوله قناة شهرا
نصب على الحال او المصدر على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي مثل القناة
او سيلان القناة في الدوام والاستمرار اي القوة والمقدار قوله الجود المطر الواسع الغزير
تعالى جادهم المطر يجودهم جودا والآكام جمع اكم والاكم جمع اكام والاكام جمع اكمة والظراب
الجبال الصغار واحدها ظرب بوزن كتف وقد يجمع في القلة على اظراب واقلع المطر اذا
كف وانقطع واقلعت عنه الحمى اذا فارقته انتهى كلامه والضمير فيه للسحاب فانها جمع
سحابة

سحابة ح فيه استحباب طلب انقطاع المطر عن المنازل والمرافق اذا كثر وتضرر وانه
ولكن لا يشرع له صلوة ولا اجتماع في الصحراء الرابع والخامس والعشرون عن سلمة قوله ان
رجلا هو الرجل قال له بشر ابن راعي العير وقيل بسر بالسين المهملة وهو من اشجع
قوله ما منعه الا الكبر هو قول الراوي واراد ان يبين ان البيان موجب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم
كان قائلا قال لم دعا عليه بلا استطعت وهو رحمة للعالمين فاجيب بان ما منعه من الاكل
باليمين العجز بل منعه الكبر وقريب منه او مثله في الاجابة ما روينا في موطا مالك
عن جابر قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بني انمار ومعي صاحب
يرعى لنا وعليه بردان قد خلقتا فنظر اليه فقال صلى الله عليه وسلم اما له ثوبان غير هذين
فقلت بلى يا رسول الله قال فمره يلبسهما فلبسهما فقال صلى الله عليه وسلم اليس هذا خيرا ضرب
الله عنقه فقال الرجل في سبيل الله يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سبيل الله فقتل الرجل في سبيل الله السادس والعشرون عن انس رضي الله عنه قوله وكان يقطف
اي يتقارب خطاه القطاف بوزن الحراف مقاربة الخطى والابطاء من القطف وهو القطع
لان سيره يجيء متقطعا غير مطرد ونقيضه الوساعة قوله بحرا هو المفعول الثاني لوجدنا شبه
الفرس بالبحر في توسعة خطوه وسرعة جريه السابع والعشرون عن جابر رضي الله عنه قوله فيبيدر
امر بجمع كل تمر في بيدر من قولهم بيدر قال في المغرب البيدر الموضع الذي يداس فيه
الطعام قوله اغروا بي اي لجوا في مطالبتي والحوا كان دواعيهم حملتهم على الاغراء بي والاسم
الاغراء بالنقح والمد واغريت الكلب بالصيد واغريت بينهم والاسم الغراة والضمير في اعظمها
راجع الى البيادر وبيدر التميمين قوله امانته يريد دينه لانه ايتمن على ادائه قال تعالى و
تخونوا اماناتكم اي ما ائتمنتم عليه قوله وحتى اني انظر حتى هنا هي الداخلة ما بعدها فيما قبلها
وهي عاطفة على مقدر جمع اولا في قوله فسلم الله البيادر كلها ثم وصلها بقوله حتى كذا وكذا
الثامن والعشرون عن جابر رضي الله عنه قوله في عكة لها هي وعاء من جلد مستدير ويختص
بالتمر والعسل وهو بالسمن اخص قوله تقيم لها اي العكة ذكرها باعتبار الظرف وقوله
فاتت النبي صلى الله عليه وسلم اي فاتت وشكت انقطاع ادام بنيها من العكة فقال صلى الله عليه وسلم
عصرتيها والياء فيه وفي تركتيها لاشباع الكسرة التاسع والعشرون عن انس رضي الله عنه قوله ثم دسته
يقال دسه يدسه دسا اذا ادخله في الشيء بقهر وقوة قوله ولاثتني اي عممتني

او لففت بي من اللوث و هو اللف و هو لف الشي بالشي او اداوته عليه ومنه لاث به الناس
اذا استداروا حوله قوله سؤرا هو بالهمز اي بقية فان قيل كيف تجتمع هذه الروايات
من صحابي واحد ففي احداها نقول وترك سؤرا وفي الاخرى نقول فجعلت انظر الى هل نقص
منها شيء وفي الثالثة ثم اخذ ما بقي فجمعه الحديث قلنا وجه التوفيق فيكن حيث بحث وهو
ان نقول انما قال وترك سؤرا باعتبار انهم كانوا يتناولون منه فما فضل منهم سماه سؤرا
وان كان بحيث يحسب ان لم ينقص منه شيء او اراد بذلك ما فضل عنهم بعد ان فرغوا منه
وقبل ان دعا فيه بالبركة وفي الثانية يحمله على ما وجد عليه بعد الدعاء وعوده الى
المقدار الذي كان عليه قبل تناولهم والثالثة لا التباس فيها على ما ذكرناه قوله الله
ورسوله اعلم ح فيه منقبة عظيمة لام سليم ودلالة على عظم دينها ورجحان عقلها يعني انه
صلى الله عليه وسلم قد عرف قدر الطعام فهو اعلم بالمصلحة ولو لم يعلم المصلحة لم يفعلها وانما
اذن لعشرة عشرة ليكون ارفق بهم فان القصعة التي فيها الطعام لا يتحلق عليها اكثر من
عشرة الا بضرر يلحقهم لبعدها عنهم وقوله فادمته اي جعلت ما في العكة اداما للمفتوت
الاربعون انس رضي الله عنه قوله وان ثلثمائة منصوب على انه خبر لكان المقدرة وزهاء
ثلثمائة اي قدر ثلثمائة من زهوت القوم اذا حزرتهم الحادي والاربعون عبد الله
قوله وانتم تعدونها تخويفا هو من قوله تعالى وما نرسل بالآيات الا تخويفا والآيات
اما ان يراد بها المعجزات او آيات الكتاب المنزلة وكلتاهما بالنسبة الى المؤمن الموافق
بركة وازدياد في ايمانه وبالنسبة الى المخالف المعاند انذار وتخويف يعني لا تقصروها
الآية تخويفا من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له وفيه مدح للصحابة
الذين استسعدوا بصحبة خير البشر ولزموا طريقته وذم لمن عدل عن الطريق
المستقيم وانما طلب فضله من الماء كيلا يظن انه صلى الله عليه وسلم موجد للماء فان الايجاد
اليه سبحانه واليه اشار بقوله صلى الله عليه وسلم والبركة من الله اي ان هذا الذي
رايتم من زيادة الماء ايضا ليس مني انما بركته من الله تعالى وفضله ح في كيفية
هذا النبع قولان حكاهما القاضي وغيره احدهما ان الماء كان يخرج من نفس اصابعه
وينبع من ذاتها وهو قول المزني واكثر العلماء وهو اعظم في المعجزة من نبعه من
الحجر ويؤيده ما جاء في رواية فرايت الماء ينبع من اصابعه وثانيهما انه تعالى اكثر
الماء

٩١

اكثر الماء فى ذاته فصار يفور من بين اصابعه قوله حى على الطهور يريد هلم
واقبل عليه بحذف الماء لسكونها وسكون ما قبلها والعرب تقول حى على الثريد وهو
فعل الامر الثانى الاربعون ابو قتادة رضى الله عنه قوله لا يلوى احد على احد اى
لا يلتفت ولا يعطف عليه ولا يصرف همته اليه بل يمشى كل واحد على حدته من غير
ان يراعى الصحبة لاهتمامه بطلب الماء وابهار الليل اى انتصف وبهر كل شئ وسطه
وقيل ابهار الليل اذا طلعت نجومه واستنارت قوله بميضاة هى مفعلة ومفعالة
مطهرة كبيرة يتوضأ منها قوله دون وضوء اى دون وضوء كامل اى وضوءا خفيفا
لقلة الماء قوله فلم يعد ان رأى الناس لم يضبط الشيخ محيى الدين هذه اللفظة
وفى اكثر نسخ المصابيح وقعت بفتح الياء وسكون العين وضم الدال واثبات الفاء
فى قوله فتكابوا وليس فى صحيح مسلم ولا فى شرحه الفاء وان رأى الناس يحتمل ان يكون
فاعلا اى لم يتجاوز رؤية الناس الماء اكبابهم وان يكون مفعولا اى لم يتجاوز
السقى او الصب رؤية الناس الماء فى تلك الحالة وهى كبهم عليه قوله تكابوا
عليها اى ازدحموا على الميضاة مكبا بعضهم على بعض قوله احسنوا الملأ
الملأ حسن الخلق وقيل للخلق الحسن الملأ لانه اكرم ما فى الرجل وافضله من قولهم
لكرام القوم ووجوههم ملأ قال المازرى عن ابى عبيدة يقال لكرام القوم ملأ ثم
يقولون ما احسن ملأه اى خلقه وانما قيل للكرام ملأ لانهم فيما يقولون اى يتعاونون
قوله فاتى الناس الماء الفاء سببية اى فحصل للناس عن آخرهم مما جرى ما داموا
من الرى مستريحين جامين اى مستريحين قد ذهب عنهم اعياؤهم من الجمام
بالفتح وهو الراحة واكثر ما يستعمل ذلك فى الفرس وبوار بالكسر جمع راو وهو الذى
روى من الماء الحادى والاربعون ابو هريرة رضى الله عنه قوله خذوا فى اوعيتكم اى صبوا
فى اوعيتكم آخذين او خذوا صابين فى اوعيتكم وقولهما يجوز ان يكون الباء
فيه سببية او استعانة او حالا وقد جئ بالجملة استطرادا بالشهادتين
استبشارا للامة احتج البخارى فى النهد من الطعام وفى جواز قسمه ما
يكال ويوزن مجازفة وقبضة قبضة بهذا الحديث قوله غير شاك مرفوع
صفة عبد وقوله فيحجب مرفوعا عطفا على الجملة السابقة والنفى منصب عليهما معا

الرابع والاربعون والخامس والاربعون جابر رضي الله عنه قوله وانا على ناضح له الناضح الابل
التي يستقى عليها والجمع النواضح ويجمع ايضا على نضاح وقال المظهر انه الواحدة فتاة
قوله تدلت فيها بدل او بيان لقوله يدي [illegible] الابل معطوف لقوله قال له وهو انه كثير
طرفا [illegible] واسمه عائد الى ناضح السادس والاربعون ابو حميد قوله وادي
القرى نو وادي القرى لا يعرف الياء من الوادي فان الكلمتين جعلتا اسما واحدا وجبلا طي
احدهما سلمى والآخر اجا على فعل بالتحريك وهما بارض نجد السابع والاربعون ابو ذر
رضي الله عنه قوله يسمى فيها القيراط اي يذكر اي يكثر اهلها ذكر القراريط في معاملاتهم
ليشتد دينهم فيها وقلة مروتهم وانشد جار الله لبعض البدويات عن بعض العقا
ميزانه في شماله وله بعض في حسب القراريط شاديه وقيل القراريط كلمة يذكرها
اهلها في المسابة ومعنى الحديث ان القوم لهم دنائة وخسة او في لسانهم بذاء وفحش
فاذا استوليتم عليهم وتمكنتم منهم فاحسنوا اليهم بالصفح والعفو عما تنكرون ولا
تحملنكم سوء افعالهم واقوالهم على الاساءة فان لهم ذمة ورحما وذلك ان هاجر ام اسمعيل
ومارية ام ابرهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم كانتا من القبط قوله تختصمان في موضع
لبنة لعله صلى الله عليه وسلم علمه عن طريق الوحي والمكاشفة انها سيحدث هذه الحادثة في
مصر وسيكون عقيب ذلك فتن وشرور كخروج المصريين على عثمان رضي الله عنه اولا وقتلهم
محمد بن ابي بكر ثانيا فجعل ذلك علامة وامارة لتلك الفتن وامره بالخروج منها حين مارآه
وعلم انه في طباع سكانها خسة ومماكسة كما دل عليه صدر الحديث فاذا افضت الحال الى
ان تخاصموا في مثل هذا المحقر فينبغي ان يحترز عن مخالطتهم ويجتنب عن مساكنهم
الثامن والاربعون حذيفة رضي الله عنه قوله في اصحابي صحبة النبي صلى الله عليه وسلم المقيد بها
هي المقترنة بالايمان ولا يصح ان يطلق الا على من صدق في ايمانه وظهر منه امارته
دون من اغمض عليهم بالنفاق واضافتها اليهم لا يجوز الا على المجاز لتشبههم بالصحابة
وتسترهم بالكلمة وادخالهم انفسهم في غمارهم ولهذا قال في اصحابي ولم يقل من
اصحابي وذلك مثل قولنا ابليس كان في الملائكة اي في زمرتهم ولا يصح ان يقال كان من الملائكة
فان الله سبحانه وتعالى يقول كان من الجن وقد اسر بهذا القول الى خاصته وذوي
المنزلة من اصحابه امر هذه الفئة المسوسة الملتبسة لئلا يقبلوا منهم الايمان ولا يأمنوا
من

من قبلهما المكر والخداع ولم يكن يخفى على المحقق طعن شأنهم لاشتهارهم بذلك في الصحابة
الا انهم كانوا لا يواجهونهم بصريح المقال اسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اعلمهم
باسمائهم وذلك لانه كان ليلة العقبة مع النبي صلى الله عليه وسلم مرجعه من غزوة تبوك
حين هموا بقتله ولم يكن على العقبة الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمار يقود به وحذيفة
يسوق به وكان ينادي رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نادى ان خذوا بطن الوادي فهو
اوسع لكم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اخذ الثنية فلما سمعه المنافقون طمعوا في المكر به
فاتبعوه متلثمين وهم اثنا عشر رجلا فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم خشفة القوم من ورائه
فامر حذيفة ان يردهم فاستقبل حذيفة وجوه رواحلهم بمحجن كان معه فضربها ضربا فرعبهم الله
حين ابصروا حذيفة فانقلبوا مسرعين على اعقابهم حتى خالطوا الناس وادرك حذيفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال لحذيفة هل عرفت احدا منهم قال لا فانهم كانوا متلثمين لكن اعرف رواحلهم فقال
ان الله تعالى اخبرني باسمائهم واسماء آبائهم وساخبرك بهم ان شاء الله عند الصباح فمن ثمة كان
الناس يراجعون حذيفة في امر المنافقين وقد ذكر عن حذيفة انهم كانوا اربعة عشر
فتاب اثنان ومات اثنا عشر على النفاق على ما اخبر به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم
وقد اطلعت على اسمائهم في كتب حفاظ الحديث مروية عن حذيفة غير اني وجدت
في بعضها اختلافا فلم اران اخاطر بديني فيما لا ضرورة لي قوله يكفيهم الدبيلة
الدبيلة في الاصل تصغير دبل وهي الداهية فاطلقت على قرحة ردية تحدث في
باطن الانسان ويقال لها الدبيلة بالفتح والضم وفسرها في الحديث بنار تخرج في اكتافهم
حتى ينجم اي تظهر من نجم ينجم بالضم اذا ظهر وطلع ولعله اراد بها ورما حارا يحدث
في اكتافهم بحيث يظهر اثر تلك الحرارة وشدة لهبها في صدورهم ممثله بسراج
من نار وهو شعلة المصباح وقد روي عن حذيفة انه صلى الله عليه وسلم عرفه اياهم
وانهم هلكوا كما اخبر الرسول صلى الله عليه وسلم الفصل الثاني الاول ابو موسى رضي الله عنه
قوله فلما اشرفوا اي اطلعوا عليه ووصلوا اليه نزلوا واسم ذلك الراهب كان بحيرا وكان
اعلم النصرانية والموضع الذي كان فيه هو بصرى من بلاد الشام فجعل يتخللهم اي اخذ
يمشي بين القوم قوله مثل التفاحة يروى بالضم والنصب الرفع على انه خبر مبتدا محذوف
والنصب على اضمار الفعل ومحل الجر على البدل لا الصفة لان مثلا وغيرا لا يتعرفان بالاضافة

الى المعوقر قوله عليه حال اى ظله عليه وقوله ايكم وليه متعلقة بمحذوف هو جواب
للاستعطاف اى لتنبئن ايكم وليه وبطل عمل الفعل للتعليق الاستفهامى فلم يزل يناشده
اى الراهب بقوله لابي طالب بالله عليك ان ترده الى مكة وتحفظه من العدو حتى رده
الى مكة قيل كان الراهب يخاف ان يذهبوا به الى الروم فيقتله الروم والكعك الخبز وهو فارسي
معرب وما علمك سوال عن وصف العلم اى بين لنا كيفية علمك به الثاني والثالث انس رضي الله عنه
قوله واستصعب يريد انه لم يمكنه من الركوب يقال استصعب عليه الامر اى صعب ووجدنا
الرواية فى اكرم بالنصب فلعل التقدير ما كان ركبك احد اكرم على الله فارفض عرقا اى فاض
وارفضاض الدم ترششها وكل ذاهب متفرق مرفض الرابع بريدة قوله فخرق بها الحجر فان
قلت كيف الجمع بين هذا وبين قوله فى حديث انس فربطته بالحلقة التى كانت تربط به الانبيا
قلت لعل المراد من الحلقة الموضع الذى كان فيه الحلقة وقد انسد فخرقه جبريل عليه السلام
الخامس يعلى قوله يبشى عليه اى يستسقي عليه من سنت الناقة الارض يسنوا اذا سقتها
والجرجرة صوت ترددا البعير فى حلقه والجران مقدم العنق وجمعه جرن وبينا بعدك اي
شيا انكره ما بيننا ويقلقنا وبضجرنا قوله اما اذ ذكرت جواب اما محذوف وقوله فانه شكى
جواب لاما المقدرة تقديره اما اذ ذكرت ان البعير لاهل بيت ما لهم معيشة فلا اشتريه
واما البعير فما هو علمه فانه اشتكى اذ لا بد لاما التفصيلية من التكرار السادس ابن عباس رضي الله عنهما
قوله فثغ ثغة الثغ القي والثعة المرة الواحدة السابع انس رضي الله عنه قوله حسبي اى
كفاني فى تسليتي عما لقيته من الحزن هذه الكرامة من ربى ومنحه لى هذه المعجزة الثامن ابن عمر
رضي الله عنهما قوله هذه السلمة السلم شجر العضاه واحدته سلمة بفتح اللام وورقها القرظ
الذى يدبغ به وبها سمي الرجل سلمة والخد والاخدود الشق فى الارض التاسع ابن عباس رضي الله عنهما
قوله ان دعوت جواب لقوله بما عرف اي باني ان دعوتها تشهد وقوله هذا العذق بكسر العين
المهملة العرجون بما فيه من الشماريخ وهى بمنزلة العنقود من العنب وبالفتح النخلة العاشر
ابو هريرة رضي الله عنه قوله فاقعى اى جلس متعبا واستثفر اى ادخل ذنبه بين رجليه وقوله عجبت
ان روى على صيغة المتكلم يكون اخبارا على سبيل الشكاية وان روى على الخطاب يكون استفهاما
على سبيل الانكار قوله ان ارى كاليوم اى ما رايت اعجوبة كاعجوبة اليوم فحذف الموصوف
واقام الصفة مقامه وحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه الحادى عشر قيل انه اهبان بن اوس

الخزاعي ويقال له مكلم الذيب الحادي عشر ابو العلا قوله نتداوله اى يتناوب باكل الطعام
منها وفي الحديث يوشك ان يدال الارض منا اى يجعل لها الكرة والدولة علينا فتاكل
لحومنا كما اكلنا ثمارها وتشرب دماءنا كما شربنا مياهها قوله فما كانت تمد اى اى شيء كانت القصعة
يمد به وهو من المدد من قولك مد السراج بالزيت وهو معنى التعجب ولذلك قال من اي
شيء تعجب وذهب المظهر ومن تبعه ان قوله من اى شيء تعجب هو قول النبي صلى الله عليه وسلم
ويحتمل ان يكون من قول سمرة والسائل ابو العلاء وهو الظاهر الثاني والثالث عشر ابن مسعود
رضي الله عنه قوله منصورون على اعداء الدين مصيبون اي الغنائم ويفتح لكم اى البلاد
الرابع عشر جابر رضي الله عنه قوله شاة مصلية المصلية المشوية من قولك صليت اللحم
اذا شويته والمراة قيل انها زينب بنت الحرث وهي بنت اخي مرحب بن ابي مرحب
جيئت بشاة مصلية فسمتها واكثرت في الكتف والذراع لما بلغها انها احب اعضاء الشاة
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله فعفى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه اختلاف في
الرواية وروى بانه امر بقتلها فقتلت ووجه التوفيق بينهما انه عفى عنها في اول الامر
فلما مات بشر بن البراء من مغرور من الاكلة التي ابتلعها امر بها فقتلت مكانه قوله
في بدي حالٍ من هذه اى متفرج فيها قوله بالقرن والشفرة اى كانت المحجمة قرنا
والمبضع السكين العريضة الخامس عشر سهل قوله حتى كان عشية اى حتى كان السير
ممتد الى وقت العشية قوله على بكرة ابيهم يقال جاء القوم على بكرة ابيهم اى
جاؤا باجمعهم بحيث لم يبق منهم احد وعلى ههنا بمعنى مع وهو مثل تضربه العرب وكان
السبب فيه ان جمعا من العرب عرض لهم انزعاج فارتحلوا جميعا ولم يخلفوا شيئا حتى ان
بكرة كانت لابيهم اخذوها معهم فقال من وراءهم جاؤا على بكرة ابيهم فصار ذلك مثلا
في قوم جاؤا باجمعهم وان لم يكن معهم بكرة وهي التي يستقى عليها الماء فاستعيرت في
هذا الموضع قوله فثوب بالصلوة التثويب ههنا اقامة الصلوة والاصل في التثويب
ان يجيء الرجل مستصرخا فيلوح بثوبه ليرى ويشتهر فسمي الدعاء تثويبا لذلك وكل
داع مثوب قوله فلا عليك ان لا تعمل بعدها اى لا باس عليك ان لا تعمل بعد هذه الليلة
من المبرات والخيرات فان عملك الليلة كاف لك عند الله مثوبة وفضيلة واراد النوافل
والتبرعات من الاعمال لا الفرايض فان ذلك لا يسقط ويمكن ان ينزل على ما عليه من عمل

الجهاد في ذلك اليوم جبرانا لقلبه وتسلية له السابع عشر ابو هريرة رضي الله عنه قوله ان
يأخذ منه شيئا ان جعل منه صلة ليأخذوا وشيئا مفعولا له فيكون نكرة شايعة فلا يختص
بالتمر وان جعل حالا من شيئا اختص به وحملت تجوزا ان يحمل على الحقيقة واتجه على معنى
الاخذ اي اخذت منه ارزاقا بدفعات والحثى معتمد الانار وسمي الانار به للمجاورة
الفصل الثالث الاول ابن عباس رضي الله عنهما قوله فاقتصوا اثره الاقتصاص الاتباع
والتتبع يقال قص الاثر واقتصه اذا تبعه واختلط عليهما اي اشتبه الثاني ابو هريرة رضي الله عنه
قوله فهل انتم صادقي وفي اصل المالكي صادقوني قال كذا في ثلثة مواضع في اكثر النسخ
والمقتضى الدليل ان تصحب نون الوقاية الاسماء المعربة المضافة الى ياء المتكلم ليقيها
خفاء الاعراب فلما منعوا ذلك كان كاصل متروك فنبهوا عليه في بعض الاسماء المعربة
المشابهة للفعل كقول الشاعر وليس بمغنيني وفي الناس ممتع صديق اذا اعيى على صديق
ولما كان لافعل التفضيل شبه بفعل التعجب اتصلت به النون المذكورة ايضا في قول
النبي صلى الله عليه وسلم غير الدجال اخوفني عليكم والاصل فيه اخوف مخوفاتي عليكم فحذف المضاف
الى الياء واقيمت هي مقامه فاتصل اخوف بها مقرونة بالنون كما اتصل مغني في البيت
المذكور قوله وبررت بالكسر اي احسنت وقوله نكون فيها يسيرا هذا هو الذي حكى الله تعالى
عنهم في قوله قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات واشار صلى الله عليه وسلم بقوله اخسئوا
الى خلودهم فيها قال تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون وهو في الاصل زجر للكلب وقوله ان
نستريح مفعول اردنا وجزاء الشرط المتوسط من الفعل والمفعول محذوف لوجود القرينة
اي ان كنت كاذبا يفضحك فنستريح منك وان كنت صادقا لم يضرك فننتفع بصلاتك وحاصله
اردنا الامتحان الثالث عمرو قوله ما علمنا حفظنا اي اعلمنا الآن احفظنا يومئذ الرابع والخامس انس
قوله فجعل لا يراه كانه اتباع لقوله فجعلت اقول اي طفقت اريد الهلال فهو لا يراه فالحم
جعل مشاكله كالحم فلا تحسبنهم في قوله تعالى فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب تاكيدا
لقوله لا تحسبن الذين يفرحون قوله سارة اي لا يعجبني الآن رؤيته بتعب وساره
بعد من غير تعب السادس الى التاسع عاصم قوله الاسرى الاسرى والاسارى جمع اسير وهم
كفار وذلك انه لما لم يوجد صاحب الشاة ليستحلوا منه وكان طعاما في صدد الفساد ولم يكن
بد من الطعام هؤلاء فامر صلى الله عليه وسلم باطعامهم العاشر حبيش قوله مرملين المرمل من نفد

زاده

زاده يقال ارمل الرجل اذا ذهب طعامه مسنتين اى اصابهم القحط يقال اسنت الرجل
فهو مسنت وكسر الخيمة بكسر الكاف وفتحها جانب الخيمة والجهد الهزال وقوله تفاجت
اى فتحت ما بين رجليها للحلب اجترت الجرة ما يخرجه البعير من بطنه ليمضغه ثم
ثم يبلعه يقال اجتر البعير يجتر ويربض الرهط اى يرويهم ويثقلهم حتى يناموا
ويمتدوا على الارض من ربض بالمكان يربض اذا لصق به واقام ملازما له والثج
السيلان وبهاء اللبن وبيص رغوته وغادره اى تركه وبايعها على الاسلام فقل ما
وتمام الحديث فقل ما لبثت حتى جاء زوجها ابو معبد يسوق اعنزا عجافا يتساوكن هزلى
ضحى مخهن قليل فلما راى ابو معبد اللبن عجب وقال من اين لك هذا اللبن يا ام معبد
والشاء عازب حيال لا حلوب فى البيت قالت لا والله الا انه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا
قال صفيه يا ام معبد قالت رايت رجلا ظاهر الوضاءة ابلج الوجه لم تعبه نحلة ولم تزر به
الابل المفى امث
صقلة وسيم قسيم فى عينيه دعج وفى اشفاره وطف وفى صوته صهل وفى عنقه سطع وفى
لحيته كثاثة ازج اقرن ان صمت فعليه الوقار وان تكلم سما وعلاه البهاء اجمل الناس
وابهاهم من بعيد واحلاه واحسنه من قريب حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كان منطقه
خرزات نظم يتحدرن ربعة لا باين من طول ولا تقتحمه عين من قصر غصن بين غصنين
فهو انظر الثلاثة منظرا واحسنهم قدرا له رفقاء يحفون به ان قال انصتوا لقوله وان امر
تبادروا لامره محشود محفود لا عابس ولا معتد قال ابو معبد هو والله صاحب قريش الذى
ذكر لنا من امره ما ذكر بمكة ولقد هممت ان اصحبه ولافعلن ان وجدت الى ذلك سبيلا واصبح
صوت بمكة عاليا يسمعون ولا يدرون من صاحبه وهو يقول جزى الله رب الناس خير جزائه
رفيقين قالا خيمتى ام معبد هما نزلاها بالهدى واهتدت به فقد فاز من امسى رفيق محمد
فيا لقصى ما زوى الله عنكم به من فعال لا يجازى وسودد ليهن بنى كعب مقام فتاتهم
ومقعدها للمؤمنين بمرصد سلوا اختكم عن شاتها وانائها فانكم ان تسالوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت عليه صريحا ضرة الشاة مزبد فغادرها رهنا لديها لحالب
ترددها فى مصدر ثم مورد وقولها يتساوكن يقال تساوكت الابل اذا اضطربت اعناقها
من الهزال اراد انها تتمايل من ضعفها ولم تعبه نحلة اى دقة من نحول الجسم وكذا صقلة و
الوسيم الحسن الوضاءة وكذا القسيم والدعج السواد فى العين والوطف طول شعر العين والصهل

الحدة والصلابة والسطع الطول والزجج في الحاجبين التقوس فيهما مع طول في اطرافهما و
شبوع والقرن التقاء الحاجبين وسما اي علا برأسه وارتفع عن جلسائه وفصل بين لا نزر
ولا هذر اي وسط لا قليل ولا كثير ولا بائن من طول اي ليس بالطويل البائن ولا بالقصير
ولا تقتحمه اي لا تحتقره ولا تزدريه والمحشود بالحاء المهملة والشين المعجمة الجماعة والمحفود
المخدوم ولا مفند اي خرف لا فائدة في كلامه وقول الهاتف في الشعر فيا لقصي البيت
تعالوا يا قصي لننتجب منكم فيما اغفلتموه من حظكم واضعتموه من عزكم بعصيانكم رسول الله
صلى الله عليه وسلم والجائكم اياه الى الخروج من بين اظهركم وما مبتدأ بمعنى الذي والخبر
من فعال ولا يجازى صفته وسودد عطف عليه ونوى نحى وبعد والضمير في به راجع الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم والباء للتسببية والصريح اللبن الخالص الذي لم يمذق فغادرها رهنا
اي ترك الشاة عندها مرتهنة بان تدر وقال الصوت الذي سمع بمكة صوت بعض مسلمي
الجن اقبل من اسفل مكة والناس يتبعونه يسمعون الصوت وما يرونه حتى خرج باعلى مكة
قالت اسماء فلما سمعنا عرفنا حيث وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وان وجهه الى المدينة انتهى
كلام محيي السنة قال ابن عبد البر فلما بلغ حسان بن ثابت ذلك جعل يجاوب الهاتف ويقول
لقد خاب قوم غاب عنهم نبيهم * وقد سر من يسري اليهم ويغتدي * ترحل عن قوم فضلت عقولهم
وحل على قوم بنور مجدد * هداهم به بعد الضلالة ربهم * وارشدهم من يتبع الحق يرشد
وهل يستوي ضلال قوم تسفهوا * عمايتهم هاد به كل مهتد * لقد نزلت منه على اهل يثرب
ركاب هدى حلت عليهم باسعد * نبي يرى ما لا يرى الناس حوله * ويتلو كتاب الله في كل مسجد
وان قال في يوم مقالة غائب * فتصديقها في اليوم او في ضحى الغد * ليهن ابا بكر سعادة جده
بصحبته من يسعد الله يسعد * ليهن بني كعب مقام فتاتهم * ومقعدها للمؤمنين بمرصد
باب الكرامات الكرامات جمع كرامة وهي اسم من الاكرام والتكريم وهي فعل خارق للعادة غير
مقرون بالتحدي وقد اعترف بها اهل السنة وانكرها المعتزلة واحتج اهل السنة بجدوى
الحبل بتمر من غير نخل وحضور الرزق عندها من غير سبب ظاهر وايضا في اصحاب
الكهف في الغار ثلثمائة سنة وازيد في النوم احياء من غير آفة دليل ظاهر والمعتزلة
بانه لو جاز ظهور الخارق في حق الولي لخرج الخارق دليلا على النبوة واجيب بانه يمتاز
المعجزة عن الكرامة باشتراط الدعوى في المعجزة وعدم اشتراطها في الكرامة الفصل الاول

الاول

الاول الى الثالث عبد الرحمن قوله ان اصحاب الصفة هم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
ومشاهيرهم على ما ذكره الحافظ ابو نعيم في حلية الاولياء ابو ذر الغفاري عمار بن ياسر
سلمان الفارسي صهيب بلال ابو هريرة خباب بن الارت حذيفة بن اليمان ابو سعيد الخدري
بشير بن الخصاصية ابو مويهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم وفيهم نزل قوله
تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم وكانت الصفة في المسجد مسقفة بجريد
النخل وكان هؤلاء الفقراء يستوطنون تلك السقيفة ويبيتون فيها فنسبوا اليها و
كان الرجل اذا قدم المدينة وكان له بها عريف نزل على عريفه فان لم يكن له بها
عريف نزل الصفة قوله بثالث هذا هو الصحيح وفي اكثر نسخ المصابيح بثلثة وهو غير
صحيح رواية ومعنى قوله ربت اي ارتفع الطعام من اسفل القصعة ارتفاعها اكثر و
اسناد ربت الى القصعة مجازي قوله ما اخت بني فراس هي امرأة ابي بكر هذه كانت ام رومان
ام عبد الرحمن وعائشة رضي الله عنهم من بني فراس بن غنم بن مالك بن النضر بن كنانة
والمنتمون الى النضر بن كنانة كلهم قريش الفصل الثاني الاول الى الثالث ابن المنكدر
قوله بصبصة يقال بصبص الكلب بذنبه اذا حركه وانما تفعل ذلك من طمع او خوف
الرابع ابي الجوزاء قوله منه كوى الى السماء اي منافذ واحدتها كوة بفتح الكاف وضمها قيل
في سبب كشف قبر النبي صلى الله عليه وسلم ان السماء لما رأت قبر النبي صلى الله عليه وسلم سال
الوادي من بكائها قال تعالى فما بكت عليهم السماء والارض حكاية عن حال الكفار وقيل
انه صلى الله عليه وسلم كان يستشفع به عند الجدب فيمطر السماء فامرت عائشة رضي الله عنها
بكشف قبره مبالغة في الاستشفاع به فلا يبقى بينه وبين السماء حجاب قوله يسمى عام الفتق
اي عام الخصب الخامس سعيد قوله ايام الحرة من يوم مشهور في الاسلام ايام يزيد بن معاوية
لما نهب المدينة عسكر من اهل الشام ندبهم لقتال اهل المدينة من الصحابة والتابعين
وامّر عليهم مسلم بن عقبة المري في ذي الحجة سنة ثلاث وستين وعقيبها هلك يزيد والحرة
هي ارض بظاهر المدينة بها حجارة سود كثيرة وكانت الوقعة بها والهمهمة كلام خفي
لا يفهم السادس ابو خلدة قوله سمع انس اي هل سمع انس رسول الله صلى الله عليه وسلم
احاديث ورواها عنه فاجاب من كان له هذه المنزلة والصحبة من النبي صلى الله عليه وسلم
كيف لا يسمع ولا يروي عنه الفصل الثالث الى آخره عروة بن الزبير قوله انا كنت آخذ

فيه معنى الانكار على نفسه وقوله بعد الذي مقرر لجهة الانكار قوله سبع ارضين
ح ارضين بفتح الراء واسكانها قليل وفي الحديث تصريح بان الارض سبع طباق وهو
موافق لقوله تعالى سبع سموات ومن الارض مثلهن وقال اراد بالسبع الاقاليم فقد
او هم لانه لو كان كذلك لم يطوق الظالم بشبر من كل اقليم بخلاف طباق الارض فانها
تابعة لهذا الشبر قوله لا اسالك بينة كان سعيد لما انكر توجه عليها البينة وعند
فقد البينة توجه اليه اليمين فاجرى مروان هذا الحكم الكلام منه مجرى اليمين
وقال لا اسالك بينة بعد هذا قوله بزفون يحتمل ان يكون من الاسراع او من زفاف
العروس نه يزف بالكسر زف في مشيه اذا اسرع وبالفتح من زففت العروس
اذا اهديتها الى زوجها باب الفصل الاول الاول البواب قوله الولايد نه
الولايد جمع وليدة وهي الجارية الصغيرة والذكر وليد فعيل بمعنى مفعول قوله
قرأت سبح اسم ربك اى تعلمت ذكر المسبب وهو القراءة واراد السبب وهو التعلم
قوله في سور مثلها اى في جملة سور مثلها في المقدار الثاني ابو سعيد رضي الله عنه قوله
ان عبدا خيره الله فهم الصديق من هذا الكلام مفارقته صلى الله عليه وسلم من الدنيا
فبكى كما فهمت الصديقة من قوله صلى الله عليه وسلم مع الذين انعم عليهم من النبيين انه
صلى الله عليه وسلم خير كما يجيء بعد الثالث عقبة قوله على قتلى احد مط اى استغفر لهم
واستغفاره لهم كالوداع للاحياء والاموات اما الاحياء فبخروجه من بينهم واما
الاموات فبانقطاع دعائه واستغفاره بهم والفرط بالتحريك بمعنى الفارط كتبع بمعنى
تابع وهو الذي يتقدم الوارد فيهيئ لهم الارشاء والدلاء ويسقي لهم يريد انه شفيع
لهم يتقدمهم فانه يتقدم على المشفوع له ح فيه معجزات لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فان معناه الاخبار بان امته يملك خزائن الارض وقد وقع ذلك وانهم لا يريدون
وقد عصمهم الله تعالى من ذلك وانهم يتنافسون في الدنيا وقد وقع ذلك الرابع عائشة
رضي الله عنها قوله وبين سحري ونحري نه السحر الريه اى انه صلى الله عليه وسلم توفي وهو
مستند الى صدرها وما يحاذي نحرها منه وقيل السحر ما لصق بالحلقوم من اعلى البطن قوله
دخل على عبد الرحمن بان جمع الله تعالى بين ريق النبي صلى الله عليه وسلم وريقها في الرفيق
الاعلى نه الرفيق الاعلى الجماعة من الانبياء الذين يسكنون اعلى عليين وهو اسم

على

وهي اسم على فعيل ومعناه الجماعة كالصديق والخليط ومنه قوله تعالى و
حسن اولئك رفيقا والرفيق المرافق في الطريق وقيل المعنى الحقني بالرفيق الاعلى
اي بالله تعالى يقال الله رفيق بعباده من الرفق والرأفة فهو فعيل بمعنى فاعل
ومنه حديث عائشة رضي الله عنها سمعته يقول عند موته بالرفيق الاعلى وذلك
انه خير بين البقاء في الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله تو وقد ذهب
بعضهم في الرفيق الاعلى انه اسم من اسما الله تعالى قال الازهري غلط قايل
هذا الرفيق الاعلى ههنا جماعة الانبياء الذين يسكنون اعلى عليين اسم جاء على
فعيل ومعناه الجماعة ومنه قوله سبحانه وتعالى وحسن اولئك رفيقا وقوله ان الله
رفيق لم يوجب اطلاق هذا الاسم عليه كما لم يوجب ان الله تعالى حيي عن اطلاق ذلك عليه
وانما اراد به ايضاح معنى لم يكن يقع في الافهام الا من هذا الطريق او اسلم الفهم
ان يستدل بهذا الحديث على اطلاق هذا الاسم عليه وما المانع وليس هذا نحو قوله
ان الله حيي لان ذلك اخبار وقول صاحب النهاية انه اختار ما عند الله تعالى
تصريح بان المراد منه التقرب والزلفى عند الله تعالى ولو اريد به الملائكة والنبيون
لقيل من عند الله تعالى ويؤيده حديث ابي سعيد رضي الله عنه ان عبدا خيره الله
تعالى بين ان يؤتيه زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده فاختار ما عنده وحديث
جعفر في آخر الفصل الثالث من هذا الباب يا محمد ان الله قد اشتاق الى لقائك الحديث
ولان حصول هذه البغية مستلزم لحصول تلك المنزلة كما قال تعالى يا ايتها النفس
المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وفي ادخال
في على الرفيق الاعلى ايذان بغلبة التقرب وشدة تمكنه منه وطول رضوانه عليه
وحصول رضاه عن الله تعالى واليه الاشارة بقوله راضية مرضية والله اعلم الخامس
عائشة رضي الله عنها قوله بحة نه البحة بالضم غلظة في الصوت يقال بح يبح
بحوحا وان كان من داء فهو البحاح ورجل ابح بين البحح اذا كان ذلك فيه خلقة
السادس انس رضي الله عنه قالت يا ابتاه اصله يا ابي فالتا بدل من اليا لانهما
من الحروف الزوائد والالف المتند به لمد الصوت والهاء للسكت ولا بد للندبة
من احدى العلامتين يا او وا لان الندبة لاظهار التوجيع ومد الصوت والحاق

الف فى آخرها للفصل بينها وبين النداء وزيادة الهاء فى الوقف لارادة بيان الالف
لانها خفية وتحذف فى الوصل وقوله من جنة الفردوس فى البخارى وشرح السنة
وقع من موصوله وفى بعض نسخ المصابيح وقعت جارة والاول انسب لانه من واد
قولهم وامن خفر من مزماه الفصل الثانى الاول والثانى انس رضى الله عنه
قوله اضا منها الضمير راجع الى المدينة وفيه معنى التجريد كقولك لئن لقيته لالقين
منه الاسد وهذا يدل على ان الاضاة كانت بنه محسوسة قوله وما نفضنا ايدينا
يريد انهم لم يجدوا قلوبهم على ما كانت عليه من الصفاء والالفة والرقة لانقطاع
مادة الوحى وفقدان ما كان يمدهم من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم من التأييد والتعليم ولو
يرد انهم لم يجدوها على ما كانت عليه من التصديق الفصل الثالث الاول عائشة رضى الله عنها
قوله الرفيق الاعلى اى اختار الرفيق الاعلى وقوله انه الحديث اى ان هذا القول اشارة الى
الحديث الذى قال وهو صحيح الثانى عائشة رضى الله عنها قوله ابهرى الابهر عرق فى الظهر
وهما ابهران وقيل هما الاكحلان اللذان فى الذراعين وقيل هو عرق مستبطن القلب فاذا انقطع
لم يبق معه حياة وقيل الابهر عرق منشأه من الراس ويمتد الى القدم وله شرايين
يتصل باكثر الاطراف والبدن فالذى فى الراس منه يسمى النامة ومنه قولهم اسكت الله نامته
اى اماته ويمتد الى الحلق فيسمى به الوريد ويمتد الى الصدر فيسمى الابهر ويمتد الى الظهر
فيسمى الوتين والفؤاد معلق به ويمتد الى الفخذ فيسمى النسا ويمتد الى الساق فيسمى الصافن
والهمزة فى الابهر زائدة ويجوز فى اوان الضم والفتح فالضم لانه خبر المبتدا والفتح على البناء لاضافته
الى مبنى كقوله على حين عاتبت المشيب على الصبى وقلت الما تصح والشيب وازع الثالث ابن عباس
رضى الله عنهما قوله اكتب لكم كتابا ح اعلم ان النبى صلى الله عليه وسلم معصوم من الكذب ومن تغيير
شئ من الاحكام الشرعية فى حال صحته ومرضه ومعصوم من بيان ترك ما امر ببيانه وتبليغ ما
اوجب الله تعالى عليه تبليغه وليس هو معصوما من الامراض والاسقام العارضة للاجسام
مما لا نقص فيه لمنزلته ولا فساد لما تمهد من شريعته وقد سحر صلى الله عليه وسلم حتى صار يخيل
اليه انه يفعل ولم يكن يفعله ولم يصدر منه فى هذا الحال كلام فى الاحكام مخالف لما سبق فاذا علمت
ما ذكرناه فقد اختلفوا فى الكتاب الذى اراد كتابته فقيل اراد ان ينص على الخلافة فى انسان
معين لئلا يقع نزاع وقيل اراد كتابا يبين فيه مهمات الاحكام ملخصة ليرتفع الناس النزاع

وحصا

ويحصل الاتفاق على المنصوص عليه وكان النبي صلى الله عليه وسلم همّ بالكتاب حين
ظهر له مصلحة او اوحي اليه بذلك ثم ظهر ان المصلحة تركه او اوحي اليه بذلك ونسخ
واما كلام عمر رضي الله عنه حسبكم كتاب الله فقد اتفقوا على انه من دلائل فقه عمر رضي الله عنه
وفضائله ودقيق نظره لانه خشي ان يكتب النبي صلى الله عليه وسلم امورا ربما عجزوا
عنها واستحقوا العقوبة عليها لكونها منصوصة لا مجال للاجتهاد فيها واشار بقوله
حسبكم كتاب الله الى قوله ما فرطنا في الكتاب من شيء وقوله تعالى اليوم اكملت لكم
دينكم وقال البيهقي في كتاب دلائل النبوة وانما قصد عمر رضي الله عنه بذلك التخفيف
على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غلب الوجع عليه ولو كان مراده صلى الله عليه وسلم
ان يكتب ما لا يستغنون عنه لم يتركه لاختلافهم لقوله تعالى بلغ ما انزل اليك كما لم يترك
التبليغ لمخالفة من خالفه ومعاداة من عاداه وكما امر في تلك الحالة باخراج اليهود
من جزيرة العرب وغير ذلك وقال البيهقي وقد حكى سفيان بن عيينة عن اهل
العلم قبله انه صلى الله عليه وسلم اراد ان يكتب استخلاف ابي بكر رضي الله عنه ثم ترك
ذلك اعتمادا على ما علمه من تقدير الله تعالى ذلك كما همّ بالكتابة في اول مرضه
حين قال وا راساه ثم ترك الكتاب وقال يأبى الله والمؤمنون الا ابا بكر وذلك بسبب
استخلافه ابا بكر في الصلوة وقال ايضا وان كان المراد منه بيان احكام الدين ورفع
الخلاف فيها فقد علم عمر حصول ذلك من قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم وعلم انه
لا تقع واقعة الى يوم القيمة الا وفي الكتاب والسنة بيانها نصا او دلالة وفي تكلف النبي
صلى الله عليه وسلم في مرضه مع شدة وجعه كتابة ذلك مشقة فراى الاقتصار على ما
سبق بيانه تخفيفا عليه ولئلا ينسد باب الاجتهاد على اهل العلم والاستنباط و
الحاق الفروع بالاصول فراى عمر رضي الله عنه الصواب ترك الكتابة تخفيفا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفضيلة للمجتهدين وفي تركه صلى الله عليه وسلم الانكار على عمر دليل على
استصواب رايه وكان عمر افقه من ابن عباس وموافقيه قال الخطابي ولا يجوز ان
يحمل قول عمر رضي الله عنه على انه توهم الغلط على رسول الله صلى الله عليه وسلم او ظن
به غير ذلك مما لا يليق بحاله لكنه لما راى ما غلب عليه صلى الله عليه وسلم من الوجع وقرب
الوفاة مع ما غشيه من الكرب خاف ان يكون ذلك القول مما يقوله المريض مما لا عزيمة

لئلا يجد المنافقون بذلك سبيلا الى الكلام في الدين وقد كان اصحابه صلى الله عليه وسلم
يراجعونه في بعض الامور قبل ان يجزم فيها بتحتيم كما راجعوه يوم الحديبية في الخلاف
وفي كتاب الصلح بينه وبين قريش فاما اذا امر بالشيء امر عزيمة فلا يراجعه فيه احد
منهم ومعلوم انه صلى الله عليه وسلم وان كان الله تعالى رفع درجته فوق الخلق كلهم لم ينزهه
من سمات الحدث والعوارض البشرية وقد سها في الصلوة فينبغي ان يتوقف في مثل هذا
حتى تتبين حقيقته فلهذا المعاني وشبهها راجعه عمر رضي الله عنه قال الخطابي وقد
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اختلاف امتي رحمة والاختلاف في الدين ثلثة
اقسام احدها في اثبات الصانع ووحدانيته وانكار ذلك كفر وثانيها في صفاته ومشيئته
وانكارها بدعة وثالثها في احكام الفروع المحتملة وجوها فهذا جعله الله تعالى رحمة
وكرامة للعلماء وقال المازري ان قيل كيف جاز للصحابة الاختلاف في هذا الكتاب مع
قوله ايتوني اكتب فالجواب ان الاوامر تقارنها قراين تنقلها من الندب الى الوجوب
عند من قال اصلها الندب ومن الوجوب الى الندب عند من قال اصلها الوجوب فلعله
ظهر منه صلى الله عليه وسلم من القراين ما دل على انه لم يوجب ذلك عليهم بل جعله الى اختيارهم
فاختلف اختيارهم بحسب اجتهادهم وهو دليل على رجوعهم الى الاجتهاد في الشرعيات وادى
اجتهاد عمر رضي الله عنه الى الامتناع ولعله اعتقد ان ذلك صدر منه صلى الله عليه وسلم من غير
قصد جازم وكان هذا قرينة في ارادة عدم الوجوب هذا آخر ما في شرح مسلم قوله اهجر
اهجر اختلف كلامه بسبب المرض على سبيل الاستفهام اي هل تغير كلامه واختلط لاجل ما به من
المرض ولا يجعل اخبارا فيكون من الفحش والهذيان والقائل عمر ولا يظن به ذلك قال القاضي
عياض اهجر رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا في صحيح مسلم وغيره اهجر على الاستفهام وهو اصح
من رواية من روى هجر ويهجر لانه لا يصح منه صلى الله عليه وسلم لان معنى هجر هذى وانما
جاء هذا من قائله استفهاما للانكار على من قال لا تكتبوا اي لا تتركوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويجعلوه كامر من هجر في كلامه لانه صلى الله عليه وسلم لا يهجر وان صحت الرواية الاخرى كانت
خطأ من قائلها لانه قالها بغير تثبت لما اصابه من الحيرة والدهشة لعظم ما شاهد من النبي
صلى الله عليه وسلم من هذه الحالة الدالة على وفاته وخوف الفتن والضلال بعده وقول عمر حسبنا كتاب
الله رد على من نازعه لا على امر النبي صلى الله عليه وسلم وقوله دعوني ذروني في معناه دعوني من

النزاع

النزاع واللغط الذى نحن فيه والذى انا فيه من مراقبة الله تعالى والتأهب للقائه
والفكر فى ذلك ونحوه افضل مما انتم فيه قوله اخرجوا المشركين من جزيرة العرب مر
بيانه فى باب اخراج اليهود من جزيرة العرب قوله واجيزوا الوفد امر صلى الله عليه وسلم
باكرام الوفود وضيافتهم تطييبا لنفوسهم وترغيبا لغيرهم من المؤلفة وقالوا سواء كان
الوفد مسلمين او كفارا لان الكافر انما يفد غالبا فيما يتعلق بصالحنا ومصالحهم وقوله
وسكت عن الثالثة والساكت هو ابن عباس والناسى سعيد بن جبير قال المهلب الثالثة
تجهيز جيش اسامة وقال القاضى عياض ويحتمل انه قوله صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا قبرى
وثنا يعبد الرابع انس رضى الله عنه يزوره لما هو فيهم بلاغة من ان لو قيل يزورها
حسب ما اقتضاه تعظيم المزور كانه قيل لم ننطلق اليها فنجيب يزورها لانها تستحق
ذلك نحوه فى الاستيناف قول الشاعر وقال رائدهم ارسوا نزاولها قوله انى لا اعلم
مفعوله لقوله لا ابكى الخامس ابو سعيد رضى الله عنه قوله حتى الساعة حتى تجى الجارة
المراد بالساعة القيمة يعنى فما قام عليه بعد فى حيوته السادس ابن عباس رضى الله عنه
قوله نعيت الى نفسى ضمن نعى معنى الانهاء وعدى بالى اى الى نعى نفسى
تقول احد اليك فلانا يقال نعى الميت ينعاه نعيا ونعيا اذا اذاع موته واخبر
به ولعل السر فى ذلك انه تعالى رتب قوله فسبح بحمد ربك على مجموع قوله اذا جاء
نصر الله والفتح ورايت الناس فهو امر لرسول الله صلى الله بالاشتغال الخاصه
بنفسه وفى الثناء على الله بصفات الجلال حامدا له على ما اولى من النعم بصفات
الجلال حامدا له على ما اولى من النعم بصفات الاكرام وهى بذل المجهود فيما كلف به من
تبليغ الرسالة ومجاهدة اعداء الدين وبالاقبال على العبادة والتقوى والتاهب للمسير
الى المقامات العليا واللحوق بالرفيق الاعلى وقوله فرآها بعض ازواج النبى صلى الله عليه وسلم
المراد بها عائشة رضى الله عنها وجمعها فى قوله قلن تعظيما لشأنها وقوله وجاء اهل اليمن عطف
على قوله جاء وتفسير لقوله تعالى ورايت الناس يدخلون فى دين الله وايذان بان المراد
بالناس هم اهل اليمن قوله والايمان يمان قيل انما قال ذلك لان الايمان بدا من مكة وهى تهامة
وتهامة من ارض اليمن ولهذا يقال الكعبة اليمانية وقيل انه قال هذا القول وهو بتبوك
ومكة والمدينة يومئذ بينه وبين اليمن فاشار الى ناحية اليمن وهو يريد مكة والحكمة كل

كلمة صالحة تمنع صاحبها عن الوقوع في المهالك السابع عائشة رضي الله عنها قوله
وا راساه ندبت نفسها واشارة الى الموت وقوله ذاك وانا حي اي ان حصل ذاك
اي موتك وانا حي استغفر لك فاجابته بقولها واثكلياه والله اني لاظنك تحب
ان تقدمني وعشت بعدي وتفرغت لغيري لنسيتني وقوله ان تقول القائلون
مفعول له على تقدير محذوف اي اجعل ابا بكر ولي عهدي كراهة ان يقول القائلون
لم يعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابي بكر الخلافة او يتمنى المتمنون الخلافة ثم
قلت يابى الله الا خلافته وكذلك يدفع المؤمنون خلافة غيره لاستخلافه اياه
في الامامة الصغرى والله اعلم الثامن عائشة رضي الله عنها قوله لكاني بك اللهم ثم
جواب قسم محذوف والمذكور معترض بين الحال وصاحبها المعنى والله لكاني ابصرك
والحال كيت وكيت التاسع حفصة قوله وامرت ان اطيعك عطف على قوله بذلك امرت
اي بقبض روحك وهو من العطف المخصوص للمعطوف عليه وقوله امض لما
امرت به ولا تتوقف فيه والى ههنا ذكره ابن الجوزي في كتابه الوفا وذكر بعده
قال جبرئيل عليه السلام عليك يا رسول الله هذا آخر موطئي الارض انما كنت حاجتي
من الدنيا قوله عزاء من كل مصيبة اي تعزية من كل مصيبة فاقام الاسم مقام المصدر
في الحديث من لم يتعز بعزاء الله قيل اراد بالتعزي في هذا الحديث التسلي و
التصبر عند المصيبة وان يقول انا لله وانا اليه راجعون فعلى هذا يجوز ان تقدر مضافا
في قوله في الله اي في لقاء الله تعالى تسليا وتصبرا من كل مصيبة وان يراد ان في الله
تسليا على التجريد نحو قوله وفي الرحمن للضعفاء كاف ونحوه درج القرينتان يعني قوله خلفا
ودركا اي مدركا كقوله فبالله فثقوا الفاء فيه لجواب الشرط وبالله حال قدمت على عاملها فاتقوا
اختصاصا كما في قوله تعالى فاياي فاعبدون اي اذا كان الله معزيا وخلفا ومدركا مخصوصا
بالتقوى متحصنين به والفاء في فاتقوا ورد لتاكيد الربط وكذا في قوله فارجوا وتقديم
المفعول ليس لافادة التخصيص بل ليعادل به القرينة في فاتقوا الفاء وفيه دلالة بينة
على ان الخضر عليه السلام حي موجود باب الفصل الاول عائشة رضي الله عنها
قوله ولا اوصى بشيء وفي رواية اخرى ذكروا عند عائشة رضي الله عنها ان عليا رضي
كان وصيا فقالت متى اوصى اليه وقد كنت مسندته حتى مات فمتى اوصى ومعنى لا اوصى

بشيء

بشيء اي لا اوصى بثلث ماله ولا غيره اذ لم يكن له مال ولا اوصى الى علي رضي الله عنه
ولا الى غيره خلاف ما يزعمه الشيعة واما الاحاديث الصحيحة في وصيته صلى الله عليه وسلم
بكتاب الله ووصيته لاهل البيت واخراج اليهود من جزيرة العرب واجازة الوفد
فليست مرادة بقولها لا اوصى واما الارض التي كانت له صلى الله عليه وسلم بخيبر وفدك
فقد سبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حيوته وجعلها صدقة على المسلمين الثاني والثالث
ابو هريرة رضي الله عنه قوله لا يقتسم ورثتي دينارا هو اخبار ويجوز ان يكون بمعنى
النهي فهو على منوال قوله على لاحب لا يهتدى بمناره اي لا دينار هناك فيقسم
قوله ما تركت بعد نفقة نسائي ج قال سفيان بن عيينة كان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
في معنى المعتدات اذ كن لا يجوز لهن ان ينكحن ابدا فوجب لهن النفقة وقوله مؤنة
عاملي اراد بالعامل الخليفة بعده وكان النبي صلى الله عليه وسلم ياخذ نفقة اهله من الصفايا
التي كانت له من اموال بني النضير وفدك ويصرف الباقي في مصالح المسلمين ثم وليها ابو بكر
ثم عمر كذلك فلما صارت الى عثمن استغنى عنها بماله فاقطعها مروان وغيره من اقاربه
فلم تزل في ايديهم حتى ردها عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الرابع ابو بكر رضي الله عنه
قوله لا نورث اصله لا يورث منا فحذف فاستتر ضمير المتكلم في الفعل فانقلب الفعل
عن لفظ الغائب الى لفظ المتكلم كما في قوله تعالى لا ابرح حتى ابلغ في وجه وقوله تعالى
نرتع ونلعب اي نبرح مسيري ونرتع ابلنا فلما حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
انقلب الفعل من الغيبة الى التكلم الكشاف وهو وجه لطيف ما تركناه صدقة جملة مستأنفة
كانه لما قيل ما نورث قيل ما تفعلون بتركتكم فاجيب ما تركناه صدقة قال المالكي
في ما تركناه صدقة موصولة مبتدا وتركنا صلته والعائد محذوف وصدقة خبر
ويروى صدقة بالنصب فالتقدير ما تركناه مبذول صدقة فحذف الخبر وبقي الحال
كالعوض منه ونظيره ونحن عصبة بالنصب وقد تقدم بيانه في باب السبعة
من هذا الكتاب مستقصى ح والحكمة في ان الانبياء لا يورثون انه لا يؤمن ان
يكون في الورثة من يتمنى موته فيهلك ولئلا يظن بهم الرغبة في الدنيا فيهلك
...ات وينفر الناس عنهم الخامس والسادس ابو موسى رضي الله عنه قوله وسلفا بين
يديها ه قيل سلف الانسان من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته ولهذا

يسمى الصدر الاول من التابعين السلف الصالح باب مناقب قريش

ذكر النبابك عب المنتبة طرق منتد في الجبال فاستعير للفعل الكريم اما لكونه

ما ثيرا له او لكونه منبعا في نفعه الفصل الاول ابو هريرة رضي الله عنه

قوله في هذا الشان حس معناه تفضيل قريش على قبايل العرب وتقديمها في

الامامة والامارة خط كانت العرب تقدم قريشا وتعظمها وكانت دارهم موسما

والبيت الذي هو قبلتهم منسك وكانت لهم السقاية والرفادة يعطون الحجيج

ويسقونهم فحازوا به الشرف والرياسة عليهم مص المراد بهذا الشان الدين

والمعنى ان مسلمي قريش قدوة غيرهم من المسلمين لانهم المتقدمون في التصدق

السابقون في الايمان وكافرهم قدوة غيرهم من الكفار وانهم اول من رد

الدعوة وكفر بالرسول واعرض عن الآيات سعد فلا تكون ح ولو ما في

الى آخره في معرض المدح اقول يؤيد قول القاضي الحديث التي يتلوه كانه قيل

هم متبوعون في كل امور الناس تتقفون آثارهم ويزعمون ان كل ما صدر عنهم

خير ونحوه قول الشاعر ونحن التاركون لما سخطنا ونحن الآخذون لما رضينا

الحاني والثالث ابن عمر رضي الله عنهما قوله لا يزال هذا الامر في قريش ح هذه الاحاد

واشباهها دليل ظاهر على ان الخلافة مختصة بقريش لا يجوز عقدها لغيرهم وعلى

هذا انعقد الاجماع في زمن الصحابة ومن بعدهم ومن خالف فيه من اهل البدع

فهو محجوج باجماع الصحابة وبين صلى الله عليه وسلم ان هذا الحكم مستمر الى آخر الدهر

ما بقي من الناس اثنان وقد ظهر ما قاله صلى الله عليه وسلم من زمنه الى الآن الرابع معوية قوله

ما اقاموا الدين ما مصدرية والوقت مقدر وهو متعلق بقوله كبه الله ط اي الخلافة في

قريش لا يعاديهم ولا يخالفهم احد في ذلك الا اذله الله ما داموا يحافظون الدين انتهى كلامه

ونحوهم من كلام الشيخ التوربشتي ان قوله ما اقاموا الدين اذا علق بكبه يستقيم المعنى اذا حمل

الدين على الصلوة واما اذا حمل الدين باصوله وتوابعها فلا لانه منهم من غير وبدل ولم

يصرف عنه الامر وقيل معنى الحديث لا يخالف قريشا احد في الامور المتعلقة في الدين بان

ارادوا نقضه وبطلانه وقريش يريد اقامته وامضاءه الا اذله الله وقهره اقول واللفظ

لا يساعد الا ما عليه المظهر وهو اظهر الخامس جابر رضي الله عنه قوله الى اثني عشر خليفة

السبيا

والسبيل في هذا الحديث وما يعتقبه في هذا المعنى ان يحمل على المقسطين منهم فانهم هم
المستحقون لاسم الخلافة على الحقيقة ولا يلزم ان يكونوا على الولاء وان قدر انهم على الولاء
فان المراد منه المسمون بها على المجاز ح قال القاضي عياض توجه ههنا سؤال وهو انه قد
جاء الخلافة بعدي ثلثون سنة ثم يكون ملكا عضوضا وهو مخالف لهذا الحديث واجيب
بان المراد ثلثون سنة خلافة النبوة وقد جاء مفسرا في بعض الروايات خلافة النبوة
بعدي ثلثون سنة ثم يكون ملكا ولم يشترط هذا في الاثني عشر وقيل المراد باثني عشر
ان يكونوا مستحقي الخلافة من العادلين وقد مضى منهم من علم ولا بد من تمام هذا العدد
قبل قيام الساعة قوله الى اثني عشر الى ههنا نحو حتى في الرواية الاخرى لان التقدير لا
يزال الدين قائما حتى يكون عليهم اثنا عشر خليفة في ان ما بعدها داخل فيما قبلها
الكشاف في قوله تعالى فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق الى تفيد معنى الغاية
مطلقا فاما دخولها في الحكم وخروجها فامر يدور مع الدليل فمما فيه دليل على
الخروج قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل لانه لو دخل الليل لوجب الوصال ومما فيه
دليل على الدخول قولك حفظت القرآن من اوله الى آخره لان الكلام مسوق لحفظ
القرآن كله السادس ابن عمر رضي الله عنهما قوله غفار غفر الله لها واسلم سالمها الله يحتمل ان
يكونا خبرين وان يحمل على الدعاء لها واما قوله وعصية عصت الله فهو اخبار ولا يمكن
حمله على الدعاء لكن فيه اظهار شكاية منهم يستلزم الدعاء عليهم بالخذلان لا بالعصيان
حس قيل انما دعا لغفار واسلم لان دخولها في الاسلام كان من غير حرب وكانت غفار
تزن اي تتهم بسرقة الحاج فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يمحو عنهم تلك الشبهة و
نفى مالهم واما عصية فهم الذين قتلوا القراء ببير معونة وكان النبي صلى الله عليه وسلم
يقنت عليهم مح قال القاضي هو من حسن الكلام والمجانسة في الالفاظ ماخوذ من سالمته
اذا لم تر منه مكروها فكانه دعا لهم بان يضع الله منهم التعب الذي كانوا فيه السابع ابو هريرة
رضي الله عنه قوله ليس مولى جملة منزلة الجملة الاولى على الطرد والعكس وفي تمهيده
ذكر الله لذكر رسوله وتخصيص ذكر الرسول ايذان بمكانته ومنزلته عند الله تعالى واشعار
بان تولية اياهم بلغ مبلغا لا تقادر قدره ولا يكتنه كنهه ح موالي اي هم ناصروه و
المختصون به وهو اولياؤهم وناصرهم والمتكفل بهم وبمصالحهم الثامن ابو بكرة قوله

والغطيفيين انما قال لهم الخليفتان لانهم تحالفوا على الناس ح وتتفصل هذه القبائل
لسبقهم الى الاسلام وحسن آثارهم فيه التاسع ابو هريرة رضي الله عنه قوله ثلث صفة موصوف
محذوف وكذا سمعت ويقول فيهم جملة حالية اى خصال ثلاث سمعتها في حالة كونه صلى الله عليه وسلم
قائلا اياها في حقهم وقوله سمعته بيان او بدل لقوله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم والخصال الثلاث
احدها قوله هم اشد امتي على الدجال وثانيها هذه صدقات قومنا شرفهم باضافتهم الى نفسه
صلى الله عليه وسلم وثالثها اعتقتها فانها من ولد اسمعيل فانه دل على ان فضيلتهم لكونهم من بني
اسمعيل والولد بضم الواو وسكون اللام جمع ولد الفصل الثاني الاول والثاني ابن عباس رضي الله عنهما
قوله اول قريش نكالا يوم بدر والاذاب والنكال العبرة ونيل العقوبة ويؤيده حديث عياض
المجاشعي ان الله امرني ان احرق قريشا فقلت رب اذن يثلغوا راسي فيدعوه خبزة الحديث
الثالث ابن عامر قوله الاسد هو بسكون السين ابو حي من اليمن ويقال لهم الازد وهو بالسين
افصح وبالزاي ازد شنوءة واما عمان قوله الاشعرون بسقوط الياء في جامع الترمذي وجامع
الاصول وباثباته في المصابيح قال الجوهري يقول العرب جاءتك الاشعرون بحذف الياء الرابع
انس رضي الله عنه قوله الأَزْدُ أَزْدُ الله يريد بالازد ازد شنوءة وهو حي من اليمن
اولاد ازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن كهلان بن سبا واضافتهم الى الله تعالى من حيث
انهم حزبه واهل نصرة رسوله اقول قوله الازد ازد الله يحتمل وجوها احدها انه اشتهر بهذا الاسم
بانهم ثابتون في الحرب لا يفرون على ما مر في الحديث السابق وعليه كلام القاضي وثانيها
ان تكون الاضافة للاختصاص والتشريف كبيت الله وناقة الله على ما يدل عليه قوله
يريد الناس ان يضعوهم الى آخره وثالثها ان يراد به الشجاعة والكلام على التشبيه
اي الازد اسد الله فجاء به اما مشاكلة او قلب السين زايا الخامس ابن عمر قوله كذاب
ومبير اشار بالكذاب الى المختار بن ابي عبيد بن مسعود الثقفي قام بعد وقعة
الحسين ودعا الناس الى طلب ثاره وكان غرضه في ذلك ان يصرف الى نفسه وجوه
الناس ويتوصل به الى تحصيل الامارة وكان طالبا للدنيا مدلسا في تحصيلها واياه عنت
اسماء بقولها فاما الكذاب فرايناه وبالمبير الى الحجاج وهو من البوار بمعنى الهلاك قوله
احصوا ما قتل الحجاج صبرا اصل الصبر الحبس وقالوا قتل فلان صبرا اى قتل وهو
ماسور ولم يقتل في معركة ولا خلسة السادس والسابع عبد الرزاق قوله افواههم سلم

اي

اي يفشون السلام فجعل افواههم نفس السلام مبالغة وعلى هذا قوله وابذ بهم طعام اي يطعمون الطعام الثامن الى آخره سلمن رضي الله عنه قوله بعض العرب العرب ما يقابل العجم العرب اسم لهذا الجيل المعروف من الناس ولا واحد له من لفظه وسواء اقام بالبادية او المدن والنسب اليها اعرابي وعربي الفصل الثالث الاول عبد الله قوله لا تقبل قرشي صبرا قال الحميدي وقد تاول بعضهم هذا الحديث فقال معناه ولا تقبل قرشي بعد هذا اليوم صبرا الى يوم القيمة وهو مرتد عن الاسلام ثابت على الكفر اذ قد وجد من قريش من قتل صبرا فيما سبق ومضى من الزمان بعد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يوجد منهم من قتل صبرا وهو ثابت على الكفر اقول ويجوز ان يكون النفي بمعنى النهي وهو ابلغ من صريح النهي كان رحمك الله ويرحمك الله ابلغ من ليرحمك الله ونحوه قوله تعالى الزاني لا ينكح الا زانية في وجه وهذا الوجه اقرب الى مدح قريش وتعظيمهم وسبق الكلام على اطلاقه الثاني الى آخره ابو نوفل قوله على عقبة المدينة يريد على عقبة في مكة واقعة على طريق المدينة وكان عبد الله بن الزبير مصلوبا وقوله انهاك عن هذا المشار اليه بهذا الى صلبه يعني كنت انهاك عن ذي الى ما اداك فيه فعلى هذا هو من وادي قوله تعالى انما ياكلون في بطونهم نارا وقوله ان كنت ان هي المخففة من الثقيلة وضمير الشان محذوف وما زائدة قوله وصولا للرحم بفتح الواو قال القاضي عياض هذا اصح من قول بعض الاحاديث ووصفه بالامساك وقد عده صاحب كتاب الاجواد فيهم وهو المعروف من احواله قوله لامة انت شرها لامة خير هكذا هو مروي عن مشيختنا وكذا نقله القاضي عياض عن جمهور رواة صحيح مسلم ونقله القاضي عن رواية السمرقندي لامة سوء قال وهو خطأ وتصحيف ثم نفذ اي مضى وذهب وقوله من يسحبك بقرونك اي يجرك بضفائر شعرك وسبتي بكسر السين المهملة واسكان البا الموحدة وتشديد اليا المثناة من تحت هي النعل التي لا شعر عليها وتوذق بالواو والذال المعجمة قال ابو عبيد معناه تسرع وقيل يتبختر قولها ذات النطاقين النطاق ما يشد به المرأة وسطها عند معاناة الاشغال ليرفع به ثوبها وسميت بذلك لانها قطعت نطاقها نصفين عند مهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشدت باحدهما قربته وبالآخر سفرته فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ذات النطاقين على الذم وانما هو مدحة خارجة وحاجة

ولاجة تشد نطاقها للخدمة والعرب تمدح بشدة الانطاق قال امرؤ القيس
وتضحي فتيت المسك فوق فراشها نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل كانها سميت انها
ذات نطاقين ولكن نطاق هذا شانه والهمزة الاشارة تقوله اما والله ذات النطاقين
اما احدهما الى آخره ونظيره قوله تعالى ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم يؤمن
بالله ويؤمن للمؤمنين كانه قيل نعم هو اذن كما قلتم الا انه اذن خير لا اذن
سوء فسلم لهم قولهم فيه الا انه فسره بما هو مدح له وان كانوا قصدوا به المذمة قوله
فلا اخالك الا اياه الظاهر ان معناه لا اخاله الا اياك فقدم ثاني مفعوليه اهتماما و
ان المحكوم عليه بهذا الحكم هو لان المشهور من نظائره الى قوله تعالى وجعلوا لله
شركاء الجن قدم شركاء وهو المفعول الثاني على الاول وهو الجن وقدم ايضا لله عليهما
اهتماما ومزيدا للانكار كما مر فيه البيان في شرح البيان ح في سلام ابن عمر عليه وهو مصلوب
استحباب السلام على الميت وتكريره وفيه الثناء على الموتى بجميل صفاتهم المعروفة
وفيه منقبة عظيمة لابن عمر رضي الله عنهما لقوله الحق في الملا وعدم اكتراثه بالحجاج لانه يعلم
ان مقامه وثناءه عليه يبلغه ولم يمنعه ذلك ان يقول الحق ويشهد لابن الزبير بما يعلمه
فيه من الخير وبطلان ما اشاع عنه الحجاج من قوله عدو الله وظالم ونحوه فاراد
ابن عمر رضي الله عنهما براءة ابن الزبير من الذي نسب اليه الحجاج واعلام الناس بمحاسنه
ومذهبنا ان ابن الزبير كان مظلوما باب مناقب الصحابة رضي الله عنهم الصحابي
المعروف عند اهل الحديث وبعض اصحاب الاصول كل من راى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو مسلم ويعرف كونه صحابيا بالتواتر كابي بكر وعمر رضي الله عنهما او بالاستفاضة او بقول
صحابي غيره انه صحابي او بقوله عن نفسه انه صحابي اذا كان عدلا والصحابة كلهم
عدول مطلقا لظواهر الكتاب والسنة واجماع من يعتد به ح قال ابو منصور البغدادي
اصحابنا مجمعون على ان افضلهم الخلفاء الاربعة على الترتيب المذكور ثم تمام العشرة
ثم اهل بدر ثم احد ثم بيعة الرضوان وممن له مزية اهل العقبتين من الانصار
وكذلك السابقون الاولون وهم من صلى الى القبلتين وعند اهل بيعة الرضوان وكذلك
اختلفوا في عائشة وخديجة ايهما افضل وفي عائشة وفاطمة واما معاوية فهو من العدول
الفضلاء والصحابة الخيار والحروب التي جرت بينهم كان لكل طائفة شبهة اعتقدت

تصويب

تصويب انفسها بسببها وكلهم منا ولون في حروبها ولم يخرج عن ذلك احد منهم من
العدالة لانهم مجتهدون اختلفوا في مسائل كما اختلف المجتهدون بعدهم في مسائل
ولا يلزم من ذلك بغض احد منهم الفصل الاول الاول ابو سعيد رضي الله عنه
قوله لا تسبوا ع اعلم ان سب الصحابة حرام من اكبر الفواحش ومذهبنا ومذهب
الجمهور انه يعزر وقال بعض المالكية يقتل وقال القاضي عياض سب احدهم
من الكبائر قوله ولا نصيفه ص النصيف النصف اي نصف مد وقيل هو مكيال
دون المد والمعنى انه لا ينال احد بانفاق مثل احد ذهبا من الفضيلة والاجر
ما ينال احدهم بانفاق مد طعام او نصفه لما يقارنه من مزيد الاخلاص وصدق
النية وكمال النفس اقول ويمكن ان يقال ان فضيلتهم بحسب فضيلة انفاقهم وعظم
موقعه كما قال تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة
من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا من قبل الفتح اي قبل فتح مكة قبل عز الاسلام وقوة
اهله ودخول الناس في دين الله افواجا وقلة الحاجة اي العيال والنفقة فيه هذا
في الانفاق فكيف بمجاهدتهم وبذل ارواحهم ومهجهم وقراعهم بين يدي رسول الله
وغير ذلك الثاني ابو بردة رضي الله عنه قوله ما يرفع بيان لكثير او موضحه كان اي
كثيرا يرفع راسه وما مصدرية ويجوز ان يكون من زائدة قوله امنة السماء يقال امنته
وآمنته غيري وهو في امن منه وامنة وفلان امنه وامنة بسكون الميم كانها المرة
من الامن ويجوز ان يكون جمع آمن ككاتب وكتبة وامنة اذا نسب الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحتمل وجهين احدهما ان يكون مصدرا مبالغة نحو قولهم رجل عدل
او جمعا فيكون من باب قوله تعالى شهابا رصدا اي راصدين وقوله تعالى ان ابراهيم
كان امة قانتا فجعل صلى الله عليه وسلم آمنا لاصحابه بمنزلة الجماعة اراد بوعد السماء
انشقاقها وذهابها يوم القيامة وذهاب النجوم تكويرها وانكدارها وانعدامها واراد
بوعد اصحابه ما وقع بينهم من الفتن وكذلك اراد بوعد الامة والاشارة في
الجملة الى مجيء الشر عند ذهاب اهل الخير فانه لما كان بين اظهرهم ما يختلفون فيه
انما هو في حالة الآراء واختلفت الاهواء وكانت الصحابة يسندون الامر الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في قول او فعل او دلالة حال فلما فقد قلت الانوار وقويت الظلم وكذلك

حال السماء عند ذهاب النجوم والامنة في هذه الاحاديث جمع امين وهو الحافظ الثالث
ابو سعيد رضي الله عنه قوله فئام من الناس ح هو بفاء مكسورة ثم همزة اي جماعة وحكى
القاضي عياض بالياء مخففة بلا همز ولغة اخرى بفتح الفاء عن الخليل والمشهور الاول وفيه
معجزات لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفضل الاصحابه والتابعين وتابعيهم والبعث هنا
الجيش الرابع عمران قوله قرني ثم الذين يلونهم نه يعني الصحابة ثم التابعين والقرن اهل
كل زمان وهو مقدار التوسط في اعمار كل زمان ماخوذ من الاقتران فكانه المقدار الذي
يقترن فيه اهل ذلك الزمان في اعمارهم واحوالهم والقرن اربعون سنة وقيل ثمانون
وقيل مائة وقيل هو مطلق من الزمان وهو مصدر كقولك قرنت نقرن انتهى كلامه
وثم فيه بمنزلة الفاء في قوله الافضل فالافضل على انه بيان لتراخي الرتبة في النزول و
الخير المذكور اولا اطلق على ما اقتضاه معنى التفضيل من الاشتراك حتى انتهى الى حد
لم يقع فيه الاشتراك ويختص بالموصوف فلا يدخل ما بعده من قوله ثم ان بعدهم قوما
يشهدون الحديث فهو كما في قوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وقولك الصيف
احر من الشتاء قوله ويظهر فيهم السمن نه في الحديث يكون في آخر الزمان قوم يتسمنون
اي يتكثرون بما ليس فيهم ويدعون ما ليس لهم من الشرف وقيل اراد جمعهم الاموال
وقيل يحبون التوسع في المآكل والمشارب وهي اسباب السمن تو كني به عن الغفلة وقلة
الاهتمام بامور الدين فان الغالب على ذوي السمانة ان لا يهتموا بارتياض النفوس بل معظم
همهم تناول الحظوظ والتنعم للدعة والنوم ح قالوا والمذموم من السمن ما تستكسبه واما
ما هو خلقة فلا يدخل في هذا قوله يشهدون ولا يستشهدون ح هذا مخالف في الظاهر
الحديث الآخر خير الشهود من ياتي بالشهادة قبل ان يسال قالوا والجمع بينهما ان الذم
في ذلك لمن بادر بالشهادة في حق من هو عالم بها قبل ان يسالها له صاحبها واما المدح
فهو لمن كانت عنده شهادة لاحد لا يعلم بها فيخبره بها ليستشهد عند القاضي
ويلحق به من كانت عنده شهادة في حد وراى المصلحة في الشهر هذا ما عليه الجمهور
ومعنى الجمع في قوله يخونون ولا يؤتمنون انهم يخونون خيانة ظاهرة بحيث لا يبقى معها
ثقة بخلاف من خان حقيرا مرة واحدة فانه لا يخرج به عن ان يكون مؤتمنا في بعض المواطن
الفصل الثاني الاول عمر رضي الله عنه قوله بحبوحة الجنة نه بحبوحة الدار وسطها

يقال

بالنجيح اذا تمكن وتوسط المنزل والمقام قوله فيلزم الجماعة المراد بالجماعة السواد الاعظم
وما عليه الجمهور من الصحابة والتابعين والسلف الصالح فيدخل فيه حبهم واكرامهم
ونحو لا اولياء قوله وهو من الاثنين ابعد افعل هنا لمجرد الزيادة ولو كان مع الثلثة لكان
بمعنى التفضيل اذ البعد مشترك بين الثلثة والاثنين وليس بمشترك بين الاثنين و
الفذ على ما لا يخفى الثاني الى آخره عبد الله قوله الله الله في اصحابي اي اتقوا الله ثم اتقوا
الله في حق اصحابي لا تنقصوا من حقهم ولا تسبوهم والتقدير اذكركم الله وانشدكم
في حق اصحابي وتعظيمهم وتوقيرهم كما تقول الاب المشفق الله الله في حق اولادي وقوله
وقوله فبحبي احبهم اي بسبب حبه اياي احبهم اي انما احبهم لانه يحبني وانا ابغضهم
لانه يبغضني والعياذ بالله تعالى فحقيق لذلك قول من قال ان من سبهم فقد استوجب
القتل في الدنيا على ما سبق في مذهب بعض المالكية الفصل الثالث الاول ابن عمر
رضي الله عنهما قوله لعنة الله على شركم هو من كلام المصنف الذي كل من سمعه من قال او
مناف قال لمن خوطب به قد انصفك صاحبك ومنه بيت حسان في حق من هجا رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتهجوه ولست له بكفؤ فشركما لخيركما فداء والتعريض والتورية او وصل
بالمجادل الى الغرض واهجم به على الغلبة مع قلة شغب وقلة شق كنه بالهوينا الثاني
عمر رضي الله عنه قوله عن اختلاف اصحابي اي في فروع الشرايع لا في اصولها قوله بعد ذلك
فمن اخذ بشيء مما هم عليه من اختلافهم فهو عندي على هدى ومن في قوله مما هم بيان
شيء وفي من اختلافهم بيان ما وفيه اختلاف الائمة رحمة الله للامة والله اعلم باب
مناقب ابي بكر رضي الله عنه الفصل الاول الاول ابو سعيد رضي الله عنه قوله ان من امن
الناس ابو بكر كذا هو في صحيح مسلم وفي البخاري ابا بكر بالنصب وهو الظاهر لانه اسم ان
والرفع مشكل مظ وفيه اوجه الاول ان يكون من زايدة على مذهب الاخفش و
قيل ان ههنا بمعنى نعم كما في قوله لعن الله ناقة حملتني اليك ان وصاحبها فقوله ابو بكر
مبتدا ومن امن الناس خبره وقيل اسم ان ضمير الشان تو يريد ان من ابذلهم وسمحهم
من من عليه منا لا من من عليه منة اذ ليس لاحد ان يمتن على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم انه وارد مورد الاجاد واذا حمل على معنى الامتنان عاد ذما على صاحبه لان المنة
تهدم الصنيعة والمخرفة كوة في الجدار توصل الضوء وقال الليث ناس من اهل

اللسان يسمون هذا الباب الذى يسميه العرب المحروك خوخة فالخوخة هذا ممر بين
بيتين او دارين ينصب عليه باب وكان هذا القول منه صلى الله عليه وسلم فى مرضه
الذى توفى فيه فى آخر خطبة خطبها ولا خفاء بان ذلك تعريض بان ابا بكر هو
المستخلف بعده وهذه الكلمة ان اريد بها الحقيقة فذلك لان اصحاب المنازل
اللاصقة بالمسجد قد جعلوا من بيوتهم يترددون الى المسجد فيه او كوى ينظرون
فيها اليه فامر بسد جملتها سوى خوخته تكريما له بذلك اولا ثم تنبيها للناس
فى ضمن ذلك على امر الخلافة حيث جعله مستحقا لذلك دون الناس وان اريد
به المجاز فهو كناية عن الخلافة وسد ابواب المقالة دون التطرق اليه والتطلع
عليها وارى المجاز فيه اقوى اذ لم يصح عندنا ان ابا بكر كان له منزل بجنب المسجد
وانما كان منزله بالسنح من عوالى المدينة ثم انه مهد المعنى المشار اليه وقرره بقوله
ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا لعلمه انه احق الناس بالنيابة عنه و
كفانا من الحجة على هذا التاويل تقديمه اياه فى الصلوة واباؤه كل الاباء ان يقف
غيره ذلك الموقف والله اعلم قوله لاتخذت ابا بكر خليلا ص الخليل الصاحب الواد
الذى يفتقر اليه ويعتمد فى الامور عليه فان اصل التركيب للحاجة والمعنى لو كنت
متخذا من الخلق خليلا ارجع اليه فى الحاجات واعتمد عليه فى المهمات لاتخذت ابا بكر
ولكن الذى الجا اليه واعتمد عليه فى جملة الامور ومجامع الاحوال هو الله تعالى وانما سمى ابرهيم
عليه السلام خليلا من الخلة التى هى الخصلة فانه تخلق بخلال حسنة اختصت به او من التخلل
فان الحب تخلل شغاف قلبه واستولى عليه او من الخلة من حيث انه عليه السلام ما كان
يفتقر حال الافتقار الا اليه وما كان يتوكل الا عليه فيكون فعيلا بمعنى فاعل وفى الحديث
بمعنى مفعول وقوله ولكن اخوة الاسلام استدراك عن مضمون الجملة الشرطية وفحواها
كانه قال ليس بينى وبينه خلة ولكن اخوة الاسلام نفى الخلة المنبئة عن الحاجة واثبت
الاخاء المقتضى للمساواة قوله الثانى عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قوله وقد اتخذ الله فيه مبالغة
منها وجهين احدهما انه اخرج الكلام على التجريد حيث قال صاحبكم ولم يقل اتخذنى
وثانيهما اخذ صاحبكم بالنصب عكس ما فى الحديث السابق من قوله غيره فى ذلك
الحديث على حصول المخالة من الطرفين الثالث عائشة رضى الله عنها قوله انا ولا ... هكذا هو

فى بعض

في بعض النسخ المعتمدة اي يقول انا احق بالخلافة ولا يستحقها غيري وفي بعضها انا اولي
اي انا احق بالخلافة قال القاضي عياض هذه الرواية اجود واما طلبه لاخيها مع ابي بكر فلان
يكتب الكتاب وهذا دليل لاهل السنة على ان خلافة ابي بكر ليست بنص من النبي صلى الله عليه وسلم
صريحا بل اجمعت الصحابة على عقد الخلافة له وتقديمه لفضله ولو كان هناك نص
عليه او على غيره لم يصح المنازعة من الانصار وغيرهم اولا ولذكر حافظ النص
ما معه ورجعوا اليه اولا ثم اتفقوا عليه واما ما يدعيه الشيعة من النص على
علي رضي الله عنه والوصية اليه فباطل لا اصل له باتفاق المسلمين واول من يكذبهم
علي رضي الله عنه حين سئل هل عندكم شيء ليس في القرآن قال ما عندي الا ما في
هذه الصحيفة الحديث ولو كان عنده نص لذكره واما قوله في الحديث الذي يليه
حين قال للمرأة فان لم تجديني فاتي ابا بكر فليس فيه نص على خلافته بل هو
اخبار بالغيب الذي اعلمه الله تعالى به الرابع والخامس عمرو بن العاص قوله على جيش
ذات السلاسل حص السلاسل رمل ينعقد بعضه ببعض وسمي الجيش بذلك لانهم
كانوا مبعوثين الى ارض بها رمل كذلك السادس والسابع ابن عمر رضي الله عنهما
وليلا نفاضل منهم حط وجه ذلك انه اراد به الشيوخ وذوي الاسنان منهم
الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر شاورهم فيه وكان علي رضي الله عنه
في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث السن ولم يرد ابن عمر الازراء بعلي ولا تاخيره
عن الفضيلة بعد عثمان وفضله مشهور لا ينكره ابن عمر ولا غيره من الصحابة تو
وايضا قد عرف ان اهل بدر واهل بيعة الرضوان واصحاب العقبتين الاولى
والثانية يفضلون غيرهم وكذلك علماء الصحابة وذووا الفهم منهم والمبتلون
عن الدنيا المفضل الثاني الاول ابو هريرة رضي الله عنه قوله ما لاحد عندنا يد
الا وقد كافيناه وفسر قوله تعالى وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما
لاحد عنده من نعمة تجزى بان المراد به منه ابو بكر رضي الله عنه الثاني والثالث
ابن عمر رضي الله عنه قوله انت صاحبي في الغار كما قال تعالى ثاني اثنين اذ هما في الغار
اذ يقول لصاحبه لا تحزن قيل من انكر صحبة ابي بكر كفر لانه انكر النص الجلي الرابع
عايشة رضي الله عنها قوله ان يؤمهم غيره حط هذا دليل على فضله على جميع الصحابة

فاذا ثبت هذا فقد ثبت خلافته لان خلافة المفضول مع وجود الفاضل لا تصح الخامس
عمر رضى الله عنه قوله و وافق ذلك مالا عندى اى صادف امرى بالتصدق حصول
مال عندى قوله ابقيت قول الصديق رضى الله عنه ابقيت لهم الله ورسوله اطنابا
يوافق قول الفاروق رضى الله عنه اختصارا فى قوله مثله فى تطابقهما على فنى البلاغة
ونظيره فى الاطناب قال الله تعالى حكاية عن عبدة الاصنام بعد ما سئلوا ما تعبدون
قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين قالوه ابتهاجا منهم بعبادة الاصنام وافتخارا
بمواظبتها السادس عائشة رضى الله عنها قوله عتيق الله العتيق المتقدم فى الزمان
او المكان او الرتبة ولذلك قيل للقديم عتيق وللكريم عتيق ولمن خلى عن الرق عتيق
السابع ابن عمر رضى الله عنه وقوله يحشرون معى المراد بالحشر هنا الجمع كقوله تعالى واذا حشر
الناس ضحى وكذا معنى قوله حتى احشر الثامن ابو هريرة رضى الله عنه قوله اول من يدخل
الجنة من امتى لما تمنى رضى الله عنه بقوله وددت والتمنى انما يستعمل فيما لا يتدعى
امكان حصوله قيل له لا تمتد النظر الى الباب فان لك اموا على منه واجل وهو دخولك
فيه اول امتى وحرف التنبيه ينبئك على الزمرة التى لو صابها الفصل الثالث
عمر رضى الله عنه قوله فكسحه اى كنسه والكسح الكنس فالقمها اى جعل رجليه كاللقمة
لها غاية الحرص على سد فمها ثم اسمص عليه اى مكنت الجوارحه بعد ان اندملت لتعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى اساس البلاغة انتقضت القرحة نكست قوله فى رجله
بدل من اى بكر بدل البعض وجى بفى بيانا لتشدخ تمكن اللدغ فيها كما فى قول الشاعر
يخرج فى عراقيبها نصلى قوله لو منعونى عقالا انه اراد بالعقال الحبل الذى يعقل به
البعير الذى كان يوخذ فى الصدقة لان على صاحبها التسليم وانما يقع القبض بالرباط وقيل
اراد ما يساوى عقالا من حقوق الصدقة وقيل اذا اخذ المصدق اعيان الابل قيل اخذ
عقالا واذا اخذ اثمانها قيل اخذ نقدا وقيل اراد بالعقال صدقة العام يقال اخذ المصدق عقال
هذا العام اذا اخذ منهم صدقته وبعث فلان على عقال بنى فلان اذا بعث على صدقاتهم واختار
ابو عبيد وقال هو اشبه عندى بالمعنى وقال الخطابى انما يضرب المثل فى مثل هذا بالاقل لا بالاكثر
وليس بسائر فى لسانهم ان العقال صدقة العام وفى اكثر الروايات لو منعونى عناقا و
فى اخرى جديا قلت قد جاء فى الحديث ما يدل على القولين من الاول حديث عمر رضى الله عنه

انه كان

انه كان يأخذ مع كل فريضة عقالا واذا جاءت الى المدينة باعها ثم يتصدق بها وحديث محمد بن
سلمة انه كان يعمل الصدقة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يأمر الرجل اذا جاء بفريضتين
ان يأتي بعقالهما وقرانهما ومن الثاني حديث عمر انه اخر الصدقة عام الرمادة فلما احيى الناس
بعث عامله فقال اعقل عنهم عقالين فاقسم فيهم عقالا وائتني بالآخر يريد صدقة
عامين قوله وخوار في الاسلام هو من خار يخور اذا ضعفت قوته ووهن اقول
انكر عليه ضعفه ووهنه في امر الدين ولم يرد ان يكون جبارا بل اراد به التصلب والشدة
في الدين لكن لما ذكر الجاهلية قرنه بذكر الجبار ومن العجب ان ابا بكر رضي الله عنه كان
منسوبا الى الرفق والاناة وعمر رضي الله عنه الى الشدة والصلابة فعكس الامر في هذه القضية

باب مناقب عمر رضي الله عنه الفصل الاول ابو هريرة رضي الله عنه قوله
محدثون المحدث في كلامهم هو الرجل الصادق الظن وهو في الحقيقة من القي في روعه
شيء من قبل الملأ الاعلى فيكون كالذي حدث به وفي قوله ان يك في امتي احد فهو
عمر لم يرد هذا القول مورد التردد فان امته افضل الامم واذا كانوا موجودين في غيرهم
من الامم فبالحري ان يكونوا في هذه الامة اكثر عددا واعلى رتبة وانما ورد مورد
التأكيد والقطع به ولا يخفى على ذي الفهم محله يقول الرجل ان يكن لي صديق فانه فلان
يريد بذلك اختصاصه بالكمال في صداقته لا نفي الاصدقاء اقول هذا الشرط من باب
قول الاجير ان كنت عملت لك فوفني حقي وهو عالم بذلك ولكنه يخيل في كلامه ان تفريطك
في الخروج عن الحق فعل من له شك في الاستحقاق مع وضوحه فالمراد بالمحدث الملهم
البالغ فيه الذي انتهى الى درجة الانبياء في الالهام فالمعنى لقد كان فيما قبلكم
من الامم انبياء ملهمون من قبل الملا الاعلى فان يك في امتي احد هذا شانه فهو
عمر جعله لانقطاع قرينه وتفوقه على اقرانه في هذا كانه هل هو نبي ام لا فاستعمل
ان موضع ما ورد في الفصل الثاني لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب قال
في هذا الحديث تمثل لراي على سبيل الفرض والتقدير كما في قوله عمر رضي الله عنه
نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه الثاني سعد قوله ويستكثرنه م اي يطلبن
منه النفقات الكثيرة قال القاضي عياض في قوله عالية اصواتهن يحتمل ان هذا
قبل النهي عن رفع الصوت فوق صوته صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان علو اصواتهن انما كان

انما كان لاجتماعهن في الصوت لان كلام كل واحدة بانفراده اعلى من صوته صلى الله عليه وسلم
قوله انت افظ واغلظ لم يرد به بذلك مزيد الفظاظة والغلظة لعمر رضي الله عنه على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان حليما مواسيا دميث الخلق في الغاية بل المبالغة في
فظاظة عمر رضي الله عنه مطلقا قوله ايه هو اسم سمي به الفعل لان معناه الامر تقول اذا
الرجل اذا استزدته من حديث او عمل ايه بكسر الهاء فان وصلت نونت قلت ايه حديثا واذا
اسكنته وكففته قلت ايها عنا ومن حقه في هذا الحديث ان تكون ايها اي كف يا ابن الخطاب
عن هذا الحديث ورواه البخاري في كتابه مجرورا منونا والصواب ايها وروى مسلم هذا
الحديث في جامعه وليس لهذه الكلمة في روايته ذكر اقول معنى قول عمر اتهبنني ولا تهبن
رسول الله اتوقرنني ولا توقرن رسول الله صلى الله عليه وسلم حسن هو من قولهم هبت
الرجل اذا وقرته وعظمته تقال هب الناس يهابوك اي وقرهم يوقروك انتهى كلامه
ولاشك ان الامر بتوقير رسول الله صلى الله عليه وسلم مطلوب لذاته بل الاستزاده
منه فكان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ايه استزادة منه في طلب توقيره وتعظيم جانبه
ولذلك عقبه بقوله والذي نفسي بيده الى اخره فانه يدل على استرضاء ليس بعده استرضاء
احاد امته صلى الله عليه وسلم لفعاله كلها لاسيما هذه الفعلة قوله ما لقيك الشيطان سالكا
فيه تنبيه على صلابته في الدين واستمرار حاله على الجد الصرف والحق المحض حتى كان
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم كالسيف الصارم والحسام القاطع ان امضاه مضى
وان كفه كف فلم يكن له على الشيطان سلطان الا من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان هو كالوازع بين يدي الملك فلهذا كان الشيطان ينحرف عن الفج الذي سلكه ولما كان
النبي صلى الله عليه وسلم رحمة مهداة الى العالمين مامورا بالعفو عن المذنبين معنيا
بالصفح عن الجاهلين لم يكن ليواجههم فيما لا يحمد من فعل مكروه او سوء ادب بالفظاظة
والغلظة والزجر البليغ اذ لا يتصور الصفح والعفو مع تلك الخلال فلهذا تسامح هو فيها
واستحسن اشعار هذه الهيبة عن عمر رضي الله عنه ح هذا الحديث محمول على ظاهره
وان الشيطان متى راه سالكا فجا هرب لهيبته من عمر رضي الله عنه وفارق ذلك الفج لشدة
باسه قال القاضي عياض ويحتمل انه ضرب مثلا بالشيطان واغوائه وان عمر رضي الله عنه
فارق سبيل الشيطان ويسلك طريق السداد وخالف ما يامر به والصحيح الاول

السالك

الثالث والرابع ابن عمر رضي الله عنهما قوله قميص ع القميص الدين وجره يدل
على بقاء آثاره الجميلة وسنته الحسنة في المسلمين بعد وفاته ليقتدى به واما
تفسير اللبن بالعلم فلكثرة الانتفاع بهما وانهما سبب الصلاح فاللبن غذاء الانسان
وسبب صلاحهم وقوة ابدانهم والعلم سبب الصلاح في الدنيا والآخرة وغذاء
للارواح الخامس ابو هريرة رضي الله عنه قوله رايتني على قليب مص لعل القليب
اشارة الى الدين الذي هو منبع ماء به يحيى النفوس ويتم امر المعاش ونزع الماء
منها للناس اشارة الى اشاعة امره واجراء حكمه والقيام بمراسمه وسياساته و
وتناوبهم في ذلك اشارة الى ان هذا الامر ينتهي من الرسول صلوات الله عليه الى
ابي بكر ومنه الى عمر ونزع ابي بكر ذنوبا او ذنوبين اشارة الى قصر مدة خلافته وان الامر
انما يكون بيده سنة او سنتين ثم ينتقل الى عمر وكان مدة خلافته سنتين وثلثة اشهر
وضعفه فيه اشارة الى ما كان في ايامه من الاضطراب والارتداد واختلاف الكلمة او
الى ما كان له من لين الجانب وقلة السياسة والمداراة مع الناس ويدل على هذا قوله
وغفر الله ضعفه وهو اعتراض ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم عليه ليعلم ان ذلك موضوع
معفو عنه غير قادح في منصبه ومصير الدلو في نوبة عمر غربا وهو الدلو الكبير الذي
يستقى به البعير اشارة الى ما كان في ايامه من تعظيم الدين واعلاء كلمته وتوسيع خططه
وقوته وجده في النزع اشارة الى ما اجتهد في اعلاء امر الدين وانشائه في مشارق
الارض ومغاربها اجتهادا لم يتفق لاحد قبله ولا بعده والعبقري القوي قيل العبقر
اسم واد يزعم العرب ان الجن يسكنه فنسبوا اليه كل من تعجبوا منه امرا لقوة او غيرها
فكانهم وجدوا ما وجدوا منه خارجا عن وسع الانسان فحسبوا انه جني من العبقر
ثم قالوا لكل شيء نفيس وقوله حتى ضرب الناس بعطن اي حتى رووا ابلهم فابركوها
وضربوا لها عطنا وهو مبرك الابل ح الكافي قوله وفي نزعه ضعف ليس فيه حط لمنزلته
ولا اثبات فضيلة لعمر عليه وانما هو اخبار عن مدة ولايتهما وكثرة انتفاع الناس في ولاية عمر
لطولها ولاتساع الاسلام وفتح البلاد وحصول الاموال والغنائم واما قوله والله يغفر له
ضعفه فليس فيه نقص له ولا اشارة الى ذنب وانما هي كلمة كان المسلمون يزينون بها
كلامهم وقد جاء في صحيح مسلم انها كلمة كان المسلمون يقولونها افعل كذا والله يغفر لك اقول

اراد انه من باب التتميم وهو ان يفيد كلام فيه نوع ايهام للنقص بما يصونه
عنه مثاله قول ابي الطيب ويحتقر الدنيا احتقار مجرب يرى كل ما فيها وحاشاك
فانيا في قوله نزعت منها ما شاء الله ثم اخذ ابن ابي قحافة اشارة الى نيابة ابي بكر
رضي الله عنه وخلافته بعده وراحته صلى الله عليه وسلم بوفاته من نصب الدنيا
ومشاقها وفي قوله ثم اخذها ابن الخطاب من يد ابي بكر الى قوله فضربوا بعطن اشارة
الى ان ابا بكر رضي الله عنه عند قمع اهل الردة وجمع شمل المسلمين وابتدا الفتوح ومهد الامر
ونمت ثمرات ذلك وتكاملت في زمن عمر رضي الله عنهما وعبقريه تروى باسكان الراء
وتخفيف الياء وكسر الراء وتشديد الياء وهما لغتان صحيحتان وانكر الخليل التشديد ومعناه
ومعناه لم ار شيئا يعمل عمله ويقطع قطعه واصل الفري بالاسكان القطع تقول العرب
تركته يفري الفري اذا عمل العمل فاجاد الفصل الثاني الاول ابن عمر رضي الله عنهما
قوله جعل الحق على لسان عمر ضمن جعل معنى اجرى فعداه بعلى وفيه معنى ظهور الحق
واستعلائه على لسانه وفي وضع الجعل والوضع معنى اجرى اشعار بان ذلك كان
خلقيا ثابتا مستقرا الثاني علي رضي الله عنه قوله ان السكينة تنطق اي لم نكن نبعد انه
ينطق بما يستحق ان يسكن اليه النفوس ويطمئن به القلوب وانه امر غيبي القي على لسانه و
يحتمل انه اراد بالسكينة الملك الذي يلهمه ذلك القول قيل اراد بها السكينة التي ذكرها
الله تعالى في كتابه العزيز قيل في تفسيرها انها حيوان له وجه كوجه الانسان مجتمع و
سائرها خلق رقيق كالريح والهواء وقيل هي صورة كالهرة كانت معهم في حروبهم فاذا
ظهرت انهزم اعداؤهم وقيل هي ما كانوا يسكنون اليه من الآيات التي اعطيها
موسى عليه السلام والاشبه بحديث عمر ان يكون من الصورة المذكورة اولا لعله انما حمل
على هذا القول لما اثبت للسكينة النطق لكن ما ذهب اليه الشيخ التوربشتي اولا اولى
فهو يحتمل وجهين احدهما ان يكون اسنادا مجازيا وذلك ان نزول السكينة لما كان
سببه نطقه بالحق اسند اليها وثانيهما ان يكون استعارة مكنية شبه السكينة بالمتكلم
يفصح عن الحق بسببها بليغا كما تقرر في موضعه ثم خيل لها ما به قوام المتكلم في الافصاح
من النطق ونسب اليها ليكون قرينة مانعة لارادة الحقيقة ونظيره في الوجهين قوله
تعالى ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم الكشاف الذكر الحكيم القران وصف بصفة

من

من نبوته سببه او كانه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه اسعى كلامه يعني الضمير في الحكيم راجع الى
القران فاسناد الحكيم اليه مجازي وذلك ان قائله لما كان حكيما وصف بصفته او شبه القران
بالشخص الذي ينطق بالحكمة فاثبت له النطق على الاستعارة المكنية فان قلت ما محل قوله
على لسان عمر وما موقعه قلت محله الحال وموقعه موقع الترشيح من الاستعارة كما في قول
من قال جلالك يا اخا الملوك حيث ساعيا على منبر المجد المؤثل خاطب وقول الآخر على
منبر العليا جدك يخطب والبلدة العذراء سيفك تخطب الثالث ابن عباس رضي الله عنهما
قوله اللهم اعز الاسلام اي قوه وانصره لقوله تعالى فعززنا بثالث اي قوينا ويقال
المطر يعزز الارض اذا لبدها وشدها وتعزز لحم الناقة قوله على النبي صلى الله عليه وسلم اماخبر
اي غدا مقبلا على النبي صلى الله عليه وسلم او ضمن غدا معنى اقبل نحو قوله تعالى فغدوا على
حرد قادرين روى الحاكم ابو عبد الله في دلائل النبوة عن ابن عباس ان ابا جهل قال ان من
قتل محمدا فله علي مائة ناقة والف اوقية من فضة فقال عمر الضمان صحيح قال نعم عاجلا غير
آجل فخرج عمر فلقيه رجل فقال اين تريد قال اريد محمدا لاقتله قال كيف تامن من بني هاشم
قال اني لاظنك قد صبوت قال الا اخبرك بالعجب ان اختك وختنك قد صبوا مع محمد فاقبل
عمر الى منزل اخته وكانت تقرأ سورة طه فوقف يستمع ثم قرع الباب فاخفوها فقال عمر ما هذه
الهيمنة فاظهرت الاسلام فبقي عمر حزينا كئيبا فباتوا كذلك الى ان قامت الاخت وزوجها
يقرآن طه ما انزلنا فلما سمع قال ناوليني الكتاب حتى انظر فيه فلما قرأه الى قوله الله لا اله
الا هو له الاسماء الحسنى قال اللهم ان هذا اهل ان لا يعبد سواه اشهد ان لا اله الا الله
واشهد ان محمدا رسول الله فبات ساهر العين ينادي في كل ساعة واشوقاه الى محمد حتى
اصبح فدخل عليه خباب بن الارت فقال يا عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بات الليلة
ساهرا يناجي الله عز وجل ان يعز الاسلام بك او بابي جهل وانا ارجو ان يكون دعوته
قد سبقت فيك فخرج متقلدا سيفه فلما وصل الى منزل قعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج
اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عمر اسلم او لينزلن الله بك ما انزل بالوليد بن المغيرة
فارتعد فرائص عمر ووقع السيف من يده وقال اشهد ان لا اله الا الله فقال اللات والعزى
تعبد على رؤوس الجبال وفي بطون الاودية ودين الله عز وجل يعبد سرا والله
لا يعبد الله سرا بعد يومنا هذا الرابع جابر رضي الله عنه قوله فلقد سمعت لقوله جواب

جواب قسم محذوف وقع جوابا للشرط على سبيل الاخبار كانه انكر عليه قوله يا
خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما طلعت الشمس على رجل خير
من عمر ونحوه من الاخبار والانكار وقوله تعالى فما بكم من نعمة فمن الله الخامس
بن بدح قوله ان كنت نذرت النبي صلى الله عليه وسلم انما مكنها من ضرب الدف
بين يديه لانها نذرت فعلك نذرها على انها عدت انصرافه على حال السلامة نعمة من الله
عليها فانقلب الامر فيه من صنعة اللهو الى صنعة الحق ومن المكروه الى المستحب ثم انه
لم يكره من ذلك ما يقع به الوفا بالنذر وقد حصل ذلك بادنى ضرب ثم عاد الامر في الزيادة
الى حد المكروه ولم ير ان يمنعها لانه لو صنعه صلى الله عليه وسلم لكان يرجع الى حد
التحريم فلهذا سكت عنها وحمد انتهاءها عما كانت فيه بمجي عمر رضي الله عنه اول فان
قلت كيف فسر امساكها عن ضرب الدف ههنا بمجي عمر ووصفه بقوله ان الشيطان ليخاف
منك يا عمر ولم يقرر انتهاء ابي بكر رضي الله عنه الجاريتين اللتين كانتا تغنيان ايام
منى قلت منع ابا بكر بقوله دعهما وعلله بقوله فانها ايام عيد وقرر ذلك ههنا فدل ذلك
على ان الحالات والمقامات متفاوتة فمن حالة تقتضي الاستمرار ومن حالة لا تقتضيه
السادس عايشة رضي الله عنها قوله لغطا اللغط الصوت الشديد الذي لا يفهم
ويزفن اي يرقص والزفن الرقص فارفض الناس عنها اي تفرق النظارة الذين كانوا
حول الحبشة الواقصة عنها لمهابة عمر رضي الله عنه والخوف عن انكاره عليهم وقوله ما بين
المنكب طرف لا انظر اي فيما بين لحذف في كما في قوله كما عسل الطريق الثعلب الفصل الثالث
الاول انس رضي الله عنه قوله وافقت ربي في ثلاث ما احسن هذه العبارة وما
الطفها حيث روعي فيها الادب الحسن ولم يقل وافقني ربي لان الايات انما انزلت
موافقة لرايه واجتهاده قوله في الخبر عن عايشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحب العسل والحلوا وكان اذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو
من احديهن فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس عندها اكثر ما كان يحتبس فغرت
فسالت عن ذلك فقيل لي اهدت لها امراة من قومها عكة من العسل فسقت النبي
صلى الله عليه وسلم منه شربة فقلت اما والله لنحتالن له الحديث فنزل لم تحرم ما احل الله لك
الثاني ابن مسعود رضي الله عنه قوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم اي لولا حكم منه

سبق

سبق باثباته فى اللوح وهو انه لا يعاقب الله احدا بخطأ وكان اخذهم الفدية
يوم بدر من الكفار خطأ فى الاجتهاد وقيل ان اهل بدر مغفور لهم قوله
وبرا ذلك فى ابى بكر باجتهاده حيث قال ابو بكر الانصار الائمة من قريش ثم
بايعه اول الناس الثالث ابو سعيد رضى الله عنه قوله الا عمر بن الخطاب فان قلت
فيلزم من هذا انه افضل من ابى بكر قلت تخصيصه صلى الله عليه وسلم ذاك الرجل اشارة
الى منهم والقصد فيه ان يجتهد ويتحرى كل واحد من امته ان تنال تلك الدرجة
وانما تنال بتقوى العمل وتحرى الاصوب من الاخلاق الفاضلة والاجتهاد فى الدين
والمواظبة على الحوادث ولم يشاهد هذه الخلال فى احد كما شوهدت منه رضى الله عنه
من اول حاله الى منتهاه وبهذا القياس ظنوا ان المشار اليه هو لا غيره ونحو
اخفاء ليلة القدر فى الليالى فلا يلزم من هذا ان يكون هو افضل من ابى بكر وايضا
يجوز ان يحمل على الخصوص ويؤيد التقرير الاول الحديث الذى يتلوه الرابع اسلم
قوله بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتمل وجهين اى بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
او بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الخلال وتعقيبه بقوله حين قبض اى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يدل على الاول لان المراد بيان ابتداء استمراره على تلك الحالات وبيانه عليها
حتى مضى لسبيله وتنازع فى قوله عمر لم جد واجود الخامس المسور وكانه يجزع اى ينسبه
الى الجزع ويلومه عليه ويقول له ما يسليه يدل عليه قوله ولا كل ذلك اى لا تبالغ فيما
انت فيه من الجزع قوله فهو من اجلك ومن اجل اصحابك كانه رضى الله عنه رجح جانب
الخوف على الرجاء لما استشعر من فتن تنتج بعده فى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجزع حزنا عليهم وترحما لهم ومن استغناء الله تعالى عن العالمين كما قال عيسى ان
تعذبهم فانهم عبادك وكانه جانب الخوف عليه غالبا فاستمر على ذلك هضما لنفسه
وانكسارا ولذلك نسب ما حصل له من الفضيلة الى منة الله تعالى وافضاله وفى الاستيعاب
ان عمر رضى الله عنه حين احتضر قال وراسه فى حجر ابنه ظلوم لنفسى غير انى مسلم
اصلى الصلوة كلها واصوم وطلاع الارض ما يلائها حتى يطلع ويسيل باب
مناقب ابى بكر وعمر رضى الله عنهما الفصل الاول الاول ابو هريرة رضى الله عنه قوله فانى
او من انا جزاء شرط محذوف اى فاذا كان الناس يستغربونه ويتعجبون منه فانى لا استغربه

وأومن به وقوله أنا وأبو بكر وعمر فإن قلت ما فائدة ذكر أنا وعطف ما بعده عليه وهلا عطف
على المستتر في أومن به وهو قوله أنا وأبو بكر وعمر مستغنيا عنه بالجار والمجرور قلت لو لم
يذكر أنا لاحتمل أن يكون وأبو بكر عطفا على محل إن واسمها والخبر محذوف فلا يدخل
في معنى التأكيد ويكون هذه الجملة واردة على التبعية ولا كذلك في هذه الصورة
إنما أراد بذلك تخصيصهما بالتصديق الذي بلغ عين اليقين وكوشف
صاحبه بالحقيقة التي ليس وراءها للتعجب مجال قوله فقال له الذئب فمن لها وفي
أصل المالكي فقال الذئب هذا استنقذتها مني فمن لها قال في هذا المتن وجه
أن يكون منادى أي يا هذا أجازه الكوفيون خلافا للكوفيين وقولهم الجيز أصح
لثبوتها في الفصيح كقول ذي الرمة إذا هملت عيني بها قال صاحبي بمثلك هذا
لوعة وغرام وأن يكون في موضع النصب على الظرفية مشارا به إلى اليوم والأصل
هذا اليوم استنقذتها مني وأن يكون في موضع نصب على المصدرية والأصل هذا
الاستنقاذ استنقذتها مني الأصل في السبع بضم الباء فسكنها على لغة بني تميم فإنه يسكنون
العين المضمومة من الأسماء والأفعال قوله فمن لها يوم السبع قال ابن الأعرابي
السبع بسكون الباء الموضع الذي إليه يكون المحشر يوم القيامة أراد من لها يوم القيامة
والسبع أيضا الذعر تقال سبعت فلانا إذا ذعرته وسبع الذئب الغنم إذا فرسها أي
من لها يوم الفزع وقيل هذا التأويل يفسده بقول الذئب في تمام الحديث يوم لا راعي
لها غيري والذئب لا يكون لها راعيا يوم القيامة وقيل أراد من لها عند الفتن
حين يتركها الناس هملا لا راعي لها نهبة للذئاب والسباع فجعل السبع لها
راعيا إذ هو منفرد بها ويكون حينئذ بضم الباء وهذا إنذار بما يكون من الشدائد و
الفتن التي يهمل الناس فيها مواشيهم فيستمكن منها السباع بلا مانع قال أبو موسى
بإسناده عن أبي عبيدة يوم السبع عيد كان لهم في الجاهلية يشتغلون بعيدهم
ولهوهم وليس بالسبع الذي يفترس الناس قال وأملاه أبو عامر العبدري الحافظ
بضم الباء وكان من العلم والإتقان بمكان الثاني ابن عباس رضي الله عنهما قوله وقد وضع
على سريره حملته حالية عن عمر والخطاب في يجعلك له والمراد بصاحبيه النبي صلى الله عليه وسلم
وأبو بكر واللام في لأني تعليل لقوله أن يجعلك الله تعالى صاحبيك أي يجعل معهما في

حالم العدس

في عالم القدس قوله كنت وابو بكر قال المالكي يتضمن الحديث صحة العطف على ضمير
الرفع المتصل غير منفصل بتوكيد او غيره وهو ما لا يجيزه النحويون في النثر الا على
ضعف ويزعمون بابه الشعر والصحيح جوازه نثرا ونظما ومن النثر ما تقدم من
قول علي رضي الله عنه وكذا قول عمر كنت وجار لي من الانصار ومنه قوله تعالى لو شاء الله
ما اشركنا ولا اباؤنا فان واو العطف فيه متصلة بضمير المتكلمين ووجوده لا يعد ما
لا اعتداد به لانها بعد العاطف ولانها زايدة اذ المعنى تام بدونها قوله لاني كثيرا ما
كنت كذا في صحيح البخاري وما فيه ابهامية موكدة وليس في جامع الاصول لفظة ما
فقوله كنت خبر ان وكثيرا ظرف زمان وعامله كان تقدم عليه نحو قوله تعالى قليلا
ما تشكرون وفي اكثر نسخ المصابيح وقع هكذا اني كثيرا ما كنت بزيادة من
الا ان يتعسف ويقال اني لاجد كثيرا ما كنت الفصل الثاني الاول ابو سعيد رضي الله
قوله وانعما اي زادا وفضلا يقال احسنت الي وانعمت اي زدت على الانعام
وقيل معناه صارا الى النعيم ودخلا فيه كما يقال اشمل اذا دخل في الشمال ومعنى قولهم
انعمت على فلان اي اصرت اليه نعمة اي زاد على تلك الرتبة والمنزلة وفي اكثر
نسخ المصابيح لمنهم واللام زايدة على الرواية فانه نقل في هذا الحديث عن كتاب
الترمذي وفيه منهم وانعما من غير لام اقول وكذا ايضا في سنن ابي داود وابن ماجة
وجامع الاصول بغير لام الثاني انس رضي الله عنه قوله سيدا كهول الجنة اعتبر
ما كانوا عليه في الدنيا والا لم يكن في الجنة كهل كقوله تعالى وآتوا اليتامى اموالهم الثالث
حذيفة رضي الله عنه قوله ما بقائي فيكم ما هي استفهامية معناه لا ادري كم مدة بقائي
فيكم اقليل ام كثير وفيه تعلوح الرابع الى السادس عبد الله قوله هذان السمع والبصر
اي هما في المسلمين بمنزلة السمع والبصر في الاعضاء ومنزلتهما في الدين منزلة السمع
والبصر في الجسد او هما مني في العزة كالسمع والبصر ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم سماهما بذلك
لشدة حرصهما على استماع الحق واتباعه وتهالكهما على النظر في الآيات المبثوثة
في الانفس والآفاق والتامل فيها والاعتبار بها السابع ابو سعيد رضي الله عنه
قوله فاما وزيراي من اهل السماء فجبريل وميكائيل فيه دلالة ظاهرة على فضله صلى الله
على جبريل وميكائيل والوزير من الوزر الثقل لانه يتحمل عن الملك اوزاره

ويؤيده قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام واجعل لي وزيرا من اهلي الثامن
ابو بكرة قوله فاستاءها لها استاء بوزن افتعل من السوء وهو مطاوع ساءه
يقال استاء فلان بمكان اي ساءه ذلك وروي فاستاء لها اي طلب تاويلها
بالتامل والنظر انما ساءه والله اعلم من الرؤيا التي ذكرها ما عرفه من تاويل
رفع الميزان فان فيه احتمالا لانحطاط رتبة الامر في زمان القائم به بعد عمر
رضي الله عنه عما كان عليه من النفاذ والاستعلاء والتمكن بالتاسد ويحتمل ان يكون
المراد من الوزن موازنة ايامهم لما كان يظهر فيها من رونق الاسلام وبهجته ثم
ان الموازنة انما تراعى في الاشياء المتقاربة مع مناسبة ما فيظهر الرجحان فاذا
تباعدت كل التباعد لم يوجد للموازنة معنى فلهذا رفع الميزان قوله خلافة نبوة
قيل اي انقضت خلافة نبوة يعني هذه الرؤيا دالة على ان الخلافة بالحق تنقضي وتنتهي
حقيقتها بانقضاء خلافة عمر رضي الله عنه اولا دل اضافة الخلافة الى النبوة على
ان لا يشوب منها طلب الملك والمنازعة فيه لاحد وكانت خلافة الشيخين على
هذا وكون المرجوحية انتهت الى عثمان رضي الله عنه دل على حصول المنازعة فيها
وان الخلافة في زمن عثمان وعلي رضي الله عنهما مشوبة بالملك واما بعدهما فكانت ملكا عضوضا
باب مناقب عثمان رضي الله عنه الفصل الاول الاول عائشة رضي الله عنها قوله كاشفا
عن فخذيه او ساقيه احتج به المالكية وغيرهم ممن يقول ليست الفخذ عورة ولا حجة
فيه لانه شك الراوي في المكشوف هل هما الساقان ام الفخذان فلا يلزم منه الجزم بجواز
كشف الفخذ والهشاشة هي البشاشة وطلاقة الوجه وحسن اللقاء وفيه فضيلة
ظاهرة لعثمان رضي الله عنه وان الحياء صفة جميلة من صفات الملائكة وفيه
دليل على توقير عثمان رضي الله عنه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لا يدل على
حط منصب ابي بكر وعمر رضي الله عنهما عنده صلى الله عليه وسلم وقلة الالتفات اليهما لان قاعدة
المحبة اذا كملت واشتدت ارتفع التكلف كما قيل اذا حصل الالفة بطل الكلفة وقوله
ان لا يبلغ الي في حاجته اي اخاف ان يرجع فلا يصل الي حتى اقضي حاجته الفصل
الثاني الاول والثاني عبد الرحمن قوله على جيش العسرة يريد جيش غزوة تبوك
وسميت جيش العسرة لانها كانت في زمان شدة الحر وجدب البلاد وكان المناهضة

الى العدو

الى عدو جم العدد شديد البأس والحلس كساء رقيق يجعل تحت البرذعة والقتب
للجهد كالاكاف لغيره يريد بجميع اسبابها وادواتها قوله ما على عثمان ما عمل بعد
هذه اى ما عليه ان لا يعمل بعد هذه من النوافل دون الفرائض لان تلك الحسنة
تكفيه عن جميع النوافل كما ذكر في حديث انس بن ابى مرثد الغنوى في آخر الفصل
في المعراج اقول فرق بين هذا التركيب وبين ذاك لان المذكور هناك فلا عليك ان
لا تعمل بعدها واسم لا ان مع ما بعدها وقد ذكرنا ان المراد منه انه لا يضره ان لا يعمل من النوافل
او لا عليه ان لا يعمل الجهاد في ذلك اليوم والمذكور هنا ما على عثمن ما عمل بعد هذه وما بمعنى ليس
تقتضى اسما وخبرا فاسمه ما عمل وما موصولة ولا يجوز ان يحمل على انها نافية يدل عليه قوله
في الحديث الذى تلوه ما ضر عثمن ما عمل بعد اليوم والمعنى فلا على عثمان بأس الذى عمل بعد
هذا من الذنوب فانها مغفورة مكفرة ونحوه قوله صلى الله عليه وسلم في حديث حاطب بن بلتعة لعل الله
قد اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم الثالث والرابع انس رضى الله عنه
قوله بيعة الرضوان هى البيعة التى جرت تحت الشجرة عام الحديبية سميت بيعة الرضوان
لما نزل في اهله قوله تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة الآية وقوله
حاجة الله وحاجة رسوله من باب قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله في ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بمنزلة عند الله ومكانة وان حاجته حاجة الله تعالى الله عن الاحتياج علوا
كبيرا الخامس ثمامة قوله شهدت الدار اى حضرت دار عثمان التى حاصروه فيها وبئر رومة
بضم الراء اسم بئر بالمدينة اشتراها عثمن رضى الله عنه ثم سبلها وقوله مع دلاء المسلمين هو
المفعول الثانى ليجعل اى يجعل دلوه مصاحبا وواحدا من دلاء المسلمين لا يختص بها دون المسلمين
وهو كناية عن الوقف والتسبيل والباء بخير باء البدل يتعلق بيشترى وليست مثلها في
قولهم اشتريت هذا بدرهم ولا في قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فالمعنى
من يشتريها بثمن معلوم ثم يبدل لها خيرا منها وماء البحر اى ماء فيه ملوحة كماء البحر والاضافة
فيه للبيان اى ماء يشبه ماء البحر قوله اللهم نعم قال المطرزى قد يؤتى باللهم ما قبل الا اذا
كان المستثنى عزيزا نادرا وكان قصدهم بذلك الاستظهار بمشية الله في اثبات كونه ووجوده
ايماء انه بلغ من الندرة حد الشذوذ وقيل كلمتى الجحد والتصديق في جواب المستفهم كقولهم
اللهم لا ونعم والتخصيص قرار الارض واسفل الجبل وقوله الله اكبر كلمة يقولها المتعجب

عند الزام الخصم وتبكيته وذلك انه لما اراد ان يظهر لهم انه على الحق وان خصماءه على الباطل
على طريق يلجيهم الى الاقرار بذلك اورد حديث تبييت مكة وانه من احد الشهيدين
مشيرا عنهم فاقروا بذلك واكدوا اقرارهم بقولهم اللهم وقال الله اكبر تعجبا وتعجيبا
وتجهيلا لهم واستبعادا لفعلهم ونظيره قوله تعالى هل يستويان مثلا الحمد لله بل اكثرهم
لا يعلمون كانه تعالى لما ضرب عابد الاصنام وعابد الله تعالى برجلين احدهما له شركاء
بينهم اختلاف وتنازع كل واحد منهم يدعي انه عبده فهم يتجاذبونه فهو متحير
في امره لا يدري ايهم يرضى بخدمته والآخر قد سلم لمالك واحد وخلص له فهو يلتزم
خدمته فهمه واحد وقلبه مجتمع واستفهمهم بقوله هل يستويان مثلا فلا بد لهم
بان يقولوا لا فقال اذا الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون السادس والسابع عائشة
رضي الله عنها قوله يقمصك قميصا استعار القميص للخلافة ورشحها بقوله على خلعه فلا
تخلعه لهم قال في اساس البلاغة ومن المجاز تقمصه الله وشي الخلافة وتقمص لباس العز
ومن هذا الباب قوله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري وقولهم المجد بين ثوبيه والكرم
بين برديه الثامن والتاسع ابو سهلة قد عهد الى عهدا اي اوصاني بقوله فان ارادوك
على خلعه فلا تخلعه لهم الفصل الثالث الاول عثمان رضي الله عنه قوله الله اكبر بعد ما
عد من الامور بمنزلة الله اكبر في الحديث السابق وانما اراد ان يلزم ابن عمر ويحط من منزلة
عثمان رضي الله عنه على الطريق المذكور فلما قال ابن عمر نعم قال الله اكبر تعجبا وتعجيبا واظهارا
لانجامه اياه ثم ان ابن عمر رضي الله عنهما لما نقض كل واحد مما بناه واقلعه من سنخه قال
بهكما اذهب بها اي بما جئت به وتمسك به بعد ما بينت لك الحق المحض الذي لا يستراب
فيه الثاني ابو سهلة قوله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الي امرا اي اوصاني بان اصبر ولا اقاتل
ولا يجوز ان تنال الوصية في قوله فان ارادوك على خلعه فلا تخلعه لهم فان ذلك يوهم
المقاتلة معهم للدفع فعلى هذا ينبغي ان يحمل الحديث الآخر في الفصل الثاني على هذا المعنى ليتفقا
الثالث ابو حبيبة قوله فمن لنا متوجه الى قوله اختلافا اي ستلقون اختلافا فامن الامير ومن
خرج عليه فمن تامرنا ان نتبعه ونلزمه فيكون لنا العاقبة لا علينا فاجاب عليكم بالامير واصحابه
والله اعلم باب مناقب هؤلاء الثلثة الفصل الاول الاول انس رضي الله عنه قوله نبي
وصديق وشهيدان وفي رواية البخاري اسكن فما عليك الا نبي او صديق او شهيد قال المالكي

او فيه

او فيه معنى الواو ومنه قول ابن عباس كل ما شئت واشرب ما شئت ما اخطأتك ثنتان
سرف او مخيلة اى سرف ومخيلة ونظايره عنده امن اللبس كثيرة منها قول الحماسي
قالوا لنا ثنتان لا بد منهما صدور رماح شرعت او سلاسل الثانى ابو موسى رضى الله عنه
قوله على بلوى تصيبه على هنا بمعنى مع اى بشره بالجنة مع بلوى تصيبه
اى اذا جعل على متعلقة بقوله بالجنة يكون المبشر به مركبا واذا جعل حالا من
ضمير المفعول كانت البشارة مقيدة بالاندار ولا يكون المبشر به مركبا وهو الظاهر
وعلى بمعناه ويؤيده قوله والله المستعان اى على ما انذرتنى به صلى الله عليه وسلم فان ما
اخبر به من البلاء يصيبنى لا محالة فبالله استعين على مرارة الصبر وشدة مقاساته
الفصل الثانى والثالث جابر رضى الله عنه قوله رجل صالح بيان للضمير المرفوع فى
ارى على سبيل التجريد نظيره قول ابن جنى لئن لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لتلقين منه
رجلا متناهيا فى الخير ورسولا جامعا لسبل الفضل فقد آل به الحال الى معنى التجريد كان
من الظاهر ان يقال رايت نفسى الليلة وابو بكر ينطف اي علق بجوده منه صلى الله عليه وسلم لكن نه
صلى الله عليه وسلم كتجبيبه رجلا صالحا او وضع رسول الله موضع ضمير رجلا تفخيما ونحو والله اعلم
باب مناقب على رضى الله عنه الفصل الاول سعد رضى الله عنه قوله
انت منى بمنزلة هرون من موسى كان هذا القول من النبى صلى الله عليه وسلم مخرجه
الى غزوة تبوك قد خلف عليا رضى الله عنه على اهله وامره بالاقامة فيهم فارجف به
المنافقون وقالوا ما خلفه الا استثقالا له وتخففا منه فلما سمع به على رضى الله عنه اخذ سلاحه
ثم خرج حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجرف فقال يا رسول الله زعم
المنافقون انك انما خلفتنى فقال كذبوا انما خلفتك لما تركت ورائى فارجع فاخلفنى فى اهلى
واهلك اما ترضى يا على ان تكون منى بمنزلة هرون من موسى تاول قوله سبحانه فقال
موسى لاخيه هرون اخلفنى فى قومى قال القاضى عياض هذا ما تعلقت به الروافض و
ساير فرق الشيعة فى ان الخلافة كانت حقا لعلى رضى الله عنه وانه وصى له بها
فكفرت الروافض ساير الصحابة بتقديمهم وغيره وزاد بعضهم فكفر عليا رضى الله عنه
لانه لم يقم فى طلب حقه وهؤلاء اسخف عقلا وافسد مذهبا من ان يذكر قولهم
ولا شك فى تكفير هؤلاء لان من كفر الامة كلها والصدر الاول خصوصا فقد ابطل

الشريعة وهدم الاسلام ولا حجة في الحديث لاحد منهم بل فيه اثبات فضيلة
لعلي ولا تعرض فيه بكونه افضل من غيره وليس فيه دلالة على استخلافه بعده
لان النبي صلى الله عليه وسلم انما قال هذا حين استخلفه على المدينة في غزوة تبوك
ويؤيد هذا ان هرون المشبه به لم يكن خليفة بعد موسى لانه توفي قبل
وفاة موسى بنحو اربعين سنة وانما استخلفه حين ذهب لميقات ربه للمناجاة
اقول تحريره من جهة علم المعاني ان قوله مني خبر المبتدأ ومن اتصالية ومتعلق الخبر خاص
والباء زائدة كما في قوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم به اي فان آمنوا ايمانا مثل ايمانكم يعني انت
متصل بي ونازل مني منزلة هرون من موسى وفيه تشبيه ووجه التشبيه مبهم لم يفهم انه رضي الله عنه
فيما شبهه به صلوات الله عليه فبين بقوله الا انه لا نبي بعدي ان اتصاله به ليس من جهة
النبوة فبقي الاتصال من جهة الخلافة لانها تلي النبوة في الرتبة ثم اما ان تكون في حيوته
او بعد مماته فخرج ان يكون بعد مماته لان هرون عليه السلام مات قبل موسى فتعين ان
تكون في حيوته عند مسيره الى غزوة تبوك قال بعض العلماء في قوله الا انه لا نبي بعدي دليل
على ان عيسى بن مريم اذا نزل نزل حكما من حكام هذه الامة يدعو بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
ولا ينزل نبيا الثاني والثالث سهل قوله يرجون ان يعطاها اعتبر في الاول معنى كلهم فجمع وفي
الثاني لفظة فافرد قوله اين علي اي اين علي ما لي لا اراه حاضرا فيستتم جوابهم هو يا رسول الله
يشتكي عينيه نحو قوله تعالى ما لي لا ارى الهدهد كانه صلى الله عليه وسلم استبعد غيبته
عن حضرته في مثل تلك المواطن لا سيما وقد قال صلى الله عليه وسلم لاعطين هذه الراية
غدا رجلا الى آخره وقد حضر الناس كلهم طمعا ان يكون هو الذي يفوز بذلك الوعد وتقديم
القوم الضمير وبناء تشتكي عليه اعتذار منهم على سبيل التاكيد وانفذ على رسلك اي
امض على رفق وسكون حتى تبلغ فنائهم وكانه صلى الله عليه وسلم استحسن قوله اقاتلهم حتى
يكونوا مثلنا واستجمع على ما قصده من مقابلته اياهم حتى يكونوا امثالهم مهتدين اعلاء
لدين الله ومن ثم حثه صلى الله عليه وسلم على ما نواه بقوله فوالله لان يهدي الله بك رجلا
وحمر النعم يراد به حمر الابل وهي اعز ما لهم وانفسها ويضربون بها المثل في نفاسة
الشيء وانه ليس هناك اعظم منه وتشبيه امور الآخرة باعراض الدنيا انما هو للتقريب
الى الافهام والا فعند ربي من الآخرة خير من الدنيا باسرها وامثالها الفصل الثاني

الاول

ثم ان قوله وهو ولي كل مؤمن اشارة الى قوله تعالى انما وليكم الله ورسوله والذين
آمنوا الى قوله ويؤتون الزكوة وهم راكعون الكشاف قيل نزلت في علي رضي الله عنه
فان قلت كيف يصح ان يكون لعلي واللفظ لفظ جماعة قلت جيء به ترغيبا للناس في مثل
فعله لينالوا مثل ثوابه ولينبه على ان سجية المؤمنين يجب ان يكون على هذه الغاية
من الحرص على البر والاحسان الثاني زيد قوله من كنت مولاه المولى يقع على جماعة
كثيرة فهو الرب والمالك والسيد والمنعم والمعتق والناصر والمحب والتابع والجار وابن
العم والحليف والعقيد والصهر والعبد والمعتوق والمنعم عليه واكثرها قد جاءت في الحديث
فيضاف كل واحد الى ما تقتضيه الحديث الوارد فيه وقوله من كنت مولاه يحمل على اكثر
هذه الاسماء المذكورة قال الشافعي رضي الله عنه يعني بذلك ولاء الاسلام كقوله تعالى
ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم وقول عمر لعلي اصبحت مولى
كل مؤمن اي ولي كل مؤمن وقيل سبب ذلك ان اسامة قال لعلي لست مولاي انما
مولاي رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه رض قالت الشيعة
هو المتصرف وقالوا معنى الحديث ان عليا رضي الله عنه يستحق التصرف في كل ما
يستحق الرسول صلوات الله عليه التصرف فيه ومن ذلك امور المؤمنين فيكون
اماما قلنا لا يستقيم ان يحمل الولاية على الامامة التي هي التصرف في امور المؤمنين
لان المتصرف المستقل في حيوته صلى الله عليه وسلم هو هو صلى الله عليه وسلم لا غير فيجب
ان يحمل على المحبة وولاء الاسلام ونحوهما الثالث حبشي قوله ولا يؤدي عني الا انا او علي
كان الظاهر ان يقال لا يؤدي عني الا علي فادخل انا تأكيدا لمعنى الاتصال في قوله
علي مني وانا منه كان من دأب العرب اذا كان بينهم مقاولة في نقض وابرام وصلح
ونبذ عهد ان لا يؤدي ذلك الا سيد القوم او من يليه من ذوي قرابته القريبة
ولا يقبلون ممن سواهم ولما كان العام الذي امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر
رضي الله عنه ان يحج بالناس رأى بعد خروجه ان يبعث عليا رضي الله عنه
خلفه لينبذ الى المشركين عهدهم ويقرأ عليهم سورة براءة وفيها انما المشركون
نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا الى غير ذلك من الاحكام
فقال قوله تفخيما تكريما له بذلك الرابع والخامس انس رضي الله عنه قوله يا حبت

خلقك اليك نحن وان كنا لا نحب بحمد الله فضل على رضى الله عنه وقدمه وسوابقه
في الاسلام واختصاصه برسول الله صلى الله عليه وسلم لقرابته القريبة ومواخاته اياه
في الدين وتمسك من حبه باقوى واولى ما يدعيه الغالون فيه فلسنا نرى ان نضرب
عن تقرير امثال هذا الحديث في نصابها صفحا لما نخشى فيها من تحريف الغالين و
تاويل الجاهلين وانتحال المبطلين وهذا باب امرنا بمحافظته وحمى امرنا بالذب عنه
وحقيق علينا ان ننصر فيه الحق ونقدم فيه الصدق وهذا حديث يريش به المبتدع
سهامه ويوصل به المنتحل جناحه ويتخذه ذريعة الى الطعن في خلافة ابي بكر رضي الله عنه
التي هي اول حكم اجمع عليه المسلمون في هذه الامه واقوم عماد اقيم به الدين بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنقول وبالله التوفيق هذا الحديث لا يقاوم ما اوجب تقديم ابي بكر
والقول بخيريته من الاخبار الصحاح منضما اليها اجماع الصحابة لمكان سنده فان فيه
لاهل النقل مقالا ولا يجوز حمل امثاله على ما يخالف الاجماع لاسيما والصحابي الذي يرويه
ممن دخل في هذا الاجماع واستقام عليه مدة عمره ولم ينقل عنه خلافه فلو ثبت عنه
هذا الحديث فالسبيل ان يأول على وجه لا ينتقض ما اعتقده ولا يخالف ما هو
اصح منه متنا واسنادا وهو ان يقال يحمل قوله باحب خلقك على ان المراد منه ائتني
بمن هو من احب خلقك اليك فيشاركه فيه غيره وهم المفضلون باجماع الامة وهذا مثل
قولهم فلان اعقل الناس وافضلهم اى من اعقلهم وافضلهم ومما يبين لك ان حمله
على العموم غير جائز هو ان النبي صلى الله عليه وسلم من جملة خلق الله ولا جائز ان يكون علي
احب الى الله منه فان قيل ذلك شيء عرف باصل الشرع قلنا والذي نحن فيه عرف ايضا
بالنصوص الصحيحة واجماع الامة فيتاول هذا الحديث على الوجه الذي ذكرناه او على
انه اراد به احب خلق الله من بني عمه وذويه وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يطلق
القول وهو يريد تقييده ويعم به ويريد تخصيصه ويعرفه ذوو الفهم بالنظر الى
الحال او الوقت او الامر الذي هو فيه اوله فالوجه الذي تقتضيه المقام هو
الوجه الثاني لانه صلى الله عليه وسلم كان يكره ان ياكل وحده لانه ليس من شيمة
اهل المروات فطلب من الله تعالى ان يبعث له من يواكله وكان ذلك برا واحسانا
منه اليه وابر المبرات بر ذوي الرحم وصلته كانه قال احب خلقك اليك من ذوي

القرابة

رابة القريبة ومن هو اولى باحسانی وبری اليه السادس والسابع علی رضی الله عنه
له وعلي بابها اهل الشيعة يتمسك بهذا التمثيل ان اخذ العلم والحكمة منه مختص به لا يتجاوز
غيره الا بواسطته رضي الله عنه لان الدار انما يدخل فيها من بابها وقد قال ليس البر
ن تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها ولا حجة
هم فيه اذ ليس دار الجنة باوسع من دار الحكمة ولها ثمانية ابواب الثامن جابر رضي الله عنه
له انتجاه قال قد تناجيا مناجاة والنجا اى ان الله امرني ان اناجيه اقول كان ذلك
من اسرار الهية وامور غيبية جعله من خزانتها قال تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله
ت التاسع ابو سعيد رضي الله عنه قوله لا يحل لاحد يجنب طاهره ان يجنب ليكون
علا لقوله لا يحل وفي المسجد ظرف ليجنب وفيه اشكال ولذلك اول ضرار بن صرد
ذكر في شرحه انه لا يحل لاحد يستطرقه جنبا غيري وغيرك وهذا انما يستقيم اذا
ل لجنب صفة لاحد ومتعلق الجار محذوف فيكون تقدير الكلام لا يحل لاحد يصيبه
جنابة يمر في هذا المسجد غيري وغيرك وكان مراده ما خاصة في المسجد اول و
اشارة بقوله في هذا المسجد يشعر بان له اختصاصا بهذا الحكم ليس لغيره من
المساجد وليس ذلك الا ان باب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح الى المسجد وكذا
ب علي كرم الله وجهه تدل حديث ابن عباس رضي الله عنهما في الفصل الثالث امر بسد الابواب
باب علي الفصل الثالث الاول الى الثالث على بن طني بالقاف وتشديد الواو المكسورة
الظاء المعجمة التقريظ مدح الحي ووصفه الرابع البراء رضي الله عنه قوله بغدير خم
وضم الخاء المعجمة وتشديد الميم اسم لغيضة على ثلثة اميال من الجحفة عندها غدير
شهور يضاف الى الغيضة قوله اني اولى بالمؤمنين من انفسهم يعني به قوله تعالى النبي
لى بالمؤمنين من انفسهم اطلق فلم يعرف باي شيء هو اولى من انفسهم ثم قيد بقوله وازواجه
هاتهم ليؤذن بانه بمنزلة الاب وازواجه بمنزلة الامهات ويؤيد قراءة ابن مسعود النبي
لى بالمؤمنين من انفسهم وهو اب لهم وقال مجاهد كل نبي فهو ابو امته ولذلك صار
مؤمنين اخوة فاذا وقع التشبيه في قوله من كنت مولاه فعلي مولاه في كونه كالاب فيجب على
امة احترامه وتوقيره وبره وعليه ان يشفق عليهم ويرأف بهم رأفة الوالد على الولد
لذلك هناه عمر بقوله هنيئا يا ابن ابي طالب اصبحت وامسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة

الخامس الى آخر الفصل على رضى الله عنه قوله فارغنى بها بالغين المعجمة اى وسع لى عيشى
فى حديث على ادفع لكما المعاش اى اوسع وعيش رافغ اى واسع باب مناقب العشرة
رضى الله عنهم الفصل الاول الاول عمر رضى الله عنه قوله بهذا الامر اى بالخلافة قاله يوم الشورى
عند وفاته وعلل الاحقية بقوله ورسول الله عنهم راض والحال انه صلى الله عليه وسلم كان راضيا
عن الصحابة كلهم فيحمل رضاه عنهم على الزيادة لكونهم من العشرة المبشرة بالجنة وكلهم
من قريش والائمة منهم الثانى والثالث جابر رضى الله عنه قوله وحوارى قال القاضى
عياض ضبطه جماعة من المحققين بفتح الياء المشددة وضبطه اكثرهم بكسرها المراد منه
الناصر وحوارى عيسى عليه السلام انصاره سموا بهم لانهم كانوا يغسلون الثياب فيحورونها
اى يبيضونها الرابع الزبير قوله جمع لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابويه اى فى الفدا بقوله لى
واعلاء لقدره وذلك لان الانسان لا يفدى الا من يعظمه فيبذل نفسه له وفى الحديث فاغفر
فداء لك ما اقتفينا اطلاق هذا اللفظ مع الله تعالى محمول على المجاز والاستعارة لانه انما يفدى
من المكاره من يلحقه فيكون المراد بالفداء التعظيم والاكبار الخامس والسادس سعد رضى الله عنه
قوله العرب التعريف فيه للجنس ورمى بصفة سهم له فهو كقوله ولقد امر على اللئيم يسبنى السابع
عائشة رضى الله عنها قوله مقدمه مصدر ميمى ليس بظرف لعمله فى المدينة ونصبه على الظرفية
على تقدير مضاف وهو الوقت او الزمان وليلة بدل البعض من المقدر اى سهر ليلة من
الليالى وقت قدومه المدينة من بعض الغزوات الثامن انس قوله وامين هذه الامة اى
اى الثقة المرضى والامانة مشتركة بينه وبين غيره من الصحابة لكن النبى صلى الله عليه وسلم
خص بعضهم بصفات غلبت عليه وكان بها اخص التاسع والعاشر ابو هريرة رضى الله عنه قوله
اهدأ بالهمز اى اسكن وقوله او شهيد يريد به الجنس لان المذكور فى الحديث بعد الصديق
كلهم شهداء وفى الحديث معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم باخباره ان هؤلاء شهداء فقتل
عمر وعثمن وعلى رضى الله عنهم مشهور وقتل الزبير بوادى السباع بقرب البصرة منصرفا
تاركا للقتال وكذلك طلحة اعتزل الناس تاركا للقتال فاصابه سهم فقتله وقد ثبت ان
من قتل ظلما فهو شهيد وفيه بيان فضيلة هؤلاء وفيه اثبات التمييز فى الحجارة وجواز
التزكية الفصل الثانى الاول الى الثالث الزبير قوله فنهض الى الصخرة اى فقام منتهيا
الى الصخرة ليستوى عليها فلم يستطع لثقل درعه قوله اوجب طلحة معناه اوجب طلحة
لنفسه

لنفسه الجنة نفعله هذا او بافعل في ذلك اليوم فانه خاطر بنفسه يوم احد وفدى بها رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجعلها وقاية له حتى طعن دونه وجرح جميع جسده واصيب ببضع وثمانين
جراحة الرابع جابر رضي الله عنه قوله وقد قضى نحبه النحب النذر والنحب المدة و
الوقت ومنه يقال قضى فلان نحبه اذا مات وعلى المعنيين يحمل قوله سبحانه فمنهم من
قضى نحبه فعلى الذي اي نذره فيما عاهدوا الله عليه من الصدق في مواطن القتال
والنصر لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الموت اي مات في سبيل الله وذلك انهم عاهدوا
الله ان يبذلوا نفوسهم في سبيله فاخبر ان طلحة ممن وفى بنذره اوممن ذاق
الموت في سبيله وان كان حيا يدل عليه الرواية الاخرى من سره ان ينظر الى
شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة وكان طلحة قد جعل نفسه يوم
احد وقاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول عقرت يومئذ في سائر جسدي
حتى عقرت في ذكري وكانت الصحابة رضوان الله عليهم اذا ذكروا يوم احد قالوا
ذلك يوم كان كله لطلحة انتهى كلامه وفي معنى قوله من احب ان ينظر الى رجل يمشي
على وجه الارض وقد قضى نحبه قال شيخ الاسلام ابو حفص السهروردي ان هذا
ليس على سبيل المجاز مخبرا به التعبير بالحال عن المآل بل هو ظاهر في معناه جلي من حيث
فحواه اذ الموت عبارة عن الغيبوبة عن عالم الشهادة وقد كان هذا حاله من الانجذاب
بكليته الى عالم الملكوت وهذا انما يستتب بعد احكام المقدمات من كمال التقوى
والزهد في الدنيا والخروج من الارتهان بنظر الخلق واستطاعة صفوة الاخلاص
وكمال الشغل بالله عز وجل بتناوب اعمال القلب والقالب وصدق العزيمة في العزلة
واغتنام الوحدة والفرار من مساكنة الانس بالجلساء والاخوان الخامس الى الثامن
علي رضي الله عنه الحزورة هو الذي قارب البلوغ والجمع الحزاورة التاسع جابر رضي الله عنه
قوله وفي المصابيح فليكرمني الفاء فيه على تقدير الشرط في الكلام فان الاشارة بعدها لمزيد التمييز
وكمال التعيين فهي كالاكرام له اي انا اكرم خالي هذا واذا كان كذلك فليتبع كل سني وليكرمني
احد خاله وعلى رواية المشكوة كما في الترمذي والجامع تقديره انا امتاز خالي كمال التمييز
تعيين لاباهي به الناس وليرني كل امرئ خاله مثل خالي نحوه في التمييز قول الشاعر
اولئك آبائي فجئني بمثلهم اذا جمعتنا يا جرير المجامع الفصل الثالث الاول قيس

قوله الا الحُبلَة وورق السمر قال ابو عبيد هما ضربان من الشجر وقال ابن اعرابي الحبلة
ثمر السمر شبه اللوبيا وقيل الحبلة ثمر العضاه ومعنى قوله كما تضع الشاة انه يخرج
بعرا ليبسه وعدم الغذاء المألوف وماله خلط اى لا يختلط بعضه ببعض لجفافه ويبسه
وان فى ان كان هى المخففة واللام هى الفارقة قوله تُعزّرني التعزير الاعانة والتوقير
والنصرة مرة بعد مرة واصل التعزير المنع والرد وكان من نصرته قد رددت عنه
اعداءه ومنعتهم من اذاه ولهذا قيل للتاديب الذى هو دون الحد تعزير لانه يمنع
الجانى ان يعاود الذنب فهو من الاضداد ومنه حديث سعد اصبحت بنو اسد
يعزرني على الاسلام اى توقفني عليه وقيل توبخني على التقصير فيه اقول عبر عن
الصلوة بالاسلام كما عبر عنها بالايمان فى قوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم اى انا
بانها عماد الدين وراس الاسلام واراد بقوله لقد خبت اذن وضل عملي اى مع سابقتي
فى الاسلام وتقدمي مع صدق قدمي فى الدين اذا لم احسن الصلوة وافتقر الى تعليم بني
اسد اياى اكون خاسرا ضالا قوله وَشُوا به نقلوا وشى به يشي وشاية اذا نم عليه وسعى
به فهو واش وجمعه وشاة الثانى سعد قوله وانا ثالث الاسلام وما اسلم احد ولقد مكثت
احوال متخللة يعنى يوم اسلمت كنت ثالث ممن اسلم فاكون ثلث اهل الاسلام وبقيت
على ما كنت عليه سبعة ايام ثم اسلم بعد ذلك من اسلم الثالث عائشة رضى الله عنها
قوله الا الصابرون جعل الصابر فاعلا ليصبر وعداه بعلى ليؤذن بان الامر صعب وفيه
مشقة وتحمل المشقة لهوى النفس لا يتمكن منه الا الصابر الصدوق وانه لم يصبر عليك
الا من كان له كمال الصبر والثبات فيه ومن له قدم صدق فى الصدق ولعلها انما قرنت
هذا بالمتصدق نظرا الى قوله تعالى ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله
وتثبيتا من انفسهم فان المصدق انما يصدق ابتغاء مرضات الله وان الصابر الذي
يلف نفسه ببذل المال الذى هو شقيق الروح وبذله اشق شيء على النفس من سائر العبادات
الشاقة ومن الايمان وانما يحملها عليها تثبيتا لها على الايمان واليقين وتحقيقا للجزاء
من اصل نفسه فان قلت فمن اين دل قوله ولن نصبر عليكم الا الصابرون على المتصدق
وما وجه دلالته عليه فان هذا مجاز ولابد له من العلاقة ولذلك ورد عقيب قوله
ومما يعنيني ان جل همه صلوات الله عليه كان مصروفا الى نفقاتهن لانه صلى الله عليه وسلم
لم يترك

لم يترك ميراثا ولا هن آثرن الحيوة الدنيا على الآخرة حين خيرن واما وجه
دلالته فان تعديه بعلى يشعر بلحوق المضرة والمشقة بالصابر ولم
يلحق الامة منهن بالمضرة الا لكونهن معسرات يجب عليها ان له اعسارهن
بالتصريح وفي الكلام ايجاز اى ما يهمني من بعدى وهو امر صعب ولن يصبر
عليه الا الصابر فوضع موضع الامر ضميرهن مبالغة وان الصبر على الانفاق عليهن
الصبر عليهن وقوله وكان ابن عوف من كلام الراوى حال من عايشة والعامل
قالت وفيه دلالة بينة على فضل التصدق لاسيما الاحسان والبر الى اهل البيت
على فضل عبد الرحمن رضى الله عنه الرابع ام سلمة قوله يحثو عليكن اى يكثر و
عليكن ما تنفقن فا في حديث عمر رضى الله عنه قال ابن عباس دعاني عمر فاذا
حصير بين يديه عليه الذهب منثور نثر الحثا فامر في تقسيمه وهو دقاق التبن
ن الريح يحثوه انتهى كلامه وفيه مبالغة في الجود والانفاق عليهن ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
ث حثيات من حثيات ربي تبارك وتعالى وهو كناية عن المبالغة في الكثرة ولعمري
مما بعض انفاقه عليهن حديقة بيعت باربعين الفا قوله من سلسبيل الجنة
عين سميت به لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها قال شراب سلسبيل وسلسال
سلسبيل وقد زيدت اليا في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية ودلت على غاية السلاسة
قوله اللهم اسق دعا له قبل ان يصدر عنه ما صدر من الحثي كانه صنع الصنيعة فشكر
عاله ومن هنا دعت الصديقة رضى الله عنها له بهذا الدعاء حين تصدق على امهات
منين بالحديقة وفيه معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الخامس حذيفة رضى الله عنه قوله
امين فيه توكيد والاضافة نحو ما نحو ان زيدا لعالم حق عالم وجد عالم اى عالم حقا وجدا
عالم يبالغ في العلم جدا ولا يترك من الجد المستطاع منه شيئا ومنه قوله تعالى وجاهدوا
ه حق جهاده اى جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة
ه فاستشرف لها الضمير للامارة اى طمعوا فيها وتوقعوا نيلها وفي الحديث ما جاءك
هذا المال وانت غير مستشرف له فخذه يقال اشرفت الشئ علوته واشرفت عليه اطلعت
من فوق اراد ما جاءك منه وانت غير متطلع عليه ولا طامع فيه السادس على رضى الله عنه
ن تؤمروا ابا بكر يعني الامر مفوض اليكم ايتها الامة لانكم امناء مجتهدون مصيبون

فى الاجتهاد ولا يجتمعون الا على الحق وهؤلاء المذكورون كالحلقة المفرغة

لا يدرى ايهم اكمل فيما يدل اليه مما يستحق به الامارة وفى تقدم ابى بكر رضى الله عنه

بالذكر ايماء الى تقدمه ولم يذكر عثمان رضى الله عنه صريحا ولكن فى قوله فى عمر رضى الله عنه

ولا اراكم فاعلين اى فاعلين بعد عمر اشارة الى انه المقدم عليه او ذكره صلى الله عليه وسلم

وسقط من قلم الكاتب قوله لا يخاف فى الله لومة لائم تشرح عليه حالة واللومة

المرة من اللوم وفيها وفى التنكير مبالغتان كانه قيل لا يخاف ساقط من لوم

احد من اللوام السابع على رضى الله عنه قوله تركه الحق وماله من صديق الجملة

مبنية لقوله تقول الحق وان كان مرا لان تمثيل الحق بالمرارة يوذن باستشباع

الناس من سماع الحق استشباعهم من ذوق العلقم فيقل لذلك صديقه وقوله

وماله من صديق حال من المفعول هذا اذا جعل ترك بمعنى خلى واذا ضمن معنى

صير كان هذا مفعولا ثانيا والواو فيه كما فى قول الحماسى غدا والليث غضبان زباب

مناقب اهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم اهل الرجل من يجمعه واياهم

نسب او دين او ما يجرى مجراهما من صناعة وبيت وبلد فاهل الرجل فى الاصل

من يجمعه واياهم مسكن ثم تجوز به وقيل اهل بيت الرجل لمن يجمعه واياهم نسب

وتعورف فى اسرة النبى وعترته مطلقا اذا قيل اهل البيت لقوله عز وجل انما يريد وعشيرته

الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت وعبر باهل الرجل عن امراته واهل الاسلام

الذين يجمعهم دين محمد صلوات الله عليه الفصل الاول الاول والثانى عائشة رضى الله عنها

قوله مرط مرحل المرط واحد المروط وهى الاكسية من خز او صوف له علم والمرحل بالحاء

المهملة الذى قد نقش فيه تصاوير الرحال قوله عنكم الرجس استعار للذنوب الرجس

وللتقوى الطهر لان عرض المقترف للمقبحات يتلوث بها ويتدنس كما يتلوث بدنه

بالارجاس واما المحسنات فالعرض منها نقى مصون كالثوب الطاهر وفى هذه الاستعارة

ما ينفر اولو الالباب عما كرهه الله لعباده ونهاهم عنه ويرغبهم فيما رضيه لهم وامرهم به

واهل البيت نصب على النداء وعلى المدح وفى هذا دليل بين على ان نساء النبى صلى الله عليه وسلم

من اهل بيته ايضا لانه مسبوق بقوله يا نساء النبى لستن كاحد من النساء الثالث البراء

قوله موضعا فى الجنة هذا يروى على وجهين احدهما موضعا بفتح الميم اى رضاعا

والآخر

والآخر مضمومة الميم اى من يتم رضاعه فى الجنة يقال امراة مرضع بلا تاء
وارضعت المراة فهى مرضعة اذا بنيت الاسم من الفعل واصوب الروايتين
الفتح لان العرب اذا ارادوا الفعل الحقوا به تاء التانيث واذا ارادوا انها ذات رضيع
اسقطوا الهاء فقالوا امراة مرضع بلا تاء ولما كان المراد من هذا اللفظ ان الله
يتمم له من لذات الجنة وروحها ما يقع منه موقع الرضاع فانه كان رضيعا
لم يستكمل مدة الرضاع كان المصدر فيه اقوم واصوب ولو كان على ما ذكر فى الرواية
لكان من حقه ان يلحق به هاء التانيث اقول هذا اذا اريد تصوير حالة الارضاع
والقام المرضعة الثدى فى فى الصبى مشاهدة السامع كانه ينظر اليها والا فلا الا ترى
فى قوله تعالى يذهل كل مرضعة عما ارضعت فان قلت لم قيل مرضعة دون مرضع
قلت المرضعة التى هى فى حال الارضاع ملقمة ثديها الصبى والمرضع التى
شانها ان ترضع وان لم تباشر الارضاع فى حال وصفها به فقيل مرضعة ليدل
على ان ذلك الهول اذا فوجئت به هذه وقد القمت الرضيع ثديها نزعته عن
فيه لما يلحقها من الدهشة عما ارضعت عن ارضاعها او عن الذى ارضعته
وهو الطفل ووجهه القاضى فى شرحه مجيبا عنه بقوله او ان له من يتم
مقام المرضعة فى المحافظة والانس الرابع عائشة رضى الله عنها قوله عنده
حين كان وازواج النبى نصب على النداء على سبيل الاختصاص او تفسير للضمير
المبهم على تقدير اعنى قوله لما اخبرتيني لما فيه معنى الا يعنى ما اطلب منك الا اخباركِ
اياى بما سارك فى انشدك بالله الا فعلت قوله يعارضنى القرآن اى يدارسني جميع
جميع ما نزل من القرآن من المعارضة المقابلة ومنه عارضت الكتاب بالكتاب اى
قابلته به قوله انا لك مخصوص بالمدح ولك بيان كانه لما قيل نعم السلف انا قيل لك
الخامس المسور قوله بضعة منى البضعة بالفتح القطعة من اللحم وقد يكسر اى
انها جزء منى كان القطعة من اللحم قوله يريبني ما ارابها رابنى الشئ واراب
بمعنى شككنى واوهمنى فاذا استيقنته قلت بغير الف معناه يسوؤنى ما يسوءها
ويزعجنى ما ازعجها اول الحديث قال المسور سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر
ان بنى هشام بن المغيرة استاذنونى فى ان ينكح على ابنتى ابى طالب ولا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن

الا ان يريد ابن ابي طالب ان يطلق ابنتي وينكح ابنتهم فانما هي بضعة مني
يريبني الحديث ح قالوا في الحديث تحريم ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم بكل حال
وعلى كل وجه وان تولد الايذاء على كل وجه مما كان اصله مباحا وهو من خواص
صلوات الله عليه وهو لوجهين احدهما ان ذلك يؤدي الى اذى فاطمة فيتأذى
حينئذ النبي صلى الله عليه وسلم فيهلك علي رضي الله عنه من اذاه فنهى عن ذلك لكمال
شفقته على علي وثانيهما خاف الفتنة عليها بسبب الغيرة وقيل ليس المراد بقوله
لا آذن النهي عن جمعهما بل معناه انه صلى الله عليه وسلم علم ان من فضل الله تعالى انهما
لا يجتمعان كما قال انس والله لا يكسر ثنيته السادس زيد قوله الثقلين ن الثقل المتاع
المحمول على الدابة وانما قيل للجن والانس الثقلان لانهما قطان الارض فكانهما ثقلاها
وقد شبه بهما الكتاب والعترة في ان الدين يستصلح بهما ويعمر كما عمرت الدنيا بالثقلين
سماهما ثقلين لان الاخذ بهما والعمل ثقيل وقيل في تفسير قوله تعالى انا سنلقي عليك
قولا ثقيلا اي اوامر الله ونواهيه لانه لا يؤدى الا بتكلف ما يثقل وقيل قولا ثقيلا اي
له وزن وسمي الانس والجن الثقلين لانهما فضلا بالتمييز على سائر الحيوان وكل شيء له
وزن وقدر يتنافس فيه فهو ثقيل قوله اذكركم الله في اهل بيتي اي احذركم الله
في شان اهل بيتي واقول لكم اتقوا الله ولا تؤذوهم فاحفظوهم فالتذكير بمعنى الوعظ يدل
عليه قوله ووعظ وذكر السابع ابن عمر رضي الله عنه قوله يا ابن ذي الجناحين ش لما راى
جعفرا يطير مع الملائكة لقبه بذي الجناحين ولذلك سمي طيارا ايضا الثامن والتاسع ابو هريرة
رضي الله عنه قوله في طائفة من النهار ح المراد به قطعة منه وخباء فاطمة بكسر الخاء المعجمة
والمد اي بيتها اولا هو من المجاز على نحو استعمال المشفر والجحفلة على الشفة والمرسن
على الانف وفي رواية المجباة هو المخدع وفي بعض نسخ المصابيح خباب فاطمة والظاهر انه
مغير قوله اثم لكع ن اللكع عند العرب العبد ثم استعمل في الحمق والذم يقال للرجل لكع
وللمرأة لكاع وقد لكع الرجل يلكع لكعا فهو الكع واكثر ما يقع في النداء وهو اللئيم
وقيل الوسخ وقد يطلق على الصغير ومنه الحديث انه صلى الله عليه وسلم جاء يطلب الحسن بن
علي قال اثم لكع فان اطلق على الكبير اريد به الصغير العلم والعقل ش المراد بهذا
الاستصغار الرحمة والشفقة كالتصغير في يا حميرا ح فيه استحباب ملاطفة الصبي و

معانقته

معانقته ومداعبته رحمة ولطفا واستحباب التواضع مع الاطفال وغيرهم العاشر ابو بكرة
قوله ان ابني هذا سيد كفى به شرفا وفضلا فلا اسود ممن سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم
سيدا وقوله ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين انما وصفهما بالعظيمتين لان
المسلمين كانوا يومئذ فرقتين فرقة معه وفرقة مع معاوية وكان الحسن رضي الله عنه
احق الناس بهذا الامر فدعاه ورعه وشفقته على امة جده صلى الله عليه وسلم الى ترك
الملك والدنيا رغبة فيما عند الله ولم يكن ذلك لعلة ولا لذلة فقد بايعه على الموت اربعون
الفا وقال والله ما احببت منذ علمت ما ينفعني ويضرني ان لي امر امة محمد صلى الله عليه وسلم
على ان يهراق في ذلك محجمة دم وشق ذلك على بعض شيعته حتى حملته العصبية على
ان قال عند الدخول عليه السلام عليك يا عار المومنين فقال العار خير من النار وفي الحديث
دليل على ان واحدا من الفريقين لم يخرج بما كان منه في تلك الفتنة من قول او فعل عن ملة
الاسلام لان النبي صلى الله عليه وسلم جعلهم كلهم مسلمين مع كون احدى الطائفتين مصيبة
والاخرى مخطئة وهكذا سبيل كل متاول فيما يتعاطاه من راي ومذهب اذا كان له فيما
يتناوله شبهة وان كان مخطئا في ذلك ومن هذا اتفقوا على قبول شهادة اهل البغي و
نفوذ قضاء قاضيهم واختار السلف ترك الكلام في الفتنة الاولى وقالوا تلك دماء طهر الله
عنها ايدينا فلا نلوث به السنتنا والله اعلم الحادي عشر عبد الرحمن قوله قال اهل العراق
حال من سمعت وقد مقدرة والاصل سمعت قول عبد الله وقوله وساله رجل عن المحرم ايضا
حال وقوله قال شعبة احسبه يقتل الذباب قول بعض الرواة بتفسير سوال الرجل واستفهامه
اي ما سال في شان المحرم يقتل الذباب قوله هما ريحاني من الدنيا اي من رزق الله الذي
رزقنيه يقال سبحان الله وريحانه اي اسبح الله واسترزقه وهو مخفف من ريحان مشددا
فيعلان من الروح لان انتعاشه بالرزق ويجوز ان يراد بالريحان المشموم لان الشمامات يسمى
ريحانا يقال حباه بطاقة نرجس وبطاقة ريحان فيكون المعنى وانهما مما اكرمني الله به وحباني
لان الاولاد يشمون ويقبلون فكانهم من جملة الرياحين التي انبتها الله تعالى اقول موقع
من الدنيا ههنا كموقعها في قوله صلى الله عليه وسلم حبب الي من الدنيا الطيب والنساء اي نصيبي ونصيب
ريحاني على المدح الثاني والثالث عشر عن انس قوله علمه الحكمة الظاهر ان يراد بها السنة لانها اذا قرنت
بالكتاب يراد بها السنة قال تعالى يعلمهم الكتاب والحكمة الحكمة عبارة عن معرفة افضل الاشياء

بافضاء العلوم والحكيم الذى لحكم الاشياء ونشئها الرابع عشر ابن عباس رضى الله عنهما قوله
تفقهه فى الدين فيه فضيلة الفقه واستجاب الدعاء لمن عمل خيرا وقد اجاب الله
تعالى دعاءه فى حقه فكان من الفقه بالمحل الاعلى الخامس عشر اسامة رضى الله عنه قوله
ثم يضمهما كذا فى المصابيح وجامع الاصول فيه التفات من التكلم الى الغيبة السادس عشر
عبد الله قوله وايم الله ان كان لخليقا اى والله ان البيان وفى اصل المالكى والله لقد كان
خليقا للامارة وان كان من احب الناس الى قال استعمل ان المخففة المتروكة العمل عاريا
ما بعدها من اللام الفارقة لعدم الحاجة اليها وذلك لانه اذا خففت ان صار لفظها
كلفظ ان النافية فيخاف التباس الاثبات بالنفى عند ترك العمل فالتزموا اللام
المؤكدة مميزة لها ولا تثبت ذلك الا فى موضع صالح للاثبات والنفى نحو ان علمتك
لفاضلا فاللام هنا لازمة اذ لو حذفت مع كون العمل متروكا وصلاحية الموضع
للنفى لم يتيقن الاثبات فلو لم يصلح الموضع للنفى جاز ثبوت اللام وحذفها فمن الحذف
قول عبد الله بن بسر ان كنا فرغنا فى هذه الساعة وقول عائشة رضى الله عنها ان كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثنا وما لنا طعام الا السلف من التمر ومنه قول
الشاعر اخى ان علمت الجود للحمد مبتغيا وللوقت مثبتا وللمال مغنيا وشواهد كثيرة
وههنا نكتة وهى ان اللام الفارقة اذا كان بعد ما ولى ان نفى واللبس مأمون فحذفها
واجب كقول الشاعر ان الحق لا يخفى على ذى بصيرة وان هو لم يعدم خلاف معاند
ولما غفل النحويون عن هذه الشواهد وان حذف اللام عند الاستغناء عنها
جائز بل واجب التزموا ثبوت اللام قوله قد كنتم طعنتم هذا الجزاء انما ترتب على الشرط
بتاويل التنبيه والتوبيخ اى طعنكم الآن فيه سبب لان اخبركم ان ذلك من عادة
الجاهلية وبجيرانهم ومن ذلك طعنكم فى ابيه من قبل نحو قوله تعالى ان يسرق فقد
سرق اخ له من قبل انما طعن من طعن فى امارتهما لانهما كانا من الموالى وكانت
العرب لا ترى تامير الموالى وتستنكف عن اتباعهم كل الاستنكاف فلما جاء الله بالاسلام
ورفع قدر من لم يكن له عندهم قدر بالسابقة والهجرة والعلم والتقى عرف حقهم المحفوظون
من اهل الدين فاما المرتهنون بالعادة والممتحنون بحب الرياسة من الاعراب
ورؤساء القبائل فلم يزل يختلج فى صدورهم شئ من ذلك لا سيما اهل النفاق فانهم
كانوا

كانوا يسارعون الى الطعن وشدة النكير عليه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد بعث زيد بن حارثة رضى الله عنه اميرا على عدة السرايا واعظمها جيش
مؤتة وسار تحت رايته فى تلك الغزوة نجباء الصحابة منهم جعفر بن ابى طالب صلى الله عليه
وكان حلقا بذلك لسوابقه وفضله وقربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم كان يبعث اسامة وقد امره فى مرضه على جيش فيهم جماعة من مشيخة
الصحابة وفضلائهم رضى الله عنهم وكانه راى فى ذلك سوى ما توسم فيه من
النجابة ان يمهد الامر ويوطئه لمن يلى الامر بعده لئلا ينزع احد يدا من طاعته
وليعلم كل منهم ان العادات الجاهلية قد عميت مسالكها وخفيت معالمها السابع
عبد الله قوله ادعوهم لآبائهم اى انسبوهم الى آبائهم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تبنى
زيدا ودعاه ابنه وكانت العرب تتبنى مولاه او غيره فيصير بمنزلة بنوة وينسب اليه
حتى نزلت الآية فرجع كل انسان الى نسبه الفصل الثانى الاول جابر رضى الله عنه
قوله وعترتى اهل بيتى عترة الرجل اهل بيته ورهطه الادنون ولاستعمالهم العترة
على انحاء كثيرة بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل بيتى ليعلم انه اراد بذلك نسله
وعصابته الادنين وازواجه الثانى زيد رضى الله عنه قوله ما ان تمسكتم به ما موصولة و
الجملة الشرطية صلتها وامساك الشئ التعلق به وحفظه قال تعالى يمسك السماء ان تقع على
الارض واستمسك بالشئ اذا تحرى الامساك به ولهذا لما ذكر التمسك عقبه بالمتمسك به
صريحا وهو الحبل فى قوله كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وفيه تلويح الى
معنى قوله تعالى ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه كان الناس
واقعون فى مهواة طبيعتهم مشتغلون بشهواتها وان الله تعالى يريد بلطفه رفعهم
فتدلى حبل القرآن اليهم ليخلصهم من تلك الورطة فمن تمسك به نجا ومن اخلد الى الارض
هلك ومعنى التمسك بالقرآن العمل بما فيه وهو الايتمار باوامره والانتهاء عن نواهيه و
التمسك بالعترة محبتهم والاهتداء بهديهم وسيرتهم وفى قوله انى تارك فيكم
اشارة الى انهما بمنزلة التوامين الخليفتين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه يوصى الامة
بحسن المخالفة معهما وايثار حقهما على انفسهم كما يوصى الاب المشفق الناس فى حق اولاده
ويعضده الحديث السابق فى الفصل الاول اذكركم الله فى اهل بيتى كما يقول الاب

المشفق انشدكم الله في حق اولادي ومعنى كون احدهما اعظم من الآخر ان القرآن هو الاسوة
الحسنة وعليهم الاقتداء به وهم اولى الناس بالعمل بما فيه ولعل السر في
هذه التوصية واقتران العترة بالقرآن وايجاب محبتهم لا يخلو من معنى قوله تعالى
قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى فانه تعالى جعل شكر انعامه واحسانه
بالقرآن منوطا بمحبتهم على سبيل الحصر فكانه صلوات الله عليه يوصي الامة بتعليم
الشكر وقيد تلك النعمة به ويحذرهم عن الكفران فمن اقام بالوصية وشكر تلك الصنيعة
بحسن الخلافة فيهما لن يتفرقا فلا يفارقانه في مواطن القيامة ومشاهدها حتى يردا الحوض
فيشكرا صنيعه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فحينئذ هو بنفسه يكافيه والله تعالى
يجازيه بالجزاء الاوفى ومن اضاع الوصية وكفر النعمة فحكمه على العكس وعلى هذا
التاويل حسن موقع قوله انظروا كيف تخلفوني فيهما والنظر بمعنى التامل و
التفكر اي تاملوا واستعملوا الروية في استخلافي اياكم هل تكونون خلف صدق
او خلف سوء وان استغربت قولي لا يفارقانه في مواقف الحشر حتى يردا على الحوض
فكيف ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأوا الزهراوين الى قوله يحاجان عن
صاحبهما وان استبعدت قولي هما توامان حلفاء انشدتك قول الاعشى
تشب لمقرورين يصطليانها ٭ وبات على النار الندى والمحلق ٭ رضيعي لبان ثدي ام تقاسما
باسحم داج عوض لا نتفرق ٭ اعرب الاعشى حيث جعل الممدوح يعني المحلق احد توءمي
الجود لكثرة صدوره عنه كما اضيف حاتم اليه في قولك حاتم الجود ثم جعلهما اخوي ام
واحدة تراضعا ثديها وما اكتفى بذلك بل ذكر انهما تحالفا على ان لا يفترقا ابدا
الثالث زيد رضي الله عنه قوله انا حرب اي محارب جعل نفسه صلى الله عليه وسلم
نفس الحرب مبالغة كقولك رجل عدل الرابع والخامس عبد المطلب قوله بوجه مبشر
كما هو في جامع الترمذي وجامع الاصول مبشر هو بضم الميم وسكون الباء وفتح
الشين يريد بوجه عليها البشر من قولهم فلان مؤدم مبشر اذا كان له ادمة وبشرة
محمودتان قوله صنو ابيه الصنو المثل واصله ان يطلع نخلتان من عرق واحد
يريد ان اصل عباس واصل ابي واحد وهو مثل ابي ومثلي وجمعه صنوان السادس والسابع
ابن عباس رضي الله عنهما قوله حتى ادعو لهم كذا في الترمذي وجامع الاصول وبعض نسخ

المصابيح

المصابيح لكم قوله والبسنا كساءه اشار بذلك الى انهم خاصته وانهم بمثابة النفس الواحدة
منه التى يشملها كساء واحد وانه مسئل الله تعالى ان يبسط عليهم رحمته بسط الكساء عليهم
وانه يجمعهم فى الآخرة تحت لوائه وفى هذه الدار تحت رايته لاعلاء كلمة الله ونصر دعوته
ورسوله قوله اللهم احفظه فى ولده اى اكرمه وراع امره كيلا تضيع فى شان ولده هذا معنى
رواية رزين واجعل الخلافة باقية فى عقبه وان فى العرب بعال فلان كحفظ نفسه ولسانه
اى لا يبتذل له فيما لا يعنيه وعليه قوله تعالى واحفظوا ايمانكم فى احد الاوجه اى صونوها ولم
يبتذلوها والغرض صون المقسم به عن الابتذال لانه امر مذموم وعليه قول كثير قليل
الالايا حافظ ليمينه اى لا يولى اصلا بل يحنط ويتصون والقلة مع العدم الثامن الى الحادى عشر
ابو هريرة رضى الله عنه قوله يطير فى الجنة كان جعفر قد اصيب بموته من ارض الشام
وهو امير راية الاسلام بعد زيد بن حارثة رضى الله عنهما فقاتل فى الله حتى قطعت يداه
ورجلاه فارى النبى صلى الله عليه وسلم فيما كوشف به ان له جناحين مضرجين بالدم يطير
بهما فى الجنة مع الملائكة الثانى عشر ابو سعيد رضى الله عنه قوله سيدا شباب اهل الجنة
معناه انهما افضل من مات شابا فى سبيل الله من اصحاب الجنة ولم يرد به سن الشباب
لانهما ماتا وقد كهلا بل ما يفعله الشبان من المروة كما يقول فلان فتى وان كان شيخا
يشير الى مروته وفتوته او انهما سيدا اهل الجنة سوى الانبياء والخلفاء الراشدين وذلك
لان اهل الجنة كلهم فى سن واحد وهو الشباب وليس فيهم شيخ ولا كهل اقول يمكن ان
يراد هنا الآن سيدا شبابهم من اهل الجنة من شبان هذا الزمان الثالث عشر الى الثامن عشر
يعلى قوله حسين منى وانا من حسين كانه صلى الله عليه وسلم علم بنور الوحى ما سيحدث
بينه وبين القوم فخصه بالذكر وبين انهما كالشىء الواحد فى وجوب المحبة وحرمة التعرض
والمحاربة واكد ذلك بقوله احب الله من احب حسينا فان محبته محبة الرسول ومحبة
الرسول محبة الله والسبط ولد الولد اى هو من اولاد اولادى اكد به البعضية وقررها
ويقال للقبيلة قال الله تعالى وقطعناهم اثنتى عشرة اسباطا امما اى قبائل ويحتمل ان يكون
المراد هنا على معنى انه يتشعب منه قبيلة ويكون من نسله خلق كثير فيكون
اشارة الى ان نسله يكون اكثر وابقى وكان الامر كذلك التاسع عشر على رضى الله عنه
فاما بين الصدر الى الرأس بدل من الفاعل المضمر فى اشبه او من المفعول بدل

البعض وكذا قوله ما كان اسفل العشرين حديثه رضي الله عنه قوله آتي النبي صلى الله عليه وسلم
استينافا اي انا آتي الحادي والثاني والعشرين عمر رضي الله عنه قوله فرض لاسامة اي قدر
ذلك المقدار من بيت المال دون ماله وولده بالمشهد مشهد القتال ومعركة الكفار
الثالث والعشرين جبلة قوله لا اختار عليك احدا وقصته ستذكر في اسماء الرجال
الرابع والعشرين اسامة رضي الله عنه قوله هبطت المدينة في غائط من الارض
واطرافها ونواحيها من الجوانب كلها متعلية عليها من اي جانب توجهت اليها كنت
منحدرا اليها واصمت اي اعتقل لسانه الخامس والسادس والعشرين اسامة رضي الله عنه
قوله اي اهلك احب اليك مطلق ويراد به المقيد اي من الرجال بقرينة ما بعده وهو
قوله احب اهلي الي من قد انعم الله وفي نسخ المصابيح قوله ما جئناك نسالك
من اهلك يقيد بقوله من النساء وليس في جامع الترمذي وجامع الاصول هذه
الزيادة ولم يكن احد من الصحابة الا وقد انعم الله عليه وانعم عليه رسوله الا
ان المراد المنصوص عليه في الكتاب وهو قوله تعالى واذ تقول للذي انعم الله
عليه وانعمت عليه وهو زيد لا خلاف في ذلك ولا شك وهو وان نزل في حق زيد
لكنه لا يبعد ان يجعل تابعا لابيه في هاتين النعمتين وفي الجملة المراد نعمة
الله عليه وعلى ابيه نعمة الهداية والكرامة وبنعمة الرسول نعمة الاعتاق
والتبني والتربية وجل ما من الله تعالى في التنزيل من الانعام على بني اسرائيل
نحو انعمت عليكم نعما اسندها الى آبائهم الفصل الثالث الاول عقبة قوله
بابي شيبة يحتمل ان يكون التقدير هو مفدي بابي شيبة فيكون خبرا بعد خبر
او افديه بابي فعلى هذا شيبة خبر مبتدا محذوف وفي تنكيره لطف وفيه اشعار
بعلية الشيب للفدية قوله ليس شيبها وفي اصل المالكي شيبه بالرفع وفي اصل
التنقيح الاصل ليس شيبه ونحو ما مر في خطبة يوم النحر في قوله اليس ذو الحجة
من حذف ضمير المتصل خبرا لكان واختاره الثاني الرابع ابن عباس رضي الله عنهما قوله
لم ازل التقطه من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم يجوز ان يكون خبرا بعد خبر لقوله
هذا ويجوز ان يكون خبرا ودم الحسين بدل من هذا وقوله فاحصي ذلك الوقت
من كلام ابن عباس رضي الله عنهما الخامس والسادس ابو ذر رضي الله عنه قوله وهو

آخذ بباب الكعبة اراد الراوي بهذا مزيد توكيد لاثبات هذا الحديث وكذا ابو ذر واهتم
لشان روايته فاورده في هذا المقام على رؤس الانام ليتمسكوا به وفي رواية اخرى له
يقول من عرفني فانا من قد عرفني ومن انكرني فانا ابو ذر سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
الان مثل اهل بيتي الحديث اراد بقوله فانا من قد عرفني ومن لم يعرفني فانا ابو ذر انا المشهور
بصدق اللهجة وثقة الرواية وان هذا حديث صحيح لا مجال للرد فيه هذا تلميح الى ما
روينا عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء اصدق من ابي ذر وفي رواية ابي ذر
من ذي لهجة اصدق ولا اوفى من ابي ذر شبه عيسى بن مريم فقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه كالحاسد يا رسول الله افتعرف ذلك له قال ذلك فاعرفوه اخرجه
الترمذي وحسنه الصغاني في كشف الحجاب شبه الدنيا بما فيها من الكفر و
الضلالات والبدع والاهواء الزايغة ببحر لجي يغشيه موج من فوقه موج
من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض وقد احاط باكنافه واطرافه الارض
كلها وليس منه خلاص ولا مناص الا تلك السفينة وهي محبة اهل بيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما احسن انضمامه مع قوله اصحابي مثل النجوم من اقتدي
بشيء اهتدى ونعم ما قال الامام فخر الدين الرازي في تفسيره نحن معاشر اهل السنة
بحمد الله ركبنا سفينة محبة اهل البيت واهتدينا بنجم هدى اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم فنرجو النجاة من اهوال القيامة ودركات الجحيم والهداية الى
ما يوجب لنا الدرجات الجنان والنعيم المقيم باب مناقب ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
الفصل الاول على رضي الله عنه قوله خير نسائها الضمير في الاولى
عائد الى الامة التي كانت فيهم مريم وفي الثانية الى هذه الامة ولهذا كرر الكلام
من اولها تنبيها على ان حكم كل واحد منهما غير حكم الآخر وكلا الفصلين كلام
مستانف واشار وكيع الذي هو من حملة رواة الحديث الى السماء والارض
مبينة عن كونها خيرا من هو فوق الارض وتحت اديم السماء وهو نوع من الزيادة
في البيان ولا يستقيم ان يكون تفسيرا لقوله خير نسائها لان اعادة الضمير
الى السماء غير مستقيمة فيه ثم انهما شيئان مختلفان والضمير راجع الى شيء واحد

ض لنا وحّد الضمير لانه اراد جملة طبقات السماء واقطار الارض او ان مريم
خير من صعد بروحها الى السماء وخديجة خير نسائها على وجه الارض والحديث
ورد في ايام حياتهما اقول يجوز ان يرجع الضمير الى السماء والارض وان اختلفا
باعتبار الدنيا مجازا كما عبر بهما عن العالم في قوله تعالى ان الله لا يخفى عليه شيء في
الارض ولا في السماء الكشاف اي لا يخفى عليه شيء في العالم فعبر عنه بالسماء والارض ونحوه
قوله تعالى الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الآخرة على معنى
له الحمد في الدنيا والآخرة فعبر بهما عن الدنيا ويؤيد هذا التاويل حديث انس في
الفصل الثاني حسبك من نساء العالمين الحديث وتفسير وكيع انما يستقيم تفسيرا
اذا بين ما ابهم في الحديث والمبهم فيه كل واحد من الضميرين الثاني ابو هريرة رضي الله عنه
قوله من قصب حسن القصب في هذا الحديث لؤلؤ مجوف واسع كالقصر المنيف والصخب
اختلاط الاصوات والنصب التعب ونفي عن البيت النصب والصخب لانه ما من بيت
في الدنيا يسكنه قوم الا كان بين اهله صخب وجلبة والا كان في بنائه واصلاحه نصب
وتعب فاخبر ان قصور الجنة خالية عن هذه الآفات اقول يريد بالوجه الثاني ان
بناء بيت الجنة كذلك بل اصحاب الجنة هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون
الى قوله سلام قولا من رب رحيم والله اعلم الثالث عائشة رضي الله عنها قوله ما غرت على
خديجة ما فيه يجوز ان يكون مصدرية وموصولة اي ما غرت مثل غيرتي او مثل التي
غرتها والغيرة الحمية والانفة يقال رجل غيور وامراة غيور بلا هاء لان فعولا يشترك
فيه الذكر والانثى قوله كانت وكانت لتعدد ولم يرد به التثنية ولكن التكرير لتعداد به
كل مرة من خصايلها ما يدل على فضلها كقوله تعالى واما الجدار فكان لغلامين يتيمين
في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا ولم يذكر هنا متعلقه للشهرة تفخيما
الرابع والخامس عائشة رضي الله عنها قوله في سرقة اي في قطعة من جيد الحرير
والجمع سرق قوله ان يك هذا من عند الله يمضه هذا الشرط مما يقوله المحقق لثبوت الامر
المدل بصحته تقريرا لوقوع الجزاء وتحققه ونحوه قول السلطان لمن يحب قهره ان
كنت سلطانا انتقمت منك اي السلطنة مقتضية للانتقام ح قال القاضي عياض
ان كانت هذه الرؤيا قبل النبوة وقبل تخليص احلامه صلى الله عليه وسلم من الاضغاث

فمعناها

نعنا ما ان كانت رويا حق وان كانت بعد النبوة فلها ملئة معان احدها المراد ان
تكن الرويا على وجهها وظاهرها لا تحتاج الى تغيير وتفسير فيمضيه الله تعالى
وينجزه فالشك عائد الى انها رويا على ظاهرها ام تحتاج الى تغيير وصرف عن ظاهرها
وثانيها ان المراد ان كانت هذه الزوجية فى الدنيا يمضيها الله فالشك انها زوجته
فى الدنيا او فى الجنة وثالثها انه لم يشك ولكن اخبر على التحقيق واتى بصورة الشك
وهو نوع من البديع عند اهل البلاغة يسمونه تجاهل العارف وسماه بعضهم مزج
الشك باليقين اقول هذا هو الذى حققناه فيما سبق وكان من توارد الخواطر وله
تكشفت عن وجهك تحتمل وجهين احدهما كشفت عن وجه صورتك فاذا انت الآن تلك
الصورة وثانيهما كشفت عن وجهك عند ما شاهدتك فاذا انت مثل الصورة التى رايتها
فى المنام وهو تشبيه بليغ حيث حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وحملها
عليها كقوله تعالى هذا الذى رزقنا من قبل ومنه مسئلة الباب كنت اظن ان
العقرب اشد لسعة من الزنبور فاذا هو هى اى فاذا الزنبور مثل العقرب فحذف
الاداة مبالغة لحصول التشابه واليه لمح فى الآية واتوا به متشابها ومعنى المفاجاة فى
اذا تساعد هذا الوجه السادس عائشة رضى الله عنها قوله يتحرون هو الرواية وفى
بعض نسخ المصابيح يتحينون وما وجدناه فى الاصول التحرى القصد والاجتهاد فى
الطلب والعزم على تخصيص الشئ بالفعل والقول وفى الحديث تحروا ليلة القدر
فى العشر الاواخر اى تعمدوا طلبها فيه قوله الا عائشة الا بمعنى غير اى امراة غير عائشة
الفصل الثانى الاول انس رضى الله عنه قوله حسبك مبتدا ومن نساء متعلق به
ومريم خبره والخطاب اما عام او لانس اى كافيك معرفتك فضلهن من معرفة سائر النساء
الثانى انس رضى الله عنه قوله انك لابنة نبى اى اسحق النبى عليه السلام وعمك
لنبى هو اسمعيل اقول الاظهر هرون وموسى قال فى جامع الاصول هى بنت حيى بن
اخطب من بنى اسرائيل من سبط هرون بن عمران عليه السلام الرابع ام سلمة قوله
دعا فاطمة هذا الحديث غير مناسب لهذا الباب انما يناسب باب مناقب اهل البيت
لكن ذكر مستطردا للحديث الاول من هذا الفصل لما ضمن فيه مع ذكر خديجة ذكر مريم
وفاطمة وهو فن من بديع الكلام الفصل الثالث ابو موسى قوله اصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم بالنصب على الاختصاص باب جامع المناقب الفصل الاول
الاول عبد الله قوله لا اهوي به الى مكان اى لا اريد الميل بها الى مكان فى الجنة
الا كانت مطيرة لى ومبلغة اياى الى تلك المنزلة فكانها لى مثل جناح الطير
للطاير الثانى حذيفة رضى الله عنه قوله دلا وسمتا وهديا فص الدل قريب من
الهدي والمراد به السكينة والوقار وما يدل على كمال صاحبه من ظاهر احواله
وحسن مقاله وبالسمت القصد فى الامور وبالهدى حسن السيرة وسلوك
الطريقة المرضية وابن ام عبد عبد الله بن مسعود قوله من حين يخرج متعلق
باشبه وقوله لا ندرى جملة مستانفة يريد انها نشهد له بما يستبين لنا من ظاهر
امره ولا ندرى ما بطن منه الثالث ابو موسى رضى الله عنه قوله ما نرى حال من
فاعل مكثنا ويجوز ان يكون صفة حينا اى زمانا غير ظانين فيه شيئا الا كون عبد الله
بن مسعود كذا ح ما نري بضم النون اي ما نظن الرابع عبد الله قوله استقرؤا
القران اى خذوا من هؤلاء الاربعة ح قالوا هؤلاء الاربعة تفرغوا لاخذ
القران منه صلى الله عليه وسلم مشافهة وغيرهم اقتصروا على اخذ بعضهم من بعض
ولان هؤلاء تفرغوا لان يؤخذ عنهم او انه صلى الله عليه وسلم اراد الاعلام بما يكون بعد
وفاته صلى الله عليه وسلم من تقدم هؤلاء الاربعة وانهم اقرا من غيرهم الخامس علقمة قوله
من اهل الكوفة اى رجل من اهل الكوفة ليطابق السوال وتقدير السوال ممن
انت ليطابقه الجواب وقوله اوليس عندكم الى آخره قوله صاحب النعلين فص يريد
به انه كان يخدم الرسول صلى الله عليه وسلم ويلازمه فى الحالات كلها فيصاحبه فى
المجالس ويأخذ نعله ويضعها اذا جلس وحين نهض ويكون معه فى الخلوات
فيسوي مضجعه ويضع وسادته اذا اراد ان ينام ويهيئ طهوره ويحمل معه المطهرة
اذا قام الى الوضوء فهو صاحب السر قيل من تلك الاسرار اسماء المنافقين وانسابهم
اسرّ بها اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم السادس جابر رضى الله عنه قوله خشخشة
فص الخشخشة صوت يحدث من تحرك الاشياء اليابسة واصطكاكها كالسلاح
والثوب والنعل السابع سعد رضى الله عنه قوله ما شاء الله ان يقع و نص فى تفسير
الآية ان المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو طردت هؤلاء لجلسنا اليك وحادثناك

فقال صلى الله عليه وسلم ما انا بطارد المؤمنين فقالوا فاقمهم عنا اذا جئنا قال نعم
طمعا في ايمانهم الناس ابو موسى رضى الله عنه قوله مزمارا قص المزمار ههنا
مستعار للصوت الحسن والنغمة الطيبة اى اعطيت حسن صوت يشبه بعض
الحسن الذى كان لصوت داود والمراد بآل داود نفسه والآل مقحم اذ لم يكن له
آل مشهور بحسن الصوت بل المشهور به هو نفسه التاسع انس رضى الله عنه
قوله جمع القرآن اى حفظوه اجمع قال القاضى المازرى هذا الحديث مما تعلق به
بعض الملاحدة فى تواتر القرآن وجوابه من وجهين احدهما انه ليس فيه تصريح
بان غير الاربعة لم يجمعه فيكون المراد الذين اعلمهم من الانصار اربعة والمراد
نفى علمه لا نفى غيرهم من القراء وقد روى عن مسلم حفظ جماعات من الصحابة فى
عهد النبى صلى الله عليه وسلم وذكر منهم المازرى خمسة عشر صحابيا وثبت فى الصحيح
انه قتل يوم اليمامة سبعون ممن جمع القرآن وكانت اليمامة قريبة من وفاة
النبى صلى الله عليه وسلم فهؤلاء الذين قتلوا من جامعيه يومئذ فكيف الظن بمن لم يقتل ممن
حضرها ولم يحضرها ولم يذكر فى هؤلاء الاربعة ابو بكر وعمر وعثمان وعلى ونحوهم
من كبار الصحابة الذين يبعد كل البعد انهم لم يجمعوه مع كثرة رغبتهم فى الخير
وحرصهم على ما هو دون ذلك من الطاعات وكيف يظن هذا بهم ونحن نرى
اهل عصرنا يحفظه منهم فى كل بلدة الوف وثانيهما انه لو ثبت انه لم يجمعه الا
اربعة لم يقدح فى تواتره اذ ليس من شرط التواتر ان ينقل جميعهم جميعه بل
اذا نقل كل جزء عدد التواتر صارت الجملة متواترة بلا شك نو المراد من الاربعة
اربعة من رهط انس وهم الخزرجيون ويحتمل انه اراد به اربعة من الانصار
او سهم حزرجهم وهو اشبه وقد كان من الحيين منافاة قبل الاسلام بقيت
منها بقية من العصبية بعد الاسلام فلعله ذكر ذلك على سبيل المفاخرة لما
روى عن انس رضى الله عنه انه قال افتخرت الاوس والخزرج فقالت الاوس
منا غسيل الملائكة حنظلة بن الراهب ومنا من حمته الدبر عاصم بن ثابت بن
الافلح ومنا من اجيزت شهادته بشهادة رجلين خزيمة بن ثابت ومنا من
اهتز العرش بموته سعد بن معاذ وقالت الخزرج منا اربعة قرأوا القرآن على

عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقرأه غيرهم زيد بن ثابت وابو زيد ومعاذ
بن جبل وابي بن كعب فقوله لم يقرأه غيرهم اي لم يقرأه كله احد منكم يا معشر الاوس
العاشر خباب قوله من اينعت له ثمرته اينع الثمر يونع وينع يينع فهو مونع
ويانع اذا ادرك ونضج واينع اكثر استعمالا وهدب الشيء بالدال المهملة اذا قطعه
وهدب الثمرة اذا اجتناها يهدبها هدبا اقول هذه الفقرة قرينة لقوله فمنا من مضى
لم ياكل من اجره شيئا كانه قيل منهم من لم يعجل شيئا من ثوابه ومنهم من عجل بعض ثوابه
وقوله يَهْدِبُها على صيغة المضارع لاستمرار الحال الماضية والآتية استحضارا له في
مشاهدة السامع وفي الحديث ما من غازية تغزو في سبيل الله فيصيبون الغنيمة
الا تعجلوا ثلثي اجرهم من الآخرة ويبقى لهم الثلث وفيه بيان فضيلة مصعب
بن عمير وانه ممن لم ينقص الغنيمة له من ثواب الآخرة شيء الحادي عشر جابر رضي الله عنه
قوله اهتز العرش اختلفوا في تاويله فقالت طائفة هو على ظاهره واهتزاز العرش
تحركه فرحا بقدوم روح سعد وجعل الله في العرش تمييزا ولا مانع منه كما قال
وان منها لما يهبط من خشية الله وهذا القول هو المختار وقال المازري قال
بعضهم هو على حقيقته لا ينكر هذا من جهة العقل لان العرش جسم من الاجسام
تقبل الحركة والسكون قال لكن لا يبعد ان يحمل بذلك على حصول فضيلة سعد الا
ان يقال ان الله تعالى جعل حركته علامة على موته وقيل المراد اهتزاز اهل
العرش وهم حملته وغيرهم من الملائكة فحذف المضاف والمراد بالاهتزاز الاستبشار
ومنه قول العرب فلان يهتز للمكارم لا يريدون اضطراب جسمه وحركته وانما
يريدون ارتياحه اليها واقباله عليها وقال الحربي هو كناية عن تعظيم شان وفاته
والعرب تنسب الشيء المعظم الى اعظم الاشياء فيقولون اظلمت بموت فلان الارض
وقامت له القيامة وقال جماعة المراد اهتزاز سرير الجنازة وهو النعش وهذا القول
باطل يرده الرواية الاخرى وانما اولوا هذا التاويل لانه لم يبلغهم هذه الرواية الثاني عشر
البراء قوله المناديل ح جمع منديل وهو هذا الذي يحمل في اليد قال ابن الاعرابي
وغيره هو مشتق من الندل النقل لانه ينقل من واحد الى واحد وقيل هو من الندل
وهو الوسخ لانه يندل به ح انما ضرب المثل بالمناديل لانها ليست من علية الثياب.

بلي

بل هي تبتذل في انواع من المرافق يمسح بها الايدي وينفض بها الغبار عن
البدن ويغطى بها ما يهدى في الاطباق ويتخذ لفافا في الثياب فصار سبيلها
سبيل الخادم وسبيل سائر الثياب سبيل المخدوم فاذا كان ادناها هكذا فما ظنك بعليتها
الثالث عشر ام سليم قوله ليتعادون على نحو المائة قط اي تتجاوز عددهم هذا المبلغ
ساد انهم ليتعادون على عشرة آلاف اي يزيدون عليها في العدد ح هذا من اعلام
النبوة صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على تفضيل الغنى على الفقر واجيب بانه مختص
بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم وانه قد بارك فيه ومتى بارك فيه لم يكن فيه فتنة فلم يحصل
بسببه ضرر ولا تقصير في اداء حق الله وفيه استحباب انه اذا دعا بشيء يتعلق بالدنيا
ينبغي ان يضم الى دعائه طلب البركة فيه والصيانة وقد ثبت في صحيح البخاري عن انس
انه دفن من اولاده قبل مقدم الحجاج مائة وعشرون الرابع عشر سعد رضي الله عنه
قوله يمشي على وجه الارض صفة مؤكدة لاحد كما في قوله تعالى وما من دابة في الارض
لمزيد التعميم والاحاطة ح ليس هذا مخالفا لقوله صلى الله عليه وسلم ابو بكر في الجنة وعمر
في الجنة الى آخر العشرة وغيرهم من المبشرين بالجنة فان سعدا قال ما سمعت ونفي سماعه
ذلك لا يدل على نفي البشارة للغير فاذا اجتمع النفي والاثبات فالاثبات مقدم عليه
الخامس عشر قيس قوله تجوزتهما اي خففتهما في الحديث فاتجوز في صلوتي اي اخففها واقللها
قوله ما ينبغي لاحد ان يقول ما لا يعلم ح هذا انكار من عبد الله بن سلام حيث قطعوا له
بقطعهم له بالجنة فيحتمل ان هؤلاء بلغهم خبر سعد بن ابي وقاص ان ابن سلام من
اهل الجنة ولم يسمع هو ذلك ويحتمل انه كره الثناء عليه بذلك تواضعا وايثارا للخمول وكراهة
للشهرة اقول فعلى هذا الاشارة بقوله ذاك الى انكاره اياهم يعني الى احدثك سبب انكاري
عليهم وهو اني رايت رؤيا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم الى آخره وهذا لا يدل على النص
وقطع النبي على اني من اهل الجنة كما نص على غيري ويمكن ان يكون الاشارة بذلك الى
قولهم هذا رجل من اهل الجنة يعني لا ينبغي لاحد ممن ادرك النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه
ان يقول بما لا يعلم فانهم علموا ذلك وقالوا انا ايضا اقول رايت رؤيا الى آخره ويكون هذا
... فاستيقظت وانها لفي يدي فكانت رؤيا هذه كشفا كشفه الله تعالى عليه كرامة له
قوله منصف ح هو بكسر الميم وفتح الصاد قال القاضي عياض وقال بفتح الميم وهو

الخادم وقالوا هو الوصيف الصغير المدرك للخدمة قوله العروة الوثقى الوثقى من الحبل
الوثيق المحكم المأمون انقطاعها السادس والسابع عشر ابو هريرة رضي الله عنه قوله
وآخرين منهم هذا على ان يكون آخرين عطفا على الاميين يعني انه تعالى
بعثه في الاميين الذين على عهده وفي آخرين من الاميين لم يلحقوا بهم بعد
وسيلحقون بهم وهم الذين بعد الصحابة رضوان الله عليهم قوله من هؤلاء
جمع اسم الاشارة والمشار اليه سلمان وحمله ارادة الجنس ويحتمل ان يراد به العجم
كلهم لوقوعه مقابلا للاميين وهم العرب وان يراد به اهل فارس ولو ههنا
بمعنى ان لمجرد الفرض والتقدير على سبيل المبالغة الثامن والتاسع عشر عائذ قوله ما
اخذت سيوف الله ماخذها فيه وما اخذها قيل مفعول به وقيل مفعول فيه
ويجوز ان يكون مصدرا والكلام اخبار فيه معنى الاستفهام المتضمن للاستبطاء
استعار الاخذ للسيف تشبيها له بمن له حق على صاحبه وهو يلزمه ويطالبه
اى يشدد ويلاصقه
والغريم يمتنع عن ايفاء حقه ويماطله قوله لا يحب ان يوقف عليه ويبينا نعم
من قوله يغفر الله لك ولو زادوا واوا كما في جواب اليزيدي عن سؤال المأمون
لا وجعلني الله فداك لحسن موقعه قوله يا اخي الظاهر ان يقال يا اخانا ولعله
حكاية قول كل واحد واحد ضبطوه بضم الهمزة على التصغير وهو تصغير تحبب
وفي بعض النسخ بفتحها العشرون انس رضي الله عنه قوله آية الايمان حب الانصار
وانما كان كذلك لانهم تبوؤا الدار والايمان وجعلوه مستقرا ومتوطنا لهم لتمكنهم منه
واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك فمن احبهم فذلك من كمال ايمانه ومن
ابغضهم فذلك من علامة نفاقه الحادي والعشرون والثاني والعشرون انس رضي الله عنه
قوله يغفر الله لرسول الله توطية وتمهيد لما يرد بعده من العتاب كقوله تعالى عفا الله
عنك لم اذنت لهم قوله وسيوفنا تقطر من دمائهم حال مقررة لجهة الاشكال وهو
من باب قولهم عرضت الناقة على الحوض وانشد لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى واسيافنا
يقطرن من نجدة دما الثالث والعشرون ابو هريرة رضي الله عنه قوله لولا الهجرة لكنت امرأ من
الانصار ليس المراد منه الانتقال عن النسب الولادي لانه حرام مع ان نسبه صلى الله عليه وسلم
افضل الانساب واكرمها وانما اراد به النسب البلادي ومعناه لولا الهجرة من الدين

ونسبتها

ونسبتها دينية لا يسعنى تركها لانها عبادة كنت مامورا بها لا انتسبت الى داركم
ولا تنقلت عن هذا الاسم اليكم قيل اراد النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الكلام اكرام
الانصار والتعريض بان لا بيعة بعد الهجرة اعلى من النصرة وبيان انهم بلغوا
من الكرامة مبلغا لولا انه صلى الله عليه وسلم من المهاجرين الى المدينة لعد نفسه
من الانصار لكرامتهم عند الله تعالى تلخيصه لولا فضلي على الانصار بسبب
الهجرة لكنت واحدا منهم وهذا تواضع منه صلى الله عليه وسلم وحث للناس على اكرامهم
واحترامهم لكن لا يبلغون درجة المهاجرين السابقين الذين اخرجوا من ديارهم
وقطعوا عن اقاربهم واحبابهم وحرموا اوطانهم واموالهم وهم رضوان
الله عليهم ما بالوا بذلك بالة لاجل رضى الله ورضى رسوله واعلاء الدين وسنة
رسوله والانصار وان اتصفوا بصفة النصرة والايثار والمحبة والايواء لكنهم
مقيمون فى مواطنهم ساكنون بين اقاربهم واحبابهم وحسبك شاهدا فى فضل
المهاجرين قوله هذا لان فيه اشارة الى جلالة رتبة الهجرة فلا يتركها فهو نبي
مهاجر لا انصاري قوله ولو سلك الناس واديا اراد ارض الحجاز كثيرة الاودية
والشعاب فاذا ضاق الطريق عن الجمع فسلك رئيس شعبا اتبعه قومه حتى
يفضوا الى الجادة وفيه وجه آخر اراد بالوادي الراى والمذهب كما تقول فلان
فى واد وانا فى واد قيل اراد صلى الله عليه وسلم بذلك حسن موافقته اياهم وترجيحهم
فى ذلك على غيرهم لما شاهد منهم حسن الوفاء بالعهد وحسن الجوار وما
اراد بذلك وجوب متابعته اياهم فان متابعته حق على كل مؤمن لانه صلى الله عليه وسلم
هو المتبوع المطاع لا التابع المطيع والشعار الثوب الذي يلي شعر البدن والدثار
الدثار الذي فوقه شبه الانصار بالشعار لرسوخ صداقتهم وخلوص مودتهم
والاثرة بفتح الهمزة والثاء اسم من آثر يؤثر ايثارا اذا اعطى واستاثر صاحبه
بالشيء على غيره يعنى ستاثر عليكم ويفضل غيركم نفسه عليكم فاصبروا
على ذلك حتى تلقوني فى الرابع والعشرين ابو هريرة رضى الله عنه قوله من دخل دار
ابى سفيان فهو آمن انما قال صلى الله عليه وسلم ذلك حين اسلم ابو سفيان وقال
العباس لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذا رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا فالنبي من دخل

دار ابي سفيان فهو آمن قوله اما الرجل فقد اخذته رأفة بان قلت كيف والاولى ذلك
مع قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قلت قالوا ليهيجوه
ويحركوا منه كما قالوا ما قلنا الا ضنا بالله ورسوله يعني ان اولاد آدم مجبولون على
الميل الى العشيرة والاقارب وعلى حب الاوطان ولذلك تقدم صلى الله عليه وسلم
انى عبد الله ورسوله اى لست كاحد من الرجال كان عمهم بابا انى عبد الله ورسوله
ثم علل كونه عبد الله ورسوله بقوله هاجرت الى الله واليكم على سبيل الاستيناف
اى العبودية والرسالة يقتضيان ان لا افارقكم ابدا ولا اميل الى ما يقتضيه البشرية
من الميل الى الاقارب والاوطان لان القصد في الهجرة كان الى الله وان التهاجر من
دار قومي كان الى داركم قوله المحيا محياكم الخ يريد ما حييت احيي في بلدكم كما تحيون فيه
واذا توفيت توفيت في بلدكم كما تتوفون لا افارقكم حيا ولا ميتا قوله الا ضنا بالله ورسوله
يريدون ما قلنا قولنا ذلك الا ضنة بما آتانا الله من كرامته خشية ان تفوتنا
فينا له غبطنا وشحا برسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينتقل من بلدنا الى بلده الخ
والسادس والعشرون انس رضى الله عنه قوله فانهم كرشي وعيبتي الخ الكرش لكل مجتر
بمنزلة المعدة للانسان والعرب تستعمل الكرش في كلامهم موضع البطن فالبطن مستودع
مكتوم السر والعيبة مستودع مكنون المتاع والاول امر باطن والثاني امر ظاهر فيحتمل
انه ضرب المثل بهما ارادة اختصاصهم به في اموره الظاهرة والباطنة الخ عيبتي
اي خاصتي وموضع سري وفي الحديث بيننا عيبة مكفوفة اى صدر نقي من الغل
والعرب تكني عن القلب والصدر بالعيبة لانهما مستودع السرائر كما ان العياب مستودع
الثياب السابع والعشرون ابن عباس رضي الله عنهما قوله ويقل الانصار الخ يريد ان اهل الاسلام
يكثرون ويقل الانصار لان الانصار هم الذين آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصروه وهذا
الامر قد انقضى زمانه لا يلحقهم اللاحق ولا يدرك شأوهم السابق فكلما مضى منهم واحد
مضى من غير بدل فيكثر غيرهم ويقلون اقول هذا المعنى ايضا قائم في حق المهاجرين
الذين هاجروا من مكة الى المدينة ولعل الحمل على العشيرة اظهر لان المهاجرين واولادهم
كثروا وتبسطوا وانتشروا في البلاد وملكوها بخلاف الانصار قوله شيئا يحتمل ان يكون
منصوبا به وان يكون في موضع مصدر اى قليلا من الولاية وقوله يضر فيه قوما صفة

كما شفعه

كاشفة له الثامن والعشرون والتاسع والعشرون ابو اسيد قوله خير دور الانصار بنو النجار
ح خير دور الانصار خير قبائلهم وكانت كل قبيلة تسكن محلة فيسمى تلك المحلة دار بني فلان
ولهذا جاء في كثير من الروايات بنو فلان من غير ذكر الدار قالوا وتفضيلهم على قدر
سبقهم الى الاسلام ومآثرهم فيه وفي هذا دليل على جواز تفضيل القبائل و
الاشخاص من غير مجازفة ولا هوى ولا يكون هذا غيبة قض ان اراد بها ظاهرها
فقوله بنو النجار على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ويكون خيريتها
بسبب خيرية اهلها وما يوجد فيها من الطاعات والمبرات الثالث والثلاثون علي رضي الله عنه
قوله ابا مرثد بدل المقداد لم يرد بذلك ان المبدل منحى بل المراد انه ذكر في رواية
هذا وفي اخرى ذلك لان الاربعة قد بعثوا لهذا الامر ح وعن علي رضي الله عنه
قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا مرثد الغنوي والزبير بن العوام وفي
رواية السابقة المقداد بدل ابي مرثد ولا منافاة بل بعث الاربعة عليا والزبير و
المقداد وابا مرثد وخاخ بخائين معجمتين هو الصواب وهو موضع بين مكة والمدينة بقرب
المدينة الظعينة المرأة ما دامت في الهودج ثم سميت زوجة الرجل ظعينة توسعا
والمراد بها ههنا ام سارة مولاة لقريش والعقاص بكسر العين الشعر المضفور قوله ملصقا
قال سفيان بن عيينة كان حليفا لهم ولم يكن من انفس قريش قوله الى ناس من المشركين
ليس هذا حكاية المكتوب بل هو من كلام الراوي وضع موضع قوله الى فلان وفلان
وفلان وقوله اذ فانني ذلك تعليل وقع بين الفعل ومفعوله وهو قوله ان اتخذ
فيهم يدا وقوله يحمون بها قرابتي صفة يدا والمراد باليد يد انعام او قدرة قوله
لعل الله اطلع معنى الترجي فيه راجع الى عمر رضي الله عنه لان وقوع هذا الامر
محقق عند رسول الله صلى الله عليه وسلم واوثر على التحقيق بعثا له على التفكر والتأمل
فلا تقطع الامر في كل شيء قوله قد غفرت لكم هذا في الآخرة واما في الدنيا
فلو توجه على احد منهم حد وغيره اقيم عليه وقد اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
على المسطح حد الفرية وكان بدريا وفيه معجزة ظاهرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجواز
هتك الجواسيس وقراءة كتبهم وفيه هتك ستر المفسد اذا كان فيه مصلحة او كان
في الستر مفسدة وما فعله حاطب كان كبيرة قطعا لانه يتضمن ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم

لقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله ولا يجوز قتله لانه لا
يكفر به انتهى كلامه قوله تعالى لا تتخذوا عدوي وعدوكم خطاب لحاطب و
رد لقوله ان اتخذ فيهم يدا وانما عمم ليدخل فيه امثاله الحادي والثلاثون ناعة
قوله ما تعدون اهل بدر اي ممن تعدون لمطابقة الجواب وهو من افضل
المسلمين واتى بما بدل من تعظيما لشانهم نحو قولهم سبحان ما سخركن لنا
قوله وكذلك من شهد بدرا اي كذلك حكم من شهد بدرا من الملائكة فانهم
من افضل الملائكة الثاني والثلاثون حفصة قوله فلم تسمعيه تقول يعني ارادت
بقولي ان لا يدخل النار دخولا يعذب فيها ولا نجاة له منها والصحيح ان
المراد بالورود المرور على الصراط وهو منصوب على جهنم فيقع فيها اهلها
وينجو الاخرون اولا والاول هو الوجه على ما يظهر بادنى تامل وفيه جواز
المناظرة والاعتراض والجواب على وجه الاسترشاد وهو حضور حفصة
لا انها ارادت رد مقالته صلى الله عليه وسلم الرابع والثلاثون جابر رضي الله عنه
قوله ثنية المرار المشهور فيها ضم الميم وبعضهم بكسرها وهو موضع بين مكة
والمدينة من طريق الحديبية وبعضهم يقوله بالفتح وانما حثهم على صعودها
لانها عقبة شاقة وصلوا اليها ليلا حين ارادوا مكة سنة الحديبية فرغبهم
في صعودها قوله ما حط عن بني اسرائيل يريد قوله تعالى ادخلوا الباب سجدا وقولوا
حطة يغفر لكم خطاياكم اي حط عنا ذنوبنا حطة ثم تتام الناس اي جاؤا كلهم في الحديث
تتتامت قريش اي جاءته متوافرة متتابعة الفصل الثاني الاول ابن مسعود
رضي الله عنه قوله وتمسكوا بعهد ابن ام عبد يريد عهد عبد الله بن مسعود
وهو ما يعهد اليهم ويوصيهم به وارى اشبه الاشياء بما يراد به من عهده امر
الخلافة فانه اول من شهد بصحتها واشار الى استقامتها من افاضل الصحابة
واقام عليها الدليل فقال لا يؤخر من قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا نرضى
لدنيانا من ارتضاه لديننا ومما يؤيد هذا المعنى المناسبة الواقعة بين
اول الحديث واخره ففي اوله اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر وفي اخره
تمسكوا بعهد ابن ام عبد ومما يدل على صحة ما ذهبنا اليه قوله في حديث حذيفة

ايضا

ايضا لو استخلف عليكم فعصيتموه عذبتم ولكن ما حدثكم حذيفة فصدقوه
وهذه اشارة الى ما اسر اليه من امر الخلافة فى الحديث الذى نحن فيه ويشهد
لذلك الاسناد الذى وصله بحديث الخلافة وقال لو استخلف عليكم فعصيتموه
عذبتم ولكن ما حدثكم حذيفة فصدقوه وحذيفة هو الذى يروى عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدى لم اد فى التعريض بالخلافة
فى سنن الرسول صلى الله عليه وسلم اوضح من هذين الحديثين ولا اصح من حديث
ابى سعيد سدوا عنى كل خوخة الثانى على رضى الله عنه قوله لامرت عليهم ابن
ام عبد ومن اى وجه روى هذا الحديث فلا بد ان يأول على انه صلى الله عليه وسلم
اراد به تاميره على جيش بعينها او استخلافه فى امر من اموره حال حيوته
ولا يجوز ان يحمل على غير ذلك فانه وان كان من اهل العلم والعمل بمكان وله
الفضائل الجمة والسوابق الجليلة فانه لم يكن من قريش وقد نص رسول الله
صلى الله عليه وسلم على ان هذا الامر فى قريش فلا يصح حمله الا على الوجه الذى
ذكرنا الثالث الى الخامس انس رضى الله عنه قوله ان الجنة تشتاق الى ثلثة سبيلك الاشتياق فى
الجنة الى هؤلاء الثلثة سبيل اهتزاز العرش لموت سعد رضى الله عنه السادس
الى الثامن انس رضى الله عنه قوله وذلك لحكمه يريدون قول سعد بن معاذ رضى الله عنه
لما نزلت بنو قريظة على حكمه معتمدين على حسن رايه فيهم حكمت فيهم بان
تقتل المقاتلة ويسبى الذرية فنسبوه اعنى المنافقين الى الجور والعدوان
وقد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم له بالاصابة فى حكمه قوله ان الملائكة كانت
تحمله جواب عن قولهم ما اخف جنازته يريدون بذلك حقارته وازدراءه فاجاب
صلى الله عليه وسلم بما يلزم من تلك الخفة تعظيم شانه وتفخيم امره وهو قريب من
القول بالموجب سلم مقالتهم ما اخف جنازته ثم كر الى ابطال قصدهم من العيب
فقال ان الملائكة كانت تحمله نحو قوله تعالى ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم
التاسع والعاشر ابو ذر رضى الله عنه قوله ما اظلت الخضراء الخضراء السماء والغبراء الارض
واظلت حملت ورفعت واشتقاق الاظلال من الظلة لان الرافع المطبق يرى ما
رفعه ظليلا ومن فى قوله من ذى لهجة زائدة وذى لهجة محمول اظلت وقد

تنازع فيه العاملان فاعمل الثاني وهو مذهب البصريين وهذا دليل ظاهر لهم كقوله تعالى تعالوا يستغفر لكم رسول الله اذ لو اعمل الاول لنصب رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى هذا اصدق في الحديث الاول صفة موصوف محذوف اى ولا اقلت الغبراء ذا لهجة اصدق الخ قوله اصدق من ابى ذر مبالغة في صدقه لا انه اصدق من كل على الاطلاق لانه لا يكون اصدق من ابى بكر بالاجماع فيكون عاما قد خص او لا يمكن ان يراد به انه لا يذهب الى التورية والمعاريض في الكلام فلا يرخى عنان كلامه ولا يواسى مع الناس ولا يسامحهم ويظهر الحق والصدق المحض ومن ثمة عقبه بقوله ولا اوفى اى يعني في حق الكلام ايفاء لا يغادر شيئا منه ووصفه بقوله ذى لهجة نا قيل لهجة اللسان ما نطق به من الكلام وانها من لهج بالشئ اذا اغرى به ونظيرنا قول بعضهم في اللغة انها من لغى بالشئ روى الامام احمد بن حنبل عن ابى ذر انه استأذن على عثمان رضى الله عنه فاذن له وبيده عصاه وقال عثمان يا كعب ان عبد الرحمن توفى وترك مالا فما ترى فيه فقال ان كان يصل فيه حق الله فلا بأس عليه فرفع ابو ذر عصاه فضرب كعبا وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما احب لو ان لى هذا الجبل ذهبا انفقه ويتقبل منى اذر خلفى منه ست اواق انشدك بالله يا عثمن اسمعته ثلاث مرات قال نعم وروى ابن عبد البر ان عثمان رضى الله عنه استقدمه من الشام لشكوى معاوية منه واسكنه الربذة فمات بها وقال على رضى الله عنه في حقه ذاك رجل وعى علما عجز عنه الناس ثم اوكى عليه فلم يخرج منه شئ قوله في الزهد تفسير الراوى وليس هذا في المصابيح وفي الاستيعاب من الحديث من سره ان ينظر الى تواضع عيسى بن مريم فلينظر الى ابى ذر الحادى عشر معاذ رضى الله عنه قوله كان يهوديا فاسلم ليس بصفة مميزة لعبد الله لانه لا يشارك في اسمه غيره بل هو مدح له في التوصية بالتماس العلم منه لانه جمع بين الكتابين انه عاشر عشرة اى مثل عاشر عشرة اذ ليس هو من العشرة المبشرة نحو ابو يوسف ابو حنيفة الثاني عشر حذيفة رضى الله عنه قوله لو استخلفت لو هذه للتمنى بمعنى ليت او الامتناعية وجوابها محذوف اى لكان خيرا وقوله عذبتم جواب الشرط ويجوز ان يكون متنا نفا والجواب فعصيتموه والاول اوجه لمكان الثاني ان يكون للاستخلاف سببا

للعصيان

للعصيان والمعنى ان الاستخلاف المستعقب للعصيان سبب للعذاب وقوله ولكن
ما حدثكم حذيفة من الاسلوب الحكيم لانه زيادة على الجواب كانه قيل لا نعلمكم
استعملا في فدعوه ولكن يعلمكم الكتاب والسنة فتمسكوا بهما وخص حذيفة بالذكر
لانه كان صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنذرهم من الفتن الدنيوية
وعبد الله بن مسعود لانه كان منذرهم من الاهوال الاخروية الثالث عشر الى الخامس عشر
عبد الرحمن قوله هاديا مهديا اعلم ان الهداية اما بمجرد الدلالة وهي الدلالة الموصلة
الى البغية قال الامام محمد بن اسمعيل البخاري فهديناهم دللناهم على الخير و
الشر كقوله وهديناه النجدين والهدى الذى للارشاد معناه اسعدناه من
ذلك قوله تعالى اولئك الذين هدى الله فبهديهم اقتده وقال غيره معنى الهداية
في اللغة الدلالة يقال هداه في الدين يهديه هداية اذا دله على الطريق والهدى
يذكر بمعنى الارشاد ايضا ولهذا جاز النفي والاثبات قال تعالى انك لا تهدي
من احببت وقال تعالى انك لتهدى الى صراط مستقيم اقول لو حمل قوله هاديا على
المعنى الاول كان قوله مهديا تكميلا له لان رب هاد لا يكون مهتديا وقوله واهد به
تتميما لان الذى قد يهدى لوله قد لا يتبعه احد فكمل ثم تمم واذا ذهب الى المعنى
الثاني كان مهتديا تاكيدا وقوله اهد به تكميلا يعني انه كامل مكمل ولا ارتياب
ان دعاء النبي صلى الله عليه وسلم مستجاب فمن كان حاله هذا كيف يرتاب في حقه
ومن اراد زيادة بيان في معنى الهداية فعليه بفتوح الغيب فان فيه ما يكفيه
السادس عشر عقبة رضي الله عنه قوله اسلم الناس التعريف فيه للعهد والمعهود
مسلمة الفتح من اهل مكة اسلم عمرو قبل الفتح طائعا راغبا مهاجرا الى المدينة فقوله
صلى الله عليه وسلم هذا تنبيه على انهم اسلموا رهبة وآمن عمرو رغبة فان الاسلام
يحتمل ان يشوبه كراهة والايمان لا يكون الا عن رغبة وطواعية السابع عشر جابر
رضي الله عنه قوله واحيي اباك فان قلت كيف الجمع بين هذا وبين قوله تعالى
بل احياء عند ربهم لان المقتولين احياء فكيف يحيى الحي قلت جعل الله
تعالى تلك الروح في جوف طير خضر فاحيى ذلك الطير بتلك الروح فصح الاحياء
او اراد بالاحياء زيادة قوة روحه فشاهد الحق بتلك القوة وكلمه كفاحا

اى مواجهة ليس بينهما حجاب ولا ترس اقول هذا الجواب ايضا من الاسلوب
الحكيم اى لا اهتم بشأن امر دنياه فان الله تعالى تقضى عنه دينه ببركة
رسوله صلى الله عليه وسلم ولكن ابشرك بما هو فيه من القرب عند الله تعالى
وما لقيه من الكرامة والمنحة الثامن عشر والتاسع عشر انس رضى الله عنه
قوله لا يؤبه له اي لا يبالى به ولا يلتفت اليه لحقارته يقال ما وبهت له
بفتح الباء وكسرها وُبها ووبها بالسكون والفتح واصل الواو الهمزة يقال ابهت آبه
والطمر الثوب الخلق العشرون الى الثانى والعشرين انس رضى الله عنه قوله اقرأ بفتح
الهمزة وفى نسخ المصابيح بكسرها يقال اقرئ فلانا السلام واقرأ عليه السلام
كأنه حين يبلغه سلامه يحمله على ان يقرأ السلام قوله أعفة جمع عفيف مرفوع
خبر ان وما علمت معترضة وما موصولة والخبر محذوف اى الذى علمت منهم
انهم لذلك يتعففون عن السؤال ويتحملون الصبر عند القتال وهو مثل
ما فى الحديث تقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع الثالث والعشرون الى الخامس والعشرين
ابو هريرة رضى الله عنه قوله لأنا بهم او ببعضهم انا مبتدأ واوثق خبره
ومن صلة اوثق والباء فى بهم متعلق له او عطف على بهم والباء فى بكم
متعلق فعل مقدر يدل عليه اوثق واو فى او بعضكم عطف على بكم اما متعلق
ايضا باوثق اذ هو فى قوة الوثوق فى زيادة فكانه فعلان جاز ان يعمل فى
مفعولين او باخر دل عليه الاول والمعنى وثوقى واعتمادى بهم او ببعضهم
اكثر من وثوقى بكم وببعضكم انتهى كلامه قيل فيه تعظيم الاعاجم اقول الاول
من باب العطف على الانسحاب والثانى من باب العطف على التقدير والمخاطبون
بقوله بكم او ببعضكم قوم مخصوصون دعوا الى الانفاق فى سبيل الله فتقاعدوا
عنه فهو كالناسى والتعيير عليهم يدل عليه قوله تعالى فى الحديث السابق وان
تتولوا يستبدل قوما غيركم فانه جاء عقيب قوله تعالى ها انتم هؤلاء تدعون
لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل يعنى انتم هؤلاء المشاهدون بعد ممارستكم
الاحوال وعلمكم بان الانفاق فى سبيل الله خير لكم تدعون اليه فتتثبطون
وتتولون فان استمريتم على توليكم يستبدل الله قوما غيركم بدل الذين لا ازواجهم

واموالهم

واموالهم في سبيل الله ولا يكونوا امثالكم في الشح المبالغ فهو تحريض وبعث
لهم على الانفاق ولا يلزم منه التفضيل الفصل الثالث الاول علي رضي الله عنه
قوله ان لكل نبي سبعة نجباء والنجباء جمع نجيب وهو الكريم من الرجال المختار والرقباء
جمع رقيب وهو الحافظ وقوله انا ضمير الفاعل فيه عائد الى علي رضي الله عنه الثاني
خالد رضي الله عنه قوله نجار خالد هذا الكلام الراوي وقال محذوف يدل عليه
قوله بعده وقال خالد فخرجت الثالث ابو عبيدة رضي الله عنه قوله سيف من سيوف الله
عز وجل من باب قوله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم جعل
بالادعاء جنس السيوف نوعين متعارفا وغيره وخالد من احد نوعيه ونحوه قول
الفرزدق انا احمد الغيثين صعصعة الذي متى تخلفه الجوزاء والدلو يبطي ونعم فتى
العشيرة اي في بني مخزوم والمخصوص بالمدح محذوف الرابع الى السابع ابو هريرة رضي الله عنه
قوله فعللهم بشيء هو من تعلة الصبي اي ما يعلل به الصبي ليسكت وقوله فلما اصبح
هو هنا تامة وهذا جواب لما وضمن فيه معنى الاقبال اي لما دخل في الصباح اقبل على
رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ولو كان بهم خصاصة اي خلة واصلها خصاص البيت
وهي فروجه والجملة في موضع الحال ولو بمعنى الفرض اي يؤثرون على انفسهم
مفروضة خصاصتهم الثامن والتاسع زيد قوله فادع الله الفاء تستدعي محذوفا اي
لكل نبي اتباع ونحن اتباعك لانا اتبعناك فادع ان يكون اتباعنا منا اي متصلين
بنا مقتفين آثارنا باحسان كما قال تعالى والتابعين لهم باحسان العاشر قتادة
قوله اكثر شهيدا صفة حينا بعد صفة ويجوز ان يكون حالا فان العلم بمعنى المعرفة وهي من
الافعال التي لا تقبل التقييد نحو قولك عرفت زيدا قائما فان المعرفة الحاصلة هي القيام
ليست مقيدة بحال القيام حتى انها تزول بزواله بل هي حاصلة بعد ذلك في جميع الاحوال
وانما ذكرت لتعرف انه كان كذلك عند المعرفة والمعرفة مستمرة وكذلك جميع افعال العلم
وعلى هذا قوله اعز على تقدير اعز شهيدا يوم القيامة الحادي عشر قيس رضي الله عنه قوله
لا فضلتهم على من بعدهم اي في المرتبة يعني كان اعطياتهم كله بخلاف غيرهم وانا ايضا
لا فضلتهم على غيرهم وان زدت على هذا المقدار والله اعلم بالصواب

ذكر اليمن والشام

وذكر اويس القرني قال في المغرب من المأخوذ من اليمن اليمن بخلاف الشام لانها بلاد على

يمن الكعبة والنسبة اليماني بتشديد الياء ويمان بالتخفيف على تعويض الالف من
احدى يائي النسبة الفصل الاول الاول عمر رضي الله عنه قوله فليستغفر لكم
هذه منقبة ظاهرة لاويس القرني وفيه طلب الدعاء والاستغفار من اهل الصلاح
وان كان الطالب افضل منهم والحديث دل على انه خير التابعين وقال احمد بن حنبل
وغيره افضل التابعين سعيد بن المسيب والجواب ان مرادهم سعيد افضل
في العلوم الشرعية كالتفسير والحديث والفقه ونحوها لا في كونه اكثر ثوابا عند الله
تعالى وفيه معجزة ظاهرة الثاني ابو هريرة رضي الله عنه قوله ارق افئدة ط وصف
الافئدة بالرقة والقلوب باللين وذلك انه يقال ان الفؤاد غشاء القلب واذا رق
نفذه القول وخلص الى ما وراءه واذا غلظ تعذر وصوله الى داخله فاذا صادف
القلب لينا علق به ونجع فيه مص الرقة ضد الغلظة والصفاقة واللين مقابل
القساوة فاستعيرت في احوال القلب فاذا نبا عن الحق واعرض عن قبوله
ولم يتاثر عن الآيات والنذر يوصف بالغلظ فكان شغافه صفيق لا ينفذ
فيه الحق وجرمه صلب لا يؤثر فيه الوعظ واذا كان بعكس ذلك يوصف بالرقة
واللين فكان حجابه رقيق لا يأبى نفوذ الحق وجوهره لين يتاثر بالنصح ويحتمل
ان يكون المراد بالرقة جودة الفهم وباللين قبول الحق فان رقة الفؤاد تلائم
تعد لقبول الاشكال بسهولة واللين يقتضي عدم الممانعة والانفعال عن المؤثر
ولعله لذلك اضاف الرقة الى الفؤاد واللين الى القلب فانه وان كان الفؤاد و
القلب واحدا لكن الفؤاد فيه معنى التفاد وهو التوقد يقال فادت اللحم اي شويته
والقلب فيه معنى التقلب يتقلب حالا فحالا بسبب ما يعتريه ثم لما وصفهم بذلك
اتبعه ما هو كالنتيجة والغاية فان صفاء القلب ورقته ولين جوهره يؤدي به الى عرفان
الحق والتصديق به وهو الايمان والانقياد لما توجبه وتقتضيه والتيقظ والاتقان
فيما يذره ويأتيه وهو الحكمة فيكون قلوبهم معادن الايمان وينابيع الحكمة وهي قلوب
منشؤها اليمن نسب اليه الايمان والحكمة تبعا لانتسابها اليه تنويها بذكرها وتعظيما
لشانها اقول يمكن ان يراد بالفؤاد والقلب ما عليه اهل اللغة وفي كونهما مترادفين فلو رد
ليناط به معنى غير المعنى السابق فان الرقة مقابلة للغلظ واللين مقابل للشدة

والقسوة

والقسوة فوضعت اولا بالرقة ليشير الى التخلق مع الناس وحسن المعاشرة
مع الاهل والاخوان قال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وثانيا
باللين ليوذن بان الآيات النازلة والدلائل المنصوبة ناجعة فيها وصاحبها
مقيم على التعظيم لامر الله وقوله الايمان يمان والحكمة يمانية يشمل حسن المعاملة مع الله
تعالى والمعاشرة مع الناس ولشدة شكيمة اليهود وعنادهم قيل فيهم ثم قست
قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وللين جانب المومنين وصفوا
بقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله قوله والخيلاء في اصحاب الابل
تخصيص الخيلاء باصحاب الابل والوقار باهل الغنم يدل على ان مخالطة الحيوان
مما يوثر في النفس ويعدي اليها هيآت واخلاقا يناسب طباعها ويلايم احوالها
قال ابو هريرة رضي الله عنه قوله راس الكفر نحو المشرق نحوه راس لامر الاسلام
اى ظهور الكفر من قبل المشرق ح المراد باختصاص المشرق به مزيد تسلط
الشيطان على اهل المشرق وكان ذلك في عهده صلى الله عليه وسلم ويكون حين يخرج
الدجال من المشرق فانه منشأ الفتن العظيمة ومثار الكفرة الترك قوله والخيلاء
في اهل الخيل ب الخيلاء التكبر عن تخيل فضيلة تراءت للانسان من نفسه
ومنه تؤول لفظ الخيل لما قيل انه لا يركب احد فرسا الا وجد في نفسه نخوة
والخيل في الاصل اسم للافراس والفرسان جميعا قوله والفدادين نه الفدادون
بالتشديد الذين يعلو اصواتهم في حروثهم ومواشيهم واحدهم فداد يقال
فد الرجل يفد فديدا اذا اشتد صوته وقيل هم المكثرون من الابل وقيل
هم الجمالون والبقارون والحمارون والرعيان وقيل انما هو الفدادين مخففا
واحدها فدان مشدد وهي البقر التي يحرث بها واهلها اهل جفاء وغلظة
اذا روي بالمخفف تقديره وفي اهل الفدادين واري اصوب الروايتين بالتشديد
لما في حديث ابي مسعود الذي يتلو هذا الحديث والجفاء والغلظة في الفدادين
والمخفف في هذه الرواية غير مستقيم وتقدير الحذف فيه مستبعد رواية ومعنى
فرددنا المختلف فيه الى المتفق عليه هذا وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه راى سكة وشيئا من آلة الحرث فقال ما اتخذ هذا دار قوم الا دخل عليهم

الذل واين ايقاع الفخر والخيلاء من موقع الذل الرابع ابن مسعود رضي الله عنه قوله
نحو المشرق حال متعلق بمحذوف اي قال صلى الله عليه وسلم من ههنا جاءت الفتن مشيرا الى
المشرق واهل الوبر موضع للفدادين على تاويل الذين لهم جلبة وصياح عند سوقها
لها لان سايق الدواب انما يعلو صوته خلفها الخامس والسادس ابن عمر رضي الله عنهما
قوله اللهم بارك لنا في شامنا انما دعا لهما بالبركة لان مولده بمكة وهي من اليمن و
مسكنه ومدفنه بالمدينة وهي من الشام وناهيك من فضل الناحيتين احدهما
مولده والاخرى مدفنه وانه اضافهما الى نفسه واتى بضمير الجمع تعظيما وكرر الدعاء
ثلاث مرات الفصل الثاني الاول انس رضي الله عنه قوله اقبل بقلوبهم وجه
التناسب بين الفصلين ان اهل المدينة ما زالوا في شدة من العيش وعوز من الزاد
لا تقوم اقواتهم بحاجتهم فلما دعا الله بان يقبل اليهم بقلوب اهل اليمن الى دار الهجرة
وهم الجم الغفير دعا الله بالبركة في طعام اهل المدينة ليتسع على القاطن بها والقادم
عليها فلا يسام المقيم عن القادم عليه ولا تشق الاقامة على المهاجر اليها الثاني
زيد رضي الله عنه قوله طوبى للشام هي مصدر من طاب كبشرى وزلفى ومعنى
طوبى لك اصبت خيرا وطيبا وقوله لاي ذلك كذا في جامع الترمذي على حذف المضاف
اليه اي لاي سبب قلت ذلك وقد اثبت في بعض نسخ المصابيح لفظ شيء الثالث عبد الله
قوله نار من نحو حضرموت يحتمل انه يكون رأي عين وهو الاصل ويحتمل انها
فتنة يعبر عنها بالنار وعلى التقديرين فالوجه فيه انه قبل قيام الساعة لانهم
قالوا فما تامرنا يعنون في التوقي عنها فقال عليكم بالشام الرابع عبد الله قوله هجرة بعد
هجرة قال الشارحون كان من حق الثانية ان يؤتى بها مع لام العهد لان المراد منها الهجرة
الواجبة قبل الفتح وانما اتى بها منكرة لتساوي الاولى في الصيغة مع اضمار في الكلام
اي بعد هجرة حقت ووجبت والمعنى سيكون هجرة الى الشام بعد هجرة كانت الى المدينة
اقول ويمكن ان يراد التكرير كما في قولك لبيك وسعديك اي الباب بابا بعد الباب
فخيار الناس ملتزم الله لانه تفصيل للمجمل كانه قيل سيحدث للناس مفارقة الاوطان و
كل احد يفارق وطنه الى آخر ويهجر بهجرة بعد هجرة فخيارهم من يهاجر ويرغب الى
مهاجر ابرهيم عليه السلام وهو الشام ويبصر هذا التاويل الحديث الذي يتلوه وذلك

حين يكثر الفتن ويقل القايمون بامر الله في البلاد ويستولي الكفرة الطغام على بلاد
الاسلام ويبقى الشام يسوسها العساكر الاسلامية منصورة على من ناواهم ظاهرين
على الحق حتى يقاتل الدجال في المهاجر المهاجر فاتت بدينه ملتجي اليها الصلاح آخر به
يكثر سواد عباد الله الصالحين القايمين باموا الله تعالى ولعل الحديث اشارة الى
العصر الذي نحن فيه قوله تلفظهم ارضوهم ص اى تنتقل من الاراضي التي يتولى
عليها الكفرة خيار اهلها ويبقى حشائش تخلفوا عن المهاجرين جبنا عن القتال وحرصا
وتهالكا على ما كان لهم فيها من ضياع ومواش ونحوهما من متاع الدنيا فهم
لخسة نفوسهم وضعف دينهم كالشيء المسترذل المستقذر عنه فكان الارض
تستنكف عنهم فيقذفهم والله سبحانه يكرههم فيبعدهم من مظان رحمته
ومحل كرامته ابعاد من يستقذر الشيء وينفر عنه طبعه فلذلك منعهم من
الخروج وثبطهم قعودا مع اعداء الدين نحو قوله تعالى ولكن كره الله انبعاثهم
فثبطهم وقوله وتقذرهم نفس الله من التخييلات المركبة التي لا مطلب لمفرداته
ممثل وممثل به مثل شابت لمة الليل وقامت الحرب على ساق تو نفس الله ذاته
وهو وان كان من حيث حصل له مضاف ومضاف اليه تقتضي المغايرة واثبات شيئين
من حيث الغيار على سبيل الاتساع وتعالى الله الملك عن الاثنينية ومشابهة
المحدثات علوا كبيرا قوله يحشر النار مع القردة ط النار ههنا الفتنة يعني تحشرهم نار
الفتنة التي هي نتيجة افعالهم القبيحة واقوالهم مع القردة والخنازير لكونهم
مختلفين باخلاقهم فيظنون ان الفتنة لا تكون الا في بلدانهم فيختارون جلاء
اوطانهم ويتركونها والفتنة تكون لازمة لهم ولا تنفك عنهم حيث يكونون
وينزلون اقول قوله تلفظهم ارضوهم الى آخره جمل متآنفات بينه لقوله ويبقى
في الارض شرار اهلها كانه سئل فما حال الاشرار الباقية فقيل تلفظهم ارضوهم
اى ترميهم وتقذفهم الى اخرى وليس لهم فيها قرار ثم قيل وما معاملة الله
معهم فقيل يقذرهم فيبعدهم عن مظان رحمته ومحل كرامته ثم قيل ما مآل امرهم
حينئذ فقيل تحشرهم النار مع القردة اى يلزمهم الفتنة فيفتنون ولا يفارقهم
الكفرة الذين مقتهم الله تعالى واذلهم وخساهم كالقردة والخنازير وقوله تبيت

معهم اما جملة موكدة لما قبله او حال منه الخامس امن حالة قوله فانها خيرة الله
الخيرة بسكون الياء اسم من خار فاما بالفتح فهي الاسم من قولك اختاره الله و
محمد صلى الله عليه وسلم خيرة الله من خلقه يقال بالفتح والسكون قوله فاما ان ابيتم
فعليكم بيمنكم هذا كلام معترض ادخله بين قوله عليكم بالشام وبين قوله
واسقوا من غدركم فان الله قد تكفل لى بالشام واهلها رخص لهم في
النزول بارض اليمن ثم عاد الى ما بدأ منه وانما اضاف اليمن اليهم لانه خاطب
به العرب واليمن من ارض العرب ومعنى قوله واسقوا من غدركم اي
ليسق كل واحد من غديره الذي يختص به والاجناد المجندة بالشام لا سيما
اهل الثغور والنازلين في البروج من شانهم ان تتخذ كل رفقة لنفسها غديرا
يستنقع فيها الماء للشرب والتطهير وسقي الدواب فوصاهم بالسقي مما يختص
بهم وترك المزاحمة فيما سواه والتغلب لئلا يكون سببا للاختلاف وتهييج
الفتنة اقول كان قوله فاما ان ابيتم وارد على التابيت والتعيير يعني ان الشام
مختار الله من ارضه فلا يختارها الا خيرة الله من عباده فان ابيتم ايها العرب
ما اختاره الله تعالى واخترتم بلادكم ومسقط راسكم من البوادي فالزموا
يمنكم واسقوا من غدرها لانه اوفق لكم من البوادي الا ترى كيف جمع الضميرين
في القرينتين بعد افراده في قوله عليك بالشام فعلم ان الشام اولى بالاختيار
واليمن عند الاضطرار والغدر جمع غدير وهو حفرة ينقع فيها الماء والعرب
اكثر الناس اتخاذا لها ولذلك اضيف اليهم وهاتان الاضافتان بعد نسبة
ارض الشام الى الله تعالى ترشد انك الى ان الكلام ليس فيه اعتراض وكذا
اما التفصيلية ثم ان قوله فان الله توكل لى مرتب على الكلامين كانه قيل
الشام مع الاختيار واليمن عند الاضطرار فان الله تعالى توكل لى بالشام
والصواب قد توكل لى وهو سهو اما في اصل الكتاب او من بعض رواة الحديث
فنقل على ما وجد اراد بالتوكل التكفل فان من توكل في شيء فقد تكفل
القيام به والمعنى انه تعالى ضمن لى حفظها وحفظ اهلها من باس الكفرة واستيلائهم
بحيث يتخطفهم ويدمرهم بالكلية اقول في مسند احمد وجامع الاصول عن ابي داود كما

المصابيح وقوله لي ليس بصلة توكل وصلته اما على او الباء ولا يجوز الاول فتعين
الثاني اى توكل بالشام لاجلي يقال توكل بالامر اذا ضمن القيام به الفصل
الثالث الى آخره قوله ومعقل المسلمين هو من معقل الاروية اى تحصن المسلمون
ويلتجئون الى دمشق كما يلتجي الوعل الى راس الجبل والملحمة الحرب والقتال و
الفسطاط اراد به البلدة الجامعة للناس ومنه سميت مصر الفسطاط والغوطة اسم
اسم البساتين والمياه التي عند دمشق وهي غوطة دمشق باب
ثواب هذه الامة الفصل الاول الاول ان عمر رضي الله عنهما انما اجلكم في اجل من
خلا الاجل المدة المضروبة للشيء قال تعالى لتبلغوا اجلا مسمى ويقال للمدة المضروبة
لحيوة الانسان اجل فيقال دنا اجله عبارة عن دنو الموت واصله استيفاء الاجل
اى مدة الحيوة ومعناه ما اجلكم في اجل من مضى من الامم السابقة في الطول و
القصر الا مقدار ما بين صلوة العصر الى صلوة المغرب من الزمان قوله انما مثلكم ومثل
اليهود وفي اصل المالكي انما مثلكم واليهود قال عطف على ضمير الجر بغير اعادة الجار
هو ممنوع عند البصريين الا يونس وقطربا والاخفش والجواز اصح من المنع لضعف
احتجاج المانعين وصحة استعماله نظما ونثرا واحتجوا بان الضمير المجرور شبيه بالتنوين
ومعاقب فلم يجز العطف عليه كما لا يعطف على التنوين وبان حق المعطوف والمعطوف
عليه ان يصح حلول كل منهما محل الآخر وضمير الجر لا يصح حلوله محل ما يعطف عليه
الا باعادة الجار نحو فقال لها وللارض والحجتان ضعيفتان اما الاولى فان شبه
الضمير بالتنوين ضعيف فلا يترتب عليه اسوة بهما وكذا الثانية ضعيفة لجواز
قولهم رب رجل واخيه وقوله اى فتى هيجاء انت من جسارها وقولك زيد واخوك
منطلقان ومن مؤيدات الجواز قراءة حمزة واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام
بالخفض وجعل الزمخشري اشد معطوفا على الكاف والميم من فاذكروا الله كذكركم
ولم يجز عطفه على الذكر والذي ذهب اليه هو الصحيح يعرف بالتامل حس قال
الخطابي يروى هذا الحديث على وجوه مختلفة في توقيت العمل من النهار وتقدير
الاجرة ففي هذه الرواية قطع الاجرة لكل فريق قيراطا قيراطا وتوقيت العمل عليهم
زمانا زمانا واستيفاؤه منهم وايفاؤهم الاجرة بلا فيه قطع الخصومة وزوال

العنت عنهم وابراؤهم من الذنب وهذا الحديث مختصر وانما اكتفى الراوي منه بذكر
مآل العاقبة فيما اصاب كل واحد من الفرق وقد روى محمد بن اسمعيل هذا الحديث
باسناده عن سالم بن عبد الله عن ابيه قال اوتي اهل التورية التورية فعملوا
حتى اذا انتصف النهار عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اوتي اهل الانجيل الانجيل
فعملوا الى صلوة العصر ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اوتينا القرآن
فعملنا الى غروب الشمس فاعطينا قيراطين قيراطين الحديث فهذه الرواية
تدل على ان مبلغ الاجرة لليهود لعمل النهار كله قيراطان واجرة النصارى للنصف
الباقي قيراطان فلما عجزوا عن العمل قبل تمامه لم يصيبوا الا قدر عملهم وهو قيراط
ثم انهم لما راوا المسلمين قد استوفوا قدر اجرة الفريقين حاسدوهم فقالوا نحن
اكثر عملا واقل اجرا قوله فعملت اليهود الى نصف النهار حالة من حالات المشبه
ادخلها في حالات المشبه به وجعلت من حالاته اختصارا اذ الاصل قال الرجل
من يعمل لي الى نصف النهار على قيراط قيراط فعمل قوم الى نصف النهار الى آخره
كذلك قال الله تعالى للامم من يعمل لي الى نصف النهار على قيراط فعملت اليهود
الى آخره ونظيره قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا الى قوله ذهب
الله بنورهم فقوله ذهب الله بنورهم وصف للمنافقين وضع موضع وصف
المستوقد اختصارا كذا عن الواحدي قوله ثم قال من يعمل لي من نصف النهار
قال المالكي تضمن هذا الحديث من في ابتداء غاية الزمان مرارا وهو مما خفي على
اكثر النحويين فمنعوه تقليدا لسيبويه في قوله واما من فيكون لابتداء الغاية في
الاماكن واما مذ فيكون لابتداء غاية الايام والاحيان ولا يدخل واحدة منهما
على صاحبها يعني ان مذ لا تدخل على الامكنة ولا من على الازمنة فالاول مسلم
بالاجماع والثاني ممنوع لمخالفة النقل الصحيح والاستعمال الفصيح ومن الشواهد
قوله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه قوله فغضبت
اليهود والنصارى لعل هذا تحسد وتصوير لان ثمة مقاولة ومكالمة حقيقة اللهم
الا ان يحمل ذلك على حصولها عند اخراج الذر فيكون حقيقة وقوله فانه الضمير
واقع موقع اسم الاشارة والمشار اليه قوله الاجر مرتين وانما لم يكن ظلما لانه تعالى

شرط

لهم شرطا وقبلوا ان يعملوا به وكان فضله مع الانصاري على اليهودي شرطه
في زمان اثلاث زمانهم مع انهما في الآخرة متساويان واما المسلمون فهم عملهم
اقل مع ضعف الاجرة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء الثاني ابو هريرة رضي الله عنه
قوله لو رآني باهله وماله الباء في باهله باء التعدية كما في قولهم بابي انت
وامي يعني يتمنى احدهم ان يكون مفديا باهله لو اتفق رؤيتهما اياي و يتمنى صح
وصولهم الي اي ولو ههنا كما في قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا
مسلمين لابد لقوله يود من مفعول فلو مع ما بعده منزل منزلته كانه قيل
يود احدهم ويحب ما يلازم قوله لو رآني باهله ان يفدي اهله وماله ليراني
الثالث معوية قوله لا يزال من امتي امة قائمة الامة القائمة بامر الله وان
اختلف فيها فان المعتمد به من الاقاويل انها الفئة المرابطة بثغور الشام
نضر الله بهم وجه الاسلام لما في بعض طرق هذا الحديث وهم بالشام وفي بعضها حتى
يقاتل آخرهم المسيح الدجال وفي بعضها قيل يا رسول الله واين هم قال ببيت المقدس
فان قيل ما وجه هذا الحديث وما في معناه من الاحاديث التي وردت في الشام وقد
عاثت الذئاب في القطيع وعبرت الجنود العاتية عن الفرات واناخت على
ما وراءه من البلاد كمنبج وسروج وحلب وما حولها قلنا انما اراد بقوله لا يضرهم
كل الضرر وقد اثخن الكفار يوم احد باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره ولما
كانت العاقبة للتقوى لم يعد ذلك ضررا عليهم مع ان الفئة الموعودة لهم
النصرة على عدوهم الذين هم الجيوش الغازية بها ولم يصبهم بحمد الله الى اليوم
غضاضة ولا هوان الفصل الثاني الاول انس رضي الله عنه قوله لا يدرى اوله
خير لا محمل لهذا الحديث على التردد في فضل الاول على الآخر فان القرن الاول
هم المفضلون على سائر القرون من غير شبهة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم
وفي الرابع اشتباه من قول الراوي وانما المراد منه نفعهم في بث الشريعة والذب
عن الحقيقة نفي تعلق العلم بتفاوت طبقات الامة في الخيرية واراد به نفي
التفاوت كما قال تعالى قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض اي بما ليس
فيهن كانه قال لو كان يعلم لانه امر لا يخفى ولكن لا يعلم اختصاص كل طبقة منهم

بخاصية وفضيلة يوجب خيريتها كما ان كل نوبة من نوب المطر لها فائدة في النشو
والنماء لا يمكنك انكارها والحكم بعدم نفعها فان الاولين آمنوا بما شاهدوا من المعجزات
وتلقوا دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم بالاجابة والايمان والآخرين آمنوا بالغيب
لما تواتر عندهم من الآيات واتبعوا من قبلهم بالاحسان وكما ان المتقدمين اجتهدوا
في التاسيس والتمهيد والمتاخرون بذلوا وسعهم في التلخيص والتجريد وصرفوا
في التقرير والتاكيد فكل مغفور وسعيهم مشكور واجرهم موفور اقول تمثيل
الامة بالمطر انما يكون بالهدى والعلم كما ان تمثيله صلوات الله عليه بالغيث
بالهدى والعلم فيختص هذه الامة المشبهة بالمطر بالعلماء الكاملين منهم والمكملين
لغيرهم فيستدعي هذا التفسير ان يراد بالخير النفع فلا يلزم من هذه المساواة في
الافضلية ولو ذهب الى الخيرية فالمراد وصف الامة قاطبة سابقها ولاحقها اولها
وآخرها بالخيرية وانها ملتحمة بعضها مع بعض مرصوصة كالبنيان مفرغة كالحلقة
التي لا يدرى اين طرفاها على منوال قوله تعالى المر تلك آيات الكتاب والذي
انزل اليك من ربك الحق الكشاف اي تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة
في بابها ثم قال والذي انزل اليك من القرآن كله هو الحق الذي لا مزيد عليه
لا هذه السورة وحدها وفي اسلوب هذا الكلام قول الانمارية هم كالحلقة المفرغة
لا يدرى اين طرفاها يريد الكملة ويلمح الى هذا المعنى قول الشاعر ان الخيار
من القبائل واحد وبنو حنيفة كلهم اخيار فالحاصل ان الامة باسرها مرتبط بعضها
مع بعض في الخيرية بحيث ابهم امرها فيها وارتفع التمييز بينها وان كان بعضها
افضل من بعض في نفس الامر وهو قريب من باب سوق المعلوم مساق غيره
وفي معناه انشد مروان ابن ابي حفصة تشابه يوماه علينا فاشكلا فما ندري
اي يوميه افضل يوم نداه الغمر ام يوم باسه وما منهما الا اغر محجل ومعلوم
علما جليا ان يوم نداه الغمر افضل من يوم باسه لكن الندى لما لم يكمل ويستتب
الا بالباس اشكل عليه الامر فقال ما قال وكذلك امر المطر والامة الفصل
الثالث الاول جعفر رضي الله عنه قوله لجد ثقة او هذه مثلها في قوله تعالى او كصيب
من السماء في انها مستعارة للتساوي في غير الشك كقولك جالس الحسن او ابن سيرين

٣٣٠

يريد انهما سيان فى استصواب ان يجالسا معناه ان كيفيه صفة امتى مشبهة بكيفيتى
المطر والحديقة وانهما سواء فى استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبايتهما
مثلتها فانت مصيب وان مثلتها بهما جميعا فكذلك فان قلت اى فرق بين التمثيلين
قلت شبهت الامة فى التمثيل الاول بالمطر فى نفع الناس بالهدى والعلم وفى الثانى
بالاستنفاع من علم الوسول وهداه وانبانه الكلا والعشب الكثير وحصول
الاخاذات ثم انتفاع الناس منهما بالرعى والسقى وهو المعنى بالفوج الذي اطعم
من الحديقة عاما والحديقة كل ما احاط به البنا من البساتين وغيرها وقوله فوجا
منصوب على التمييز وقوله ان يكون خبر لعل وادخل فيه لعل تشبيها للعل
بعسى واسم يكون يحتمل ان يكون ضميرا عائدا الى آخرها وعرضها خبره ووصف
الجنة بالطول والعرض والعمق باعتبار ملابستها بالحديقة وان يكون اعرضها
موصوف محذوف هو اسم يكون والخبر مقدر اى يكون الحديقة اعرضها عرضا
ان روى مرفوعا واعرض واعمق واحسن جئ بها مبالغة اى ابلغها عرضا و
وحسنا نحو قولك العسل احلى من الخل والصيف احر من الشتا وقوله احسن
حسنا كقوله جد جده وجن جنونه وعرضا يحتمل ان يكون اسم عين بدليل
واعمقها عمقا وان يكون اسم معنى بدليل واحسنها حسنا والفوج والفيج
من الناس فاما الفيج فانه مخفف عن الفيج يقول فاج يفوج فهو فيج كما
هان يهون فهو هين ثم خففه فقيل هين كذا قال الازهرى واما الفوج
على اصله من الواو ولغير تخفيف وانما احتاج الى التقدير المذكور فى الفيج
وقوله اعوج وصف للفيج باعتبار اللفظ وليسوا ايضا وصف له باعتبار
الثانى عمرو وقوله اي الخلق اعجب اليكم ايمانا يحتمل ان يراد به على سبيل
من تعجب من شئ عظمه فجوابهم مبني على المجاز ورد رسول
صلى الله عليه وسلم مبني على ارادة الحقيقة قوله والنبيون الذ
قوله فيجئ كما فى قولك الامثل فالامثل والافضل فالافضل وقوله تعالى
صفا فالزاجرات زجرا فى وجه ولا يلزم من هذا تفضيل الملائكة على
يكون ايمانهم متعجبا منه بحسب الشهود والغيبة قيل فى تفسير وهو

يؤمنون بالغيب اى يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته متلبسين بالغيب
كقوله تعالى الذين يخشون ربهم بالغيب ويعضده ما روي ان اصحاب عبد الله ذكروا
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وايمانهم فقال ابن مسعود ان امر محمد كان بينا لمن رآه
والذي لا اله غيره ما آمن مؤمن افضل من ايمان بغيب ثم قرأ هذه الآية الثالث والرابع
ابى امامة رضى الله عنه قوله وطوبى سبع مرات جملة معطوفة على السابقة اى وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم طوبى لمن لم يرني وآمن بى سبع مرات تعالى هذا سبع مرات ظرف لقال
مقدرا لحال من طوبى وما يتعلق به ويحتمل ان تكون سبع مرات مصدرا لطوبى ومقولا
لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به التكثير لا التحديد الخامس ابو محيريز قوله وجاهدنا
معك معك حال من الجملة الثانية ومثله مقدر فى الجملة الاولى اى اسلمنا معك كقوله
تعالى قالت رب انى ظلمت نفسي واسلمت مع سليمن وحرف الاستفهام محذوف ويحتمل ان
يكون مجرد الاستفهام واسلمنا وجاهدنا حال وبنعم على هذا وقعت موقعها ويكون
الاستفهام للانكار واسلمنا استيناف لبيان نفي خيرية الغير عنه وعلى هذا وقعت نعم
موقع بلى فالخيرية بحسب الغيبة والشهود كما سبق بيانه آنفا والله اعلم السادس معوية قوله
من اصحاب الحديث لا منافاة بين هذا الحديث وبين قوله فى الحديث السابق لا يزال من امتى
امة قائمة بامر الله تعالى على ما مر فان المراد بها الفئة المرابطة بثغور الشام لان اللفظ
[illegible] واما قوله لا يضرهم من خذلهم فيحمل الخذلان على ترك المعاونة لهم على الجهاد
[illegible] هنا مجازا وهنالك حقيقة السابع والثامن [illegible] تعالى اى فى
[illegible] تعالى والمراد سبعين التكثير لا التحديد لمناسبة اضافة الخير الى المفرد الكثرة
استغراق الامم الفائتة الحصر باعتبار افرادها اى اذا تفصيت امة امة من الامم كنتم
[illegible] علة للخيرية لان المراد به الختم يعنى كان نبيكم خاتم الانبياء انتم ختم الامم
[illegible] نبيكم صلى الله عليه وسلم حاز ما تفرق من الانبياء السالفة من الكمالات والخصال
الفاضلة كذلك حكمكم مع الامم السالفة قال تعالى اولئك الذين هدى الله فبهديهم اقتده
وهذا آخر كتاب الكاشف عن حقائق السنن فى كتاب مشكوة المصابيح
الذى الفه الامام المحقق والحبر المدقق حسين بن عبد الله بن محمد الطيبي
تقبل الله تعالى منه وجعل سعيه مشكورا واحله فى دار الامن مبرورا
وقد تم تحرير على يدى اضعف عباد الله [illegible] بن [illegible] الله جعل الله
الجنة مثواه وملقاه [illegible] فى [illegible] اواسط شهر ربيع الثانى
[illegible]